الشخصية المصرية
فى الأمثال الشعبية

تأليف

د. عزة عزت

●

دار الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

(.. وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)

(.. ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون)

صدق الله العظيم

الغلاف للفنان

حـلمى التونى

مقدمة

لماذا هذا الكتاب ؟

راودتنى كثيراً فكرة عمل كتاب يضم الأمثال الشعبية المصرية .. بل لعل هذه الفكرة قد بدأت معى منذ حوالى ثلاثين عاماً أو يزيد .. وكنت أنذاك مجرد طالبة فى المرحلة الثانوية .. وبغرور ومشاعر هذه المرحلة من العمر وطموحاتها .. بدأت بالفعل فى تجميع الأمثال الشعبية ، والتعبيرات ، والتشبيهات ، بل وأيضا عبارات التحية المتبادلة والأدعية التى تجرى على ألسنة العامة ممن ألتقى بهم وأعايشهم .. وبالطبع كانت أكثريتهم من النساء ، جدتى ، وأمى ، ومربية عجوز كانت تعيش معنا فى البيت الكبير .. وبينما كانت الصديقات يجمعن فى دفاترهن الخاصة كلمات الأغانى ، والأقوال المأثورة ، والأشعار الغزلية ، كنت أنا أجمع الأمثال الشعبية .. لأضع كتابا واحداً يضمها فاكون بذلك أول من جمعها – وكان الطموح أيامها يهد الجبال ، ويقيم الدنيا ولا يقعدها وفكرة التفرد والتميز بل والخلود هى المسيطرة – وشعارى فى ذلك أنذاك توصية أوصى بها الأستاذ خالد محمد خالد فى كتابه «الوصايا

العشر» .. تقول : «اجعل مناط سعيك ما لم يفعله أحد من قبل ، واطرق الأبواب غير المطروقة ..» .

وبعد أن قطعت شوطاً كبيراً فى مرحلة التجميع والفهرسة وفقاً للأبجدية العربية ، وقضيت فى ذلك أكثر من عام .. كنت أجلس فيه إلى جدتى .. وأستثير ذاكرتها ، لتتدفق على لسانها الأمثال ، والعبارات التى تلخص الحكمة كلها فى كلمات قليلة . وبإيجاز معجز ، وحسم كنت أدهش له .. وأعجب به فى آن معاً .

وبعد أن ملأ نفسى الغرور بأنى سأقدم للمكتبة العربية كتاباً فريداً .. وقع فى يدى وبمحض الصدفة فى مكتبة المدرسة الثانوية (★) كتاب العلامة الكبير أحمد تيمور باشا «الأمثال العامية» ووجدتها مرتبة أبجدياً ، ومشروحة لغوياً ، ومذكوراً عنها معلومات قيمة عن مناسبة قولها ، وفيما تضرب ، وكانت بالنسبة لى أكثر من صدمة .. وبنفس البراءة تخليت عن فكرة مخطوطى النادر ، ومؤلفى الفريد ، وأهملت الموضوع برمته .. حتى كدت أنساه ، وإن ظلت الأمثال العامية الشعبية – بعد أن عايشتها وعشقتها لمدة عام أو يزيد – تجرى على لسانى ، فى كل مناسبة بما يليق بها .. حتى اشتهرت بين الأهل والأصدقاء بضرب الأمثال .. رغم أن عادة إطلاق الأمثال كانت قد بدأت تتلاشى إلى حد

(★) مدرسة مصر الجديدة الثانوية للبنات .

ما ؛ لارتباطها «بالعواجيز» أى بكبر السن وتقدمه أحيانا ؛ ولارتباطها بفئة شعبية من الناس ، يطلق عليهم أبناء الطبقة المتوسطة ، وما يعلوها من طبقات فى سلم المجتمع المصرى «الناس البلدى» .. بل وكانوا يتهكمون أحيانا على كل من يقول : «على رأى المثل» وكثيراً ما كان معارفى يقولون لى العبارة الإذاعية الشهيرة : «قولى يا أم على» وهو اسم لخادمة فى أحد أشهر المسلسلات الإذاعية الصباحية الموجهة إلى ربات البيوت .

ورغم أن «أم على» الأصلية ماتت ، وتوارى إلى حد ما الاستشهاد بالأمثال من الإذاعة .. وأيضاً بين غالبية الناس .. إلا أنى ظللت على عشقى لهذا اللون من التراث ، وبدأ يفزعنى تحريف الأمثال الشعبية فى الأعمال الدرامية ، وعلى ألسنة العامة .. .. فاقتنيت كتاب الأمثال العامية لأحمد تيمور باشا ، وكتاب «مجمع الأمثال» مختارات الميدانى وتحقيق محمد على قاسم (★) وهو يضم مئات الأمثال العربية ، التى وجدت أن بعضها يتطابق معنى ، ولفظا مع الأمثال العامية المصرية ، وأن بعضها يتطابق معها معنى فقط ، وإن اختلفت الألفاظ والتراكيب تماماً .. بل وإن بعض هذه الأمثال كان متداولاً بين العامة المثقفة المصرية ، ويستشهد به فى مناسبات عدة ، وكأنه مثل شعبى ، رغم كونه عربيا فصيحا ، كما سيأتى بيانه فى أحد فصول هذا الكتاب .

(★) منشورات مكتبة المعارف - بيروت - لبنان - ١٩٨٦ .

ثم كان الحافز الحقيقى الذى جعلنى أعود إلى سابق اهتمامى بموضوع الأمثال العامية المصرية ، هو صدور كتاب الدكتور سيد عويس «أمثال وتعبيرات شـعبية مصرية» (★) الذى حرصت على اقتنائه لاهتمامى بالموضوع أولاً ، ثم لإعجابى الشديد بكتابات د . سيد عويس، إذ تصورت أنى سأستمتع بدراسـة اجتماعية ، وتحليل لمضمون الأمثال الشعبية المصرية ، وما تفرزه من قيم إنسانية ، ومبادىء أصيلة ، وما تعكسه على الشخصية المصرية ، وعلى السلوك اليومى للشعب المصرى ، ومدى تأثرها أيضا بهذا الشعب ، وتأثيرها فيه .

ولكن صدمنى ما وجدته بين دفتى الكتاب ، إذ لا أتصور أن د . سيد عويس لو امتد به العمر كان سينشر مثل هذه الدراسة بهذا الشكل ، وأغلب ظنى أنه لم يكن يقصد مطلقاً عملية التجميع والتحقيق - لأن هذه المهمة قد قام بها باقتدار لا يبارى أحمد تيمور باشا ومن قبله شرف الدين الأسدى صاحب مخطوط الأمثال الشعبية (★★) - ولكن دكتور سيد عويس جمع هذه الأمثال ؛ ليخرج منها بدراسة

(★) الصادر عن مؤسسة أخبار اليوم - كتاب اليوم العدد ٣١٦ - ديسمبر ١٩٩٠ م .

(★★) عثر على هذا المخطوط فى منزل والد أحمد تيمور باشا وأغلب الظن أنه اعتمد عليه فى كتابه .

اجتماعيــة عميقة ، تسبر غور الشخصية المصرية ، وتغوص فى أعماقها ؛ لأنه كعالم اجتماع .. بل ابو علم الاجتماع المصرى الحديث ، لا يقف دوره عند مهمة التجميع والفهرسة .. ولعل خروج الكتاب على هذه الصورة هو الدافع الحقيقى الذى أعاد إلى الرغبة فى عمل دراسة للأمثال العامية المصرية .. وتحليل مضمونها ، والتعليق عليها مسترشدة بالدراسات السابقة على كثرتها ، مستعينة بها ، لأبدأ من حيث انتهوا وليس لتكرار ما قاموا به .. علنى أكمل ما بدأه دكتور سيد عويس ولم يمهله العمر لاتمامه ، وهى محاولة ستكون مفيدة إلى حد ما ليس من الناحية التراثية فحسب ، ولكن كدراسة اجتماعية وأدبية ، وستكون كما أتعشم أول دراسة تحليل مضمون للأمثال العامية المصرية للتعرف على ملامح الشخصية المصرية من خلالها .

د . عزة عزت
مدينة نصر فى مارس ١٩٩٦

تمهيد

يضم هذا التمهيد تعريفا بالأسس التى ستقوم عليها هذه الدراسة ، وهى : تجميع الأمثال من أفواه العامة ، أى الأمثال الباقية حتى الآن ، ومازال الناس يرددونها ويحفظونها ، واستبعاد ما يعتبر غير متداول أو بطل استخدامه ؛ إما لأنه لم يعد مناسباً للعصر ؛ أو لأن له بديلا أبسط، أو لإغراقه فى الشعبية ، بحيث يحتوى على ألفاظ ذات دلالات غير معروفة الآن - أو لأى سبب آخر - فإذ كان أحمد تيمور باشا قد رصد ٣١٨٨ مثلا ، ثم جاء من بعده د . سيد عويس ليرصد ١٨١٥ مثلا اختارها وفقاً للموضوع وإن احتفظ بترتيبها الهجائى ؛ لأنه استخلصها أصلا من الكشاف التحليلى لكتاب أحمد تيمور ، مركزا على موضوعات اجتماعية بعينها ليتناولها بالتحليل .. فإنى فى هذا البحث حرصت على أن أركز على المتداول من الأمثال ، والأكثر شيوعا بين الناس حتى الآن والذى أقوله وأحفظه وأسمعه ، مع الاستعانة بالمراجع للتذكرة فقط ، ويلى هذه المرحلة ، خطوة أخرى هى : تحليل مضمون هذه الأمثال التى سأوردها ، وفقاً لموضوعها ، ومضربها ، دون الاهتمام بالترتيب الأبجدى ، الذى سبقنى إليه الآخرون .

هذا وسأوحاول أن أفرق بين المثل الذى يحمل موضوعاً متكاملاً ، وحكمة أو نصيحة محددة وبين التعبير الشعبى الذى اكتسب دلالة محددة ، لدى المصريين ، فأصبح يتفاهم به بين الناس دون إضافة ، إذ يكفى ذكره لتتداعى للسامع معانٍ محددة وواضحة تماما ، وسوف أفرد لهذا النوع من الصيغ الشعبية فصلاً بذاته بعنوان «اصطلاحات ذات دلالة» كما سأفرد فصلاً للتشبيهات التى يكفى أن تقال ؛ لتلم بما تعنيه، وما تكسبه للشخص أو الشىء الموصوف ، من سمات واضحة محددة ، ناهيك عن العبارات التى تمثل كناية بليغة ، غاية البلاغة ، عن أشياء ومواقف ، وأشخاص يندر أن نجدها بهذه الدقة فى أى عامية أخرى .

وسأخصص فصلاً للأدعية أو الدعوات الشعبية الموجزة سواء الداعية بالخيـر ، أو بالشر ؛ لأنها جزء من هذا التراث الشعبى الذى أسـماه أستاذنـا د. سـيد عويس باللهجات والتعبيـرات الشـعبية المصرية .

وأيضاً سأرصد الأمثال الواردة فى القرآن الكريم والمتداولة بين الناس وكأنها مثل شعبى .

كما أخصص فصلاً أخيراً للأمثال العربية الفصحى التى تتداول بين العامة على أنها شعبية ، فى حين أنها عربية لفظاً ومعنى أو محرفة عن العربية .

ذلك كله مع الحرص على أن تكون الأمثال الشعبية هى المحور الأساسى للكتاب . وما الفصول التى أشرت إليها إلا فصول مكملة للموضوع الأصلى ؛ لارتباطها به ؛ ولما لها من أهمية ؛ لتسهيل التعرف على الفرق بين المثل السائر ، والتشبيه الشعبى البليغ ، والمصطلح ذى الدلالة الخاصة : وكنموذج لهذه الأنماط المختلفة من التعبير نورد فيما يلى نماذج لكل منهم :

★ الأمثال :

- لبس البوصة تبقى عروسة .
- معاك قرش تساوى قرش ، ممعكش حاجة متساويش حاجة .
- القرد فى عين أمه غزال .

★ التشبيهات :

- زى الطبخة البايتة .
- زى مأمور الهدد .
- زى السمك بياكل بعضه .

★ المصطلحات :

- يمسكوا فى شواشى بعض (كناية عن الشجار) .
- يلبسه العمة ، أو ينفخ فيه (كناية عن الإيهام بالأهمية) .
- كسبنا صلاة النبى (كناية عن عدم الربح المادى) .

★ الأدعية :

- جار عليك الزمان .

- كبرت علتك .

- إتخلخلت ضراسك .

★ الأمثال العربية :

- لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

- إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

- من راقب الناس مات هماً .

★ الأمثال فى القرآن :

- نظرة إلى ميسرة .

- لا تكتموا الشهادة .

- وأمره إلى الله .

- ولا هم يحزنون .

هذا وسأتناول فى ختام هذه الدراسة مدى إمكانية استحداث تعبيرات ، أو مأثورات شعبية جديدة من عدمه ، وهل يمكن أن تكون لها صفة الدوام ، والاستمرار فى وجدان الناس ، فتصبح رصيدا جديدا من الأمثال ، والتعبيرات .. خاصة أن إمكانات انتشارها حاليا متاحة ، وأكثر تأثيراً .. وذلك من خلال ما يسميه البعض «إفيهات» فى الأعمال

المسرحية ، والأعمال الفنية الفكاهية ، ودراسة إمكانية أن تكتسب صفة الدوام كتراث شعبى متوارث .. وهل يمكن أن تكتسب دلالة خاصة تفهم مباشرة بالتداول ؟

هذا وسأهتم بالأمثال وفقاً للترتيب الموضوعى المتسلسل وليس وفقاً للأبجدية ، وسأحاول - قدر الإمكان - إبراز أن الأمثال قد اهتمت بكل مناحى الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية المتعلقة بالسلوكيات ، والحياة اليومية ، وأنها عبرت بدقة عن المفاهيم السائدة بين الشعب المصرى عبر العصور ، فعبرت عن رأى الأغلبية ، كما أن رأى الأقلية كان له صوت - ولو خافت - فى التراث الشعبى الموروث ، فالأمثال تعبر عن وجهتى النظر بديمقراطية شديدة .. حتى لنعجب بشدة أن الأمثال الشعبية تعبر فى كل الموضوعات عن وجهتى نظر مختلفتين .. وإن تغلبت إحداها على الأخرى .. لكن لكل منهما احترامه ومكانته ؛ ولذلك سأحاول من خلال تحليل مضمون الأمثال الشعبية ، الوقوف على وجهة النظر السائدة ، أو التى تحظى بكثير من التأييد ، سواء بالتكرار ، أو كثرة الأمثال المنادية أو المعبرة عنها ، أو بمدى تداول المثل ، واستمرار هذا التداول ، حتى الآن ، وهو ما يؤكد رسوخ هذا المفهوم ، أو ذاك ، وثباته فى الوجدان الشعبى المصرى .. بحيث يعطى ملمحا أساسياً فى الشخصية المصرية - التى أهدف أساساً إلى رصد سماتها وملامحها من خلال تحليل

مضمون الأمثال العامية والعبارات الشعبية - فعلى سبيل المثال نجد مثال يحبذ السعى فى الزواج مثل : «يابخت من وفق راسين فى الحلال» وبالمقابل مثلا آخر يقول «امشى فى جنازة ولا تمشيش فى جوازه» فأيهما أرسخ فى الوجدان المصرى ؟؟ ذلك ما سيثبته تحليل المضمون .. كما سيدل على كثرة الموضوعات التى نشعر أن الوجدان المصرى منقسم حولها ، أو لم يتفق بشأنها على رأى واحد ، أو لنقل أنه أعد لكل موقف القول المناسب له .. وسنلاحظ ذلك بشكل خاص فى الموضوعات المتعلقة بالصبر والتحمل .. والقضاء والقدر ، والكوارث ، فإذا ما حلت مصيبة ، فهناك مثل يواسى ، ومثل يتشفى ، ومثل يشاطر المصاب ، ومثل يشمت فيه على أنه انتقام وعدالة من السماء ، ومثل يقول بأن : «المؤمن منصـــاب» ، وآخر يقول : «من أعمالكم سلط عليكم» بل إن هناك العـديد من الأمثال للموقف الواحد أو المناسبة الواحدة .

هذا ونكاد نجزم بأن الأمثال الشعبية المصرية لم تترك مناسبة أو معنى لم تعبر عنه ، سواء اجتماعيا أو سلوكيا أو اقتصاديا أو نفسياً فقد غطت كل مناحى الحياة ، وتناولت كل الأمور :

«المرأة والرجل والزواج ، وعلاقات الحب والمودة والعشرة والصداقة، والجوار والنسب . والانجاب ، والوراثة ، وتبدل الأحوال . والفقر والغنى.

والجمال . والقبح ، والسمار والبياض ، والنقص والكمال ، والفكر والذكريات . والهم والموت . والفشل والنجاح . والحداثة» .

كما فرقت بين :

«المقدر والمكتوب» و «النصيب والقسمة» و «الحظ والبخت» ، و «الشطارة أو المهارة» و «الصبر والرضا» و «القناعة والطمع» و «الحسد والغيرة» و «الإدعاء والزهو والخيلاء والظلم» و «الحذر والخوف» و «التانى والتعجل» و «الخجل والتستر» و «الأعذار والحجج» و «القدرة والاقتدار» و «حسم الأمور والأعمال غير المجدية» . والسفر وترك الديار، والتدخل فيما لا يعنى . والعلم والجهل . والخذلان أو انقلاب الهدف على صاحبه والوفاء ، والتعود ، والتمسك بالقديم . والتكبر . والمبالغة والشماتة والتهكم والسخرية والاستهانة والاستهتار والفرح والتفاؤل والعمل الطيب أو البر والإحسان والاتكال أو التواكل . واليتم . والاعاقة. وسوء الخلق ، والمراءاة ، والاخبار والاسرار والسلف والدين سواء ماديا أو معنويا . بمعنى (تخليص الحق) والمصائب والكوارث والشر . والكرم والضيافة .

كما تناولت الأمـثال أموراً اقتصادية كثيرة ترتب العلاقة بين الناس مثل :

المال . العوز والعذر. والبيع والشراء . والتعاقد والانفاق والإسراف.

والاقتصاد والتدبير . والسعى على الرزق . والقيمة أو الثمن. والاستغناء والشراكة . والعمل أو المهن .

ناهيك عن المعانى والقيم المطلقة ، التى تناولتها الأمثال ببساطة تدعو للعجب ، والتفريق الدقيق بين المعانى ، ووضع أسس وقواعد للسلوك الإنسانى وفقاً لقواعد دقيقة مثل : «الحق . والحرية والجمال ، والخير» ، مفرقة بين الحرية المطلقة والحرية الشخصية وحدود التدخل فى شئون الغير ، والفرق بين القيم الجمالية الروحية والمادية ، وسنلاحظ هذا التفريق الدقيق حينمـــا نستعرض نتائج تحليل مضمون هذه الأمثال .

كما تتناول الأمثال أيضاً السلوكيات الرديئة فتدينها ، وكنموذج لهذه السلوكيات :

«النهم . والنميمة . وخلف الوعد . والنفاق . والنذالة . والخبث . والمعايرة . والذم . وتعاطى الخمور . والتطفل . واللامبالاة . والكسل . والكراهية . والكذب . والفتنة . والقذارة . والفساد . والغرور . والغش . وانكار الجميل . والحمق والغباء . وسوء النية . والسفاهة . والرشوة والخديعة . والتسول . والتردد . والتجسس . والتبرج . والإهمال . والإلحاح . والانتهازية . وسوء الخلق بوجه عام» .

هذا ونجد أن الأمثال الشعبية المصرية بقدر ما عبرت عن معانٍ

شتى ، بقدر ما عكست ملامح الشخصية المصرية .. وعبرت عن وجدان الإنسان المصرى ، وقناعاته ، وقيمه ، ومعتقداته . بل ومواقفه من كل شىء فى الدنيا محسوس أو معنوى .

كما سنلاحظ أن المصرى لم يفرق تفريقا واضحاً بين قول مأثور ، ومثل عربى ، وحكمة متوارثة . وقاعدة دينية أو معتقد مصاغ بإيجاز ، فتواصل الروح المصرية عبر العصور ، وما حدث فيها من تطورات جعل المصرى يجرى على لسانه ، كل هذه الأشكال اللغوية العامية والفصحى، مجرى اللغة الشعبية الدارجة .. التى تمتزج فيها بقايا ألفاظ من اللغة الهيروغليفية . فالهلينية ثم القبطية ، فالعربية ، مع مداخلات لفظية من لغات الغزاة : الأتراك ، ثم الإنجليز ، أو كما كان يسميهم «الفرنجة» ، وسنجد ذلك واضحاً ، حينما نستعرض كل ملمح من ملامح الشخصية المصرية ، وكيف عبرت عنه الأمثال الشعبية ، بما تضمه من ألفاظ ، قد تبدو غريبة ، وما هى إلا نحت من لفظ جاء من لغة سادت ثم بادت فى مصر ، أو مرت عليها ، لكن اللهجة العامية المصرية الثرية بأصولها ومشتقاتها بقيت ، كأحلى ما تكون اللهجات العربية على الإطلاق .. وبدون تحيز .. وسنلاحظ كيف أن المثل العربى القديم ، أو الحديث النبوى الشريف . على رصانة لغته ، يجرى على اللسان المصرى بنعومة ، وكأنه

عاميـــة دارجة ، يرددها الشعب المصرى ، بكل طوائفه أو معظمها ، دون أن يدرك أنها عربية فصحى .

هذا وسنلاحظ أن الإنسان المصرى ، يستخدم الأمثال وكأنها عبارات مصاغة جاهزة ، يسهل بها إعمال الذهن ، ومعالجة المواقف المختلفة على نحو تلقائى ومألوف .. وذلك عبر أجيال وأجيال ، مما يعكس تمسكه بالقديم والموروث من العادات ، والمفاهيم والقيم .. ويجد المصرى فى استخدام الأمثال اختزالا للكثير من الكلام ، حيث انها المختصر المفيد ، أو الحكمة كلها ، مصاغة فى عبارة موجزة ، تفيد فى موقف محدد ، وكأنها فصلت له خصيصا .. وتكون أبلغ ما يكون التعبير ، وأفضل من الإكثار فى الشرح والتوضيح .. وما أكثر العبارات التى تناسب كل المواقف على اختلافها ، نظراً لكثرة وثراء الأمثال الشعبية المصرية ، المتأثرة بالفكر الفرعونى ، والتراث المسيحى ، والإسلامى العربى ، وأيضاً وهو الأهم - المتأثرة - بطبيعة الشخصية والروح المصرية الفكهة الساخرة .. التى لم يصل أحد بعد لتحديد أسبابها هل هى موهبة إلهية خص بها الله هذا الشعب دون غيره ؟ أى أنها فطـرة .. أم هى نتاج مكتسب من عصور القهر التى عاشتها مصر ؟؟

فكلنا يعرف أن الإنسان المصرى طالما عانى ، ومازال يعانى من

الكبت السياسى ، ، والاجتماعى ، والدينى ، ولعل ذلك ما جعله إنسانا مبدعاً ، يتحايل على وسائل القهر والكبت ، والإحباط باصطناع أقوال أو نكات ، أو فنون شعبية ، ينفس فيها ، وبها عما يعانيه من كبت ، إذ أجبرته ظروفه أن يكون إنساناً حضارياً .. وليس مجرد إنسان عادى طبيعى يعيش الحياة لذاتها ؛ ولأن المصرى أكثر طاعة وامتثالاً ، وتقديراً للسلطات ، بكل أشكالها الأبوية ، والسياسية ، والدينية أكثر من غيره من الجنسيات - العربية وغير العربية - ؛ لذلك نجده أكثر احتراماً ، بل وتقديساً للتقاليد ، والقيم السائدة ، والعرف ، والدين ، والتشريعات ، وكثير من وسائل الحظر والمنع والتعويق .. ولعل ذلك ما فجر لديه ينبوع الحكمة الساخرة الموجزة ، الممثلة فى كل ما يجرى على لسانه من عبارات لاذعة فى شكل نكتة ، أو «قفشة» أو مثل ، يلخص القضية المطروحة ، بل ويضع لها الحل ، فى عبارة موجزة هى : المثل الشعبى السائر على الألسنة منذ مئات السنين .

ورغم وجود العديد من المؤثرات الفاعلة فى الشخصية المصرية كالدين ، والبيئة الاجتماعية (سواء حضر أو ريف أو صحراء أو أودية جبلية) ناهيك عن المستوى الإجتماعى داخل هذه البيئة والمستوى التعليمى ، والمستوى الاقتصادى - أقول رغم تعدد هذه المؤثرات ، وتداخلها - نجد أن الأمثال الشعبية دون غيرها من الفنون الشعبية ،

تتردد على ألسنة العامة والخاصة .. بل وتقتحم اللغة المكتوبة أيضاً بعفوية شديدة ، سواء فى الأعمال الدرامية أو الأدبية ، أو فى المقالات الصحفية ، وحتى فى الكتابات السياسية نجد أن الأمثال تتردد فى ثناياها ، بل وفى عناوينها ، بوصفها خلاصة القول وصفوته ، والمعنى الأكثر تركيزاً لشرح شتى الأمور والمعضلات ، التى يصعب شرحها إلا بإسهاب ! لذا أصبحت الأمثال جزءا من لغة الخاصة المثقفة ، وليس فقط العامة والبسطاء ، وهو ما يعكس وجود سمات متقاربة بين فئات الشعب المصرى ، بغض النظر عن درجة الاختلاف الفردى ، والفروق الطبقية ، والاجتماعية ، والثقافية .. ذلك أن الاشتراك فى الاقتناع بما تطرحه الأمثــال الشعبية من قيم ، يعكس شخصية واضحة لها سمات متشابهة ، إن لم نقل متماثلة ، أو واحدة للإنسان المصرى ، يظهر فى تمسـك المصرى بأمثاله العامية ، أو معظمها ، وحفاظه عليها عبر الأجيال ، وترديدها ، بما يعنيه ذلك من إعجاب أو موافقة على ما تتضمنه من معانٍ ، وإيمان بحكمتها وبلاغتها ، فالأمثال خلاصة الحكمة بالنسبة لأى شعب .

هذا ولا نكون مبالغين إذا قلنا بأن الأمثال الشعبية تخلق شكلاً من الارتباط بين الطبقات فى مصر ، فارتباط الطبقة المثقفة المصرية بالتراث ، والعادات ، والتقاليد ، والفنون الشعبية ، ارتباط وثيق ، لا

يقف عند حد الاقتناع ، أو الترديد الشفهى ، بل يصل إلى حد ممارسة طقوس تقترب من الخرافة ، والإيمان بالغيبيات ، خاصة فى الملمات ، أو ما قد يصيب الفرد من إحباط فى ممارساته وحياته اليومية ، فنجد أحياناً أنه لا فرق بين مصرى مثقف وأخر من البسطاء ، من حيث التمسك بقيم راسخة تعكسها الأمثال الشعبية ، التى يرددها العامة والخاصة ، وكأنها مسلمات .

فكثيراً ما نرى أن مجرد إيراد مثل شعبى ، قد يحقق النجاح فى مساعٍ لعقد صلح ، أو فض معركة ، أو جعل إنسان مصرى - أمى أو مثقف - يتخذ قراراً حاسما فى حياته . كالزواج أو الطلاق أو الارتباط والمشاركة فى شىء ما ، إلى غير ذلك من علاقات رسمت لها الأمثال الشعبية دستوراً محكماً ، لم تفلت منه شاردة أو واردة فى المعاملات الإنســانية الاجتمـاعية والاقتصــادية والحيــاتية .. وهو ما سيتضح فيما بعد .

هذا وسنلاحظ أن الأمثال الشعبية بقدر تأثيرها فى حياة الناس وسلوكهم ؛ بما لها من آثار نفسية على الشخصية المصرية سنجدها أيضاً تتأثر بما يعترى هذه الشخصية من تغير وتطور ، ويتضح ذلك من احتفاظ المصرى ببعض الأمثال دون غيرها ، وترديده الدائم لها ، فى حين ينقرض بعضها الآخر بنسب كبيرة ، سنعرض لها كماً وكيفاً فى

فصل من فصول هذا الكتاب ، بما يؤكد أن الامثال تؤثر وتتأثر بالشخصية المصرية ، بل هى نتاج لهذه الشخصية ، بكل ما يعتريها من تغيرات .

وقبل أن أختم هذا الحديث التمهيدى لدراستى للشخصية المصرية كما تعكسها الأمثال العامية لابد من إشارة مهمة إلى الأسلوب الذى سأتبعه فى هذه الدراسة .. التى لم أضع لها نتائج مسبقة وإن كان لدى فروض قد تثبت أداة تحليل المضمون صحتها ، أو تدحضها كلياً أو جزئياً .. وأجدنى مرحبة تماماً بما ستأتى به دراسة علمية متأنية .. لا تعتمد على الانطباعات الشخصية أو الذاتية ، فما حدانى إلى مثل هذه الدراسة هو الشعور بما يعترى الشخصية المصرية من تغير سريع - أو هكذا أستشعر سرعته - لا أقول تغيراً إلى أحسن أو إلى أسوأ .. لكنه تغير ملموس ومحسوس من الجميع ، ويتردد ذكره على الألسنة فى المجالس ، فى شكل ترحم على الماضى وأيامه ، والعلاقات الحميمة فيه ، وما كان يسوده من قيم نبيلة كنا نحسد عليها .. بل لعلها السبب الأساسى فى الريادة المصرية فى كل المجالات .. والتفوق المصرى ليس على المستوى الإقليمى وحسب .. ولكن عالمياً .. فالحضارة المصرية حضارة عالمية ، خلقها الإنسان المصرى القديم ، أو جدنا المصرى الأول .. فهل بقى لنا شىء من ملامحه وسماته ؟ أم ترى أن سنوات من التيه

محت إنسان هذه الحضارة القديمة !! وسكن مصر بدلاً منه إنسان آخر لا يمت له بصلة أو نسب ، ولم تلعب عوامل الوراثة دورها فى إكسابه سمات أجداده ؟! هى تساؤلات حيرى ! يحسمها أحياناً حدث كبير ، يظهر المعدن الأصيل للإنسان المصرى ، بما يؤكد أنه بالفعل حفيد بناة الحضارة العظماء .. وخلاصة الطبقات المتراكمة من الحضارات على هذه الأرض من فرعونية وقبطية وإسلامية عربية ، وأنه اكتسب الجميل والنبيل من صفات من مروا بأرضه فاتحين أو غزاة ، فعلمهم ، وتعلم منهم .. واحتفظ بصفاته الأصيلة .. ولكن ما تلبث مجريات الأحداث اليومية أن تكذب هذا الظن وتخلفه .. وتوضح الهوة بين ما كان ، وما آل إليه اليوم حال الإنسان المصرى وسماته الشخصية .

وعلى أى حال سأسير بهذه الدراسة مستعرضة للسمات الشخصية للشعب المصرى ، كما وردت فى عدد من الدراسات ، ثم أحاول دراسة هذه السمات وفقاً لما سأخرج به من نتائج تحليل مضمون الأمثال الشعبية ، دون أن أتحيز لتأكيد أى فرض مما يدور بخلدى .. ودون أن أتحيز لمعتقد مسبق .. فنظرتى مازالت متوازنة تماماً .. فأنا أرى أن أحسن ما فى مصر شعبها أو «ناسها» كما يقول العامة ، فمصر منورة بأهلها .. وهى هبة المصريين وليست هبة النيل . كما تمر بى لحظات - قصار على أى حال - أرى أن أكثر ما يشوه وجه مصر هم الناس

فكيف يستقيم هذا التناقض ؟! وما وجه الحقيقة فيه وبدقة ؟! هذا ما ستسـفر عنه نتائج هذه الدراسة التى أبدأهـا بالحديث عن الشخصية المصرية وسماتها ، ثم عن الأمثال الشعبية نظرياً .. وأهميتها فى تقويم طبيعة الشعب المصرى وسماته .. ثم أستعرض نتائج تحليل مضمون الأمثال الشعبية كماً وكيفاً ، مستشهدة بنماذج متعددة لأشرك القارىء فى استخلاص النتائج معى ، وأمتعه بما استمتعت به من حكمة شعب عظيم على كل حال .. ويكفيه فخراً هذه الصفة .. إلى جانب سمات أخرى سنخوض فى دراستها فيما يلى من صفحات .

الفصل الأول

الشخصية المصرية

تتشكل الشخصية القومية بوجه عام من مجموع السمات الفردية التى تكتسب صفة العمومية ، والتى يمكن أن نقول عنها إنها سمات سائدة بين معظم أفراد مجتمع ما، وذلك كسمات عامة إيجابية وسلبية معاً، وكما تشكل السمات الفردية الشخصية القومية ، تشكل أيضاً العيوب الفردية فى تجمعها عيوب المجتمع ، أو الشخصية القومية بإيجابياتها وسلبياتها ؛ ولذلك حينما يراد إصلاح المجتمع لابد أن نبدأ بالتفكير فى إصلاح الفرد، لينصلح المجموع.

والشخصية المصرية بالذات قد حظيت بدراسات عديدة اهتمت بها ورصدت سماتها ، معتمدة على عدة مناهج تاريخية، رصدت أثر الغزاة - وما أكثرهم - على الشخصية المصرية، وأخرى اهتمت بالأدب الشعبى - الموال والسيرة والأغنية والمثل - وأثره على الشخصية المصرية ، ولعل الأخيرة هى الأصدق والأقرب إلى الواقع ، بالإضافة

إلى الدراسات المهمة المسماة «شخصية مصر» للدكتور جمال حمدان ، والتى اهتمت بدراسة شتى الظواهر المؤثرة فى الشخصية المصرية ، من أول عبقرية المكان ، إلى العنصر التاريخى والاجتماعى، وشتى الظروف المكونة للشخصية المصرية.

وهناك من اعتمدوا فى دراستهم على التاريخ منطلقين من فترة أو أزمة ما ، ومنهم الدكتورة نعمات أحمد فؤاد التى اهتمت بدراسة شخصية مصر إثر نكسة ١٩٦٧ ، دراسة خرجت منها بخلاصة عظيمة وهى : أن كل الغزاة الذين أتوا إلى مصر ، كانت مصر تقابل غزوهم الخارجى بغزو داخلى يمس الجوهر والكيان، وأن ما كان يحدث للشخصية المصرية إنما هو مجرد تكيف قشرى ، لا يمس الأعماق ولا ينفذ للصميم ، وحتى العرب الذين عربوا مصر لغوياً ودينياً ، قد مصرتهم مصر حضارياً ومادياً .. وقد جاء كتاب «شخصية مصر» للدكتورة نعمات فؤاد بمثابة ضماد لجرح عميق وغائر هز الكيان المصرى بشدة ، وأثر فى الشخصية المصرية ، وقادها إلى عملية نقد ذاتى لاذع .. كان من الممكن أن يهدم الكيان الشخصى الفردى والجماعى للمصريين .. بل يمكن أن نقول انه أفقد الشخصية المصرية سمة مهمة من سماتها وهى الثقة بالنفس . وأبرز على السطح سمة أخرى كامنة وهى : السخرية من الذات ، والمقارنة بين المصرى

والغازى.. أو ما اصطلح على تسميته «عقدة الخواجة» التى تكمن وتطفو ثم تكمن وتطفو ، عبر عقود وأزمان، وفقا للظروف السياسية والاقتصادية التى تمر بمصر .

هذا وقد اتفق دكتور ميلاد حنا فى كتابه «الأعمدة السبعة للشخصية المصرية» مع الدكتورة نعمات فؤاد ، فى أن الشخصية المصرية هى نتاج لتعاقب حضارات توالت على مصر ، هى الفرعونية ، ثم اليونانية - الرومانية ، والقبطية ، والإسلامية العربية ، ناهيك عن موقع مصر الجغرافى المؤثر فى شخصيتها ، والمتمثل فى انتمائها إلى العالم العربى ، وانتمائها إلى مجموعة دول حوض البحر المتوسط ثم انتمائها إلى افريقيا .. وانفتاحها على كل هؤلاء الذى جعلها تحتك بأجناس مختلفة تدين بديانات مختلفة وتتحدث بلغات مختلفة ، بحكم الغزو والاحتكاك الحضارى .. لكن هذه الحضارات مرت على مصر ، وسادت ثم بادت ، وبقيت مصر هى مصر ، تعلوها طبقات حضارية متباينة .. لكنها مصر بشخصيتها المتميزة المتفردة بحلوها ومرها .. تطفو أحياناً سماتها الإيجابية الفذة ، وتخبو أحياناً أخرى ؛ لتظهر بعض سماتها السلبية ..

وإذا كنا هنا بصدد دراسة هذه الشخصية ، من خلال أحد أهم المأثورات الشعبية ، ألا وهى : الأمثال العامية ، وتحليل مضمون هذه

الأمثال .. أو لنقل تحديداً ، ما تبقى منها ، ومازال متداولاً على الألسنة، إذ يمكننا القول بأن هذا المتبقى هو ما يعبر بحق عن فلسفة الشعب المصرى الذى نعرفه الآن ... ولا نكون مبالغين إذا ما قلنا : إن المثل العامى بوصـــفه فلســفة شعبية تعبر عن قيم أى شعب ، فهى أيضاً تعكس خصائصه وسمــاته ، وقيمه وقنـاعاته ومعتقـداته ، وتـشير إلى عاداته.

لذلك نجد محمد إبراهيم أبو سنة فى كتابه «فلسفة المثل الشعبى» يربط بين خصائص المثل الشعبى المصرى ، وسمات الشعب المصرى ، ويرى أن أولى خصائص المثل ، وما يعبر عنه الصبر ، وهو أيضاً سمة من سمات الشعب المصرى ؛ نتيجة لاحتراف المصرى للزراعة ، ويرى أن هذا الصبر يستتبعه بالضرورة تأمل حزين ، باحث عن قوة غيبية يستجلبها المصرى بالعبادة ، وهما سبيله إلى التحمل والصبر والإيمان بالأسرار الغيبية ؛ وذلك كرد فعل أو نتيجة لتعاقب فترات القهر وما عاناه فيها ، مما خلق لديه صوفية سلبية ، تصل إلى حد الهزيمة أو الروح الانهزامية ، ثم أخيراً يرى أن الفكاهة وهى إحدى خصائص المثل المصرى ، والشعب المصرى أيضاً واضحة جداً فى كليهما ؛ نتيجة لقدرة المصرى على تحويل حياته المبتلة بالدموع إلى ضحكة كبيرة لا مبالية . ونكتة عارية نافذة . كوسيلة تفريغ للمرارة فى وضع مقلوب هرباً من القيود [1] .

---

(١) عادل حمودة ، فلسفة المثل الشعبى . ص ٢١.

ويؤكد ذلك أيضاً د . حسين فوزى فى كتابه «سندباد مصرى» إذ يرى أن الشعب المصرى فيلسوف مسالم ، يتكلم بالكناية . ويقول عنه : إنه شعب علمه (ظالموه الحذر وصون اللسان كما فرضوا عليه ممارسة السخرية المتسترة ، فما عرفت والله شعباً فى مثل قدرته على التندر بالحكام ، وفى قدرته على التلاعب بالألفاظ) ، وبالطبع نجد أن المثل الشعبى هو أصدق تعبير مكنى عن سخرية هذا الشعب وفلسفته . وقد ذهب عادل حمودة فى هذا الصدد إلى منتهاه فى كتابه «النكتة السياسية - كيف يسخر المصريون من حكامهم» ، والذى سنستشهد كثيراً بما ورد فيه فى غضون مناقشتنا الأولى لأهم السمات المصرية وهى «السخرية والفكاهة وخفة الظل».

هذا وقد تبرز آراء ، تقول بأن اختيار المثل الشعبى بالذات لتحليل مضمونه ، والخروج بنتائج ، تحدد سمات شعب مصر، اختيار فيه قدر من التحيز ؛ محتجين بأن الأمثال الشعبية غير متداولة إلا بين العامة من الناس ، بل وينظر إليها البعض على أنها أسلوب سوقى فى الحديث، وأنها مجرد تراث ، لا يعبر عن قيم العصر .. لكنى لاحظت أن الأمثال - أو المتبقى منـــها على الأقل - متداول بين جميع أفراد الشعب المصرى ، وأن من لا يحفظونه ويرددونه يعجبون به عند سماعه ، ويســتعيدون قائله ، ويحاولون تكراره لتذكره . وربما لاستخدامه فيما

بعد ، كما أن لكل فئة أو طبقة أمثالها المختارة المتداولة بينها ، والتى تعبر عن بيئتها وقيمها .. فإذا ما أخذنا فى الاعتبار أن مقومات الشخصية الفردية لم تعد مجرد نتاج للتربية والتنشئة والتعليم الأسرى ، أو البيئى فقط ، ولكن تؤثر فيها عمليات الاتصال المختلفة ، على المستوى الشخصى، وعلى المستوى الجماهيرى ، من خلال ما يتعرض له الفرد من إلحاح إعلامى ، فسنجد أن الأمثال الشعبية تنتقل ، وتنتشر، وتؤثر فى الناس كل الناس ، من خلال عمليات الاتصال الشخصي ، ومن خلال الأعمال الدرامية التى تعج بالأمثال الشعبية ، لا بل والمقالات والمواد الصحفية ، التى تتضمن العديد من الأمثال الشعبية ، وبذلك تتجمع عدة عوامل لتؤثر فى الشخصية المصرية ، وفى مقدمتها التنشئة الاجتماعية والثقافية التى يبرز المثل الشعبى فيها بشكل واضح .. خاصة إذا ما اعترفنا بأن الأم هى العنصر الأهم والمؤثر فى الشخصية - والنساء وهن مجموع الأمهات - هن الأكثر ترديداً واستخداماً للأمثال الشعبية ، وهن اللاتى أطلق عليهن د. سيد عويس لقب «حاملات الثقافة» ، وهن بحق من حافظن على هذا التراث الجميل ، بكل قيمه وفلسفته العميقة .

وإذا كان من المتعذر أن نطلق - بوجه عام - حكما أو وصفا معينا للشخصية المصرية ، أو نحدد سمات بعينها لنصفها بها ، كنتاج

لدراسة علمية .. فإننا - على الأقل - يمكننا القول بأن هناك صفات متميزة للشعب المصرى ، ينفرد بها دون غيره من الشعوب ، ولا يمكن لأحد إنكارها ، وهى التى يتكون من مجموعها خلق عام ، وسلوك مشترك حيال الكثير من المواقف والقضايا ، رغم التقدم الحضارى المتفاوت بين مناطق الحضر والريف والبادية ، والاتساع الجغرافى المترامى لمصر ، ورغم التعارض بين مصالح الأفراد، واختلاف اتجاهاتهم ، بل واختلاف نفسياتهم ومواقفهم المتباينة من الامور ، وردود أفعالهم الفردية .. إلا أن هناك مواقف شبه موحدة ، وسلوكا يكاد يتماثل تجاه الكثير من القضايا ، رغم البعد الطبقى، والبعد الريفى أو الحضـرى ، والبعد الجنسى ، بل والبعد الوظيفى أو المهنى ، فحيال القيـم تكاد تتطابق المواقف .. ويعكس ذلك المثل الشعبى ، فى تقديره أو تقويمه للمـال كقيمة ، أو للعـلم ، أو الجمال ، أو أى من الموضوعات التى سـندرسها تفصيلا ؛ لنرى كيف تعكس سمات مشتركة للمصريين .. ذلك رغم ما اعترى السلم القيمى فى مصر من اختلاف فى ترتيب درجاته خلال العقدين الماضيين (السبعينيات والثمانينيات).

وقبل الخوض فى تفصيل هذه السمات العامة ، لابد أولاً : من الإشارة إلى عدة نقاط يجب أن توضع فى الحسبان ، قبل القفز إلى

النتائج .. أو حتى قبل بداية التحليل ، وصولاً إلى النتائج ، ألا وهى : أن ما سنصل إليه ، هو أبرز السمات العامة ، مع القناعة بأن هناك فروقاً فردية ، وأن هناك فروقاً بين الأسر أو الجماعات ، ذلك أن لكل أسرة ملامحهـا الخاصة ، التى تجلعنا نراها كوحدة أو كل مستقل .. فى اتجاهاته ومبادئه ، التى تختلف تبعاً لثقافة كل جماعة، وأن التفاصيل تتيح صفات خاصة بكل جماعة ، أو صفات قومية مشتركة تصل بنا إلى الشخصية المصرية عامة ، بل وتصل ببعض الباحثين إلى الشخصية العربية المشتركة . فيرى «مورو بيرجر» كمثال أن الشخصية العربية ذات أصول متعـددة ، وأنها تسـتمد كيانها من عدة روافد .. لكنه فى النهاية يصل إلى سمات مشتركة بين العرب ، يلخصها فى «الأنانية والكـرم ، والعـداء ، كطابع للشخصية العربية» ، ومع ذلك فهو يشير إلى الأصـول المتعددة التى تستمد منها الشخصية العربية كيانها وهى:

١ - قيم البدو والرحل ، التى أثرت فى الجماعات العربية والإسلامية.

٢ - مطالب الدين .

٣ - تاريخ الاحتلال على طول الأجيال .

٤ - الفقر الشديد .

٥ - أساليب تربية النشء (★)

هذا ولن نركز كثيراً على السمات التى وصف بها «مورو بيرجر» الشخصية العربية : ذلك أن كونه أجنبيا يجعلنا نقوم هذه السمات ونراها على أنها صورته الذهنية عن الشخصية العربية وليست سمات أصيلة فيها ، ومع ذلك نشير إليها فقط من باب الإلمام بها ، وأيضاً لنقارن بينها وبين ما خلص إليه الباحثون العرب من سمات ، «فمورو» يرى أن ما مر بالعرب من فترات ، أو أجيال طويلة يسودها الركود والتعاسة أكرهوا فيها على اتباع أساليب الغزاة ، مع ضياع جهودهم الكبيرة للسيطرة على شئونهم الخاصة ، قد أبرز «تأثيرين واضحين هما الكبرياء الجريح للحصول على المناصب ثم الشعور بالاتهام» ... أما العامل الأول وهو الرغبة فى الحصول على المناصب فهو من السمات البارزة فى الشخصية القومية العربية، لكن مظهر تقدير الذات المبالغ فيه يتضح بجلاء، فى سلوك الفرد العربى فى علاقاته اليومية بالآخرين ، بعيداً عن السياسة وشئونها . ويشير دكتور ميلاد حنا إلى مثل هذه الصفات بالنسبة للشخصية المصرية بالذات ، فى مقارنة بين الشخصية الصينية والشخصية المصرية قائلاً : «إن

(★) Moroe Berger. The Arab world today a double day. Ancor.look chap. 5.19.p.136

الشخصية الصينية لديها - مثل الشخصية المصرية - عقدة الكبرياء لأنهم يدركون أنهم أقدم حضارة فى الشرق الأقصى . ولهم تأثيرهم فيها حضارياً وسياسياً وثقافياً ... ولكن لديهم أيضاً عقدة النقص مثلنا، لأنهم يعرفون أن أمامهم شوطاً كبيراً لرفع مستوى المعيشة» (١).

وترى د. فاطمة المصرى أن «العربى ينطوى على دافعين على أعلى درجة من التناقض وهما الأنانية والإنقياد . الأول يظهر فى شكل توكيد الذات أمام الغير . والكبرياء والحساسية نحو النقد . والثانى ينعكس فى الخضوع لبعض القيم الجماعية الخاطئة» (٢) ، وعن هذه السمات بالذات تحدثت أيضاً د. نادية سالم فى دراستها عن «صورة العرب والإسرائيليين فى الصحافة الأمريكية» ، كما تناولته سابقاً فى دراستى عن صورة عرب الخليج فى الصحافة البريطانية .. لكننا نرى أنها سمات فى الصورة ، وليست بالضرورة أن تكون سمات فى الشخصية العربية - وبالتالى الشخصية المصرية - ما لم يثبت هذا البحث عكس ذلك ، بما ستعكسه الأمثال العامية من أنانية وكبرياء وحساسية للنقد أو نقد للذات ، لنرى أيهما أبرز كسمة عامة.

---

(١) د. . ميلاد حنا ، الأعمدة السبعة للشخصية المصرية ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) فاطمة المصرى ، الشخصية المصرية من خلال دراسة بعض مظاهر الفولكلور المصرى ، ص ٢١٣ .

ثانياً : والأمر الآخر الذى لابد من الإشارة إليه قبل الولوج إلى النتائج ومناقشتها ، هو الخلاف بين الباحثين فى الشخصية المصرية ، وهل هى امتداد طبيعي للشخصية الفرعونية .. أم الشخصية العربية ؟ أم هى مزيج منهما معاً ، تبرز فيه أحياناً السمات الفرعونية أكثر .. أو العربية أكثر ؟ وأرى - ويتفق معى كثير من الباحثين - أن الشخصية المصرية الحالية هى مزيج من ثقافات مختلفة ، أثرت فى حياة هذا الشعب الفرعونى وفكره ، بنسب متفاوتة ، وفقاً لمدى تقبله ، أو رفضه لبعضها ، فلا أحد يستطيع أن ينكر أثر الثقافة اليونانية والرومانية .. والديانتين المسيحية والإسلامية ، ناهيك عن اثر اللغة العربية والثقافية العربية ، والتداخل بين الحضارات المجاورة جميعها ، ليس بالغزو فقط ، ولكن بالاتصال بالحضارات القديمة والجديدة ، والاتصال بالأجناس المختلفة بالترحال أو التجارة ، ووفود فئات من الترك ، والفرس ، والعرب والبربر ، وانصهارهم فى الروح المصرية .. حتى لا نكاد نميزهم الآن بين الجمهور المصرى الصميم .. وحتى أنه يصعب الآن تحديد العنصر المصرى الخالص .. ولا اتصور وجود خلاف بين الباحثين، أو حتى بين العامة من الناس ، على خاصية مصر فى الجذب والصهر .. فقد اجتذبت مصر عبر الأجيال العديد من البشر من كل جنس ولون ، جاءوها غزاة فاتحين ، أو تجاراً ، أو مغامرين أو مهاجرين ، واستقروا

بها ، وذابوا فيها ، فتكلموا عاميتها وبرعوا فيها كأهلها ، ومارسوا عاداتها وتمسكوا بها ، وكأنها عاداتهم الأصيلة ، وعاشوا مصر حتى النخاع، حتى لا يكادون يميزون عن أهلها ، ولا يستطيعون هم أنفسهم أن يميزوا أنفسهم عن المصريين ، اللهم إلا فى حكايا الجدود عن الأصل والمنشأ ، بل إن روح الفكاهة والسخرية المصرية ، وهى أبرز سمات المصريين قد تلبست هؤلاء الوافدين ، فجرت على ألسنتهم جريانها على ألسنة المصريين الأصليين ، وتشير د. فاطمة المصرى إلى نفس الفكرة قائلة :

«إن الشخصية المصرية شخصية عربية ذات ذاكرة تاريخية، تجعلنا نحتفظ ضمن اللاشعور بماضينا السحيق ، فتحدد لنا الكثير من سلوكنا وقيمنا وآدابنا الاجتماعية ، على أننى لا أقف بالذاكرة التاريخية عند الحد الذى أوضحه لها (هالفاكس) من ارتباط بالماضى القريب بل أتعدى ذلك إلى ماضى البشرية برمتها إلى الماضى السحيق..

«إذن فماضينا يغلب علينا ويرسمنا بصفات تميزنا عن غيرنا حتى لو تشابهنا . فها هم العرب جميعاً يتفقون فى صفات جوهرية رئيسية . ولكنهم مع ذلك يختلفون من بلد إلى آخر فى تفاصيل ، تلك الصفات . وذلك يبدو بجلاء بين المصرى والسعودى النجدى والسورى الصميم . والأمثلة على ذلك كثيرة ومعروفة لنا جميعاً» (١).

(١) د. فاطمة المصرى ، الشخصية المصرية ، ص ٦، ٧.

ونذهب إلى أكثر من ذلك فنقــول بوجــود اختلافات بين سكان بلد أو مدينــة وأخــرى ، داخل مصــر نفسـها ، أو بين سكان الريف، وسكان المدن، وسكان الصحارى ووديان الجبال .. لكن تجمعهم فى النهاية سمات عامة سائدة ، تعكس بعض التجانس ، وبعض التباين ، وفقاً للمؤثرات الاجتماعية ، والثقــافية ، والنفســية ، والدينيــة أو الاخلاقية ، بما تفرضه التقــاليد والعــادات ، والمعتــقدات أو الموروثات الشعبية المتعلــقة بطبيعــة كل منطــقة وظروفــها البيئية ، وتداخل عوامل أكثر من أن نحيط بها أو نحصرها ، تتفاعل فيما بينها : لتنتج سلوكاً يتصف بصفات معينة لها خصوصيتها .

ومن الاختــلافات الفــردية أو الجمــاعية التى تفرق بين أفراد الشــعب الواحد وجمــاعاته شــبكة مــن العــوامل يمكن أن نوجزها فيما يلى :

١ - البيئة الاجتماعية : المدينة ، القرية ، أطراف المدن ، الصحراء والجبال .

٢ - المستوى الاقتصادى : ثرى ، متوسط الحال ، فقير ، معدم.

٣ - العمل أو المهنة : عامل ، فلاح ، موظف ، صاحب عمل أو تاجر، وأيضاً (عاطل أو طالب) أو طفيلى ، أو «أرزقى» كما يقولون.

٤ - القناعات الإيمانية : متدين ، متعصب ، علمانى، ملحد

(وينضوى تحت هذا التقسيم فئات أخرى هى «متزمت ، مرن ، منحل»).

٥ - المستوى التعليمى : مثقف ، متعلم (عال أو متوسط) ، ملم بالقراءة ، وأمى.

ذلك بالإضافة إلى العوامل النفسية المتعلقة بشخصية كل فرد ، من حيث اتجاهاته الاجتماعية ، كانطوائه أو انعزاله ، أو نظرته التشاؤمية ، أو شخصيته المنبسطة المتفائلة ، وما إلى ذلك من فـروق فردية ، تحكمها عقده النفسية ، ونشأته وتربيته .. لكننا وإن وضعنا ذلك فى الاعتبار ، سنجد أيضاً سمات عامة سائدة تحدد ملامح الشخصية القومية المصـرية ، وتشـترك فيها الأغلبيـة العظمى ، وهى القاعدة ، وما عداها حالات فردية شذت عن القاعدة ، أو هى فروق فردية تميز كلا منا عن الآخر ، فمن غير المعقول أن يكون شعب ما نسخا كربونية مكررة.

ومن محصلة ما كتب عن الشخصية المصرية نستطيع أن نستخلص عشرات السمات ، وننسبها إلى أصحابها ، ثم نحاول فيما يلى من فصول دراسة كل سمة من هذه السمات ، وكيف عبرت عنها الأمثال الشعبية دحضاً أو تأييداً : لنخرج بصورة أو «بورتريه» للشخصية المصرية ، تبرز فيها عشر سمات أساسية ، وما يتفرع عنها من سمات ثانوية ، فى حدود العشر أيضاً .

ولنبدأ بالسمات التى استخلصتها من رؤية إبراهيم أبو سنة فى دراسته لفلسفة المثل الشعبى . فهو يرى أن المصرى:

حساس ، سريع الانفعال ، يعشق الحرية . لديه روح المقاومة ، شجاع يحب الاستقرار (بوصفه فلاحا). تفكيره غيبى محب للفكاهة خاصة الفكاهة العارية (وهى وسيلته للتنفيس وإظهار أعماقه الحزينة) . سلبى فهو (يصبر وهو مؤمن بأن الله ينصر الخير دائماً) . متسامح (فالصبر والتسامح نوع من المقاومة الشعبية المصرية) . يهرب من المجهول ومواجهته ويسلم بالواقع ، متفائل تفاؤلا غامضاً غير مبررلربما ناتجا عن إيمانه فى الغد الأفضل) يستجيب سريعاً للحزن (روح عاطفية حزينة) .يكره الغربة ويشكو منها ، ويشعر بالضياع فى الغربة (حتى أنه اعتبر الفقر غربة نفسية). متدين (فالمنهاج الدينى هو المنهاج الأساسى والثقافى لديه). يؤمن بخلود الروح ، ويهتم بالموتى ، يؤله القدر وابنه الصبر ، وسفراءه البخت والحظ والنصيب. يؤمن بالفردية المطلقة (وهى عنده ممثلة فى شخصية جحا التى يعتبرها قمة الحكمة والحماقة معاً).

أما أحمد صادق الجمال صاحب كتاب «الأدب العامى فى مصر» فيرصد سمات الشخصية المصرية منذ أقدم العصور، قائلاً :

«المصرى معروف بخفة الروح منذ أقدم العصور، تجده متناقضا مع

نفسه ، فبينما هو يعانى حزناً وألما يطلق نكتة لا تجعل السامع يراعى المقام ، فلا يتمالك نفسه من الضحك، وكما اختص المصريون بالفكاهة والملحة والنكتة النادرة اختصوا كذلك بالسخرية اللاذعة والتهكم الذى يصل فى بعض الأحيان إلى درجة الفحش فى الهجاء ... فهم إن أحسوا بظلم الحاكم ليس لديهم سوى اتخاذه مادة لسخريتهم وتهكمهم .. والتلاعب بالألفاظ .. والتورية العميقة .. وقد استخدم التورية فى الفكاهة فحملها أعمق المعانى(١) .

وقد حرصت أن أورد فى البداية آراء من تناولوا الشخصية المصرية من منطلق دراسة الأدب الشعبى وفلسفته ؛ لأنها فى تصورى المنطلق الصحيح للاقتراب من شخصية أى شعب . وقد أضاف الجمال إلى ما سبق بعض السمات المصرية ، التى رصدها من خلال دراسته للفكاهة فذهب إلى القول بأن المصرى يسخر أحياناً من نفسه وأهله ، ويضحك الناس عليهم ، فيما يسمى التحامق .. بأسلوب المضحك المبكى ، خاصة إذا ما كان يسخر من موضوع مؤلم . فهذه طبيعة المصريين الذين يمزحون فى ساعات الضيق . ويخلطون الجد بالهزل . والسخرية بالحقيقة (٢).

ولعل الجمال هنا قد لمس من خلال دراسته للأدب العامى عصبا

(١) أحمد صادق الجمال ، الأدب العامى فى مصر ، ص ٨٣ ،٨٤.
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٥ .

مهما فى الشخصية المصرية ، وهو أحد أهم سلبياتها ، وهو خلط الجد بالهزل ، وهو إن كان يراها ميزة فى الفكاهة المصرية، فهى فى رأيى عيب كبير فى شخصية المصرى ، تقلل من مساحة الجد الفاعل فى الشخصية القومية لأى شعب .. خاصة إذا ما قارنا فى هذا الصدد بين المصرى واليابانى أو الإنجليزى كمثال .

أما التقسيم الذى قام به فريق من باحثى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى دراستهم للبيئة المصرية ومشكلات المجتمع المصرى فلابد من الإشارة إليها - رغم اختلافنا مع هذه التقسيمة فى بعض التفاصيل والتفريعات كما سأوضح فيما بعد - فقد رأوا أن المصرى قد خلط بين الأضداد والمتناقضات . فخرجت الشخصية المصرية ذات نمطين كل منهما يحوى جملة سمات ، وقد سموا النمط الأول «ابن البلد» ، والثانى «الفهلوى» ، وقالوا بأنه لا يوجد حد فاصل بين النمطين إلا شكلياً ، فالمصرى غالباً ما يجمع فى طيات شخصيته بين سمات النمطين معاً بتداخل .

وذهبت هذه المجموعة من الباحثين إلى أن شخصية «ابن البلد» تتألف من ثلاث مجموعات من الخصال المركبة :

فالمجموعة الأولى : التى أطلقوا عليها اسم «الجدعنة» ، ينضوى تحتها الشخص الجدع ، وهو عندهم : «الناصح ، الذكى، الكريم ،

الشجاع ، الذى يتميز بإيمانه بالعلم والعمل ، وتعينه على ذلك صفاته المميزة ، وهى المهارة والذكاء وسرعة الفهم والبديهة ، وقوة الذاكرة ، وهو يرفض التبعية والتواكل .

أما المجموعة الثانية : وهى ما سميت «ابن نكتة» فيندرج فيها الشخص الضاحك المشرق الوجه ، الشديد الشغف بالنكتة والمرح ، حتى فى وقت الشدائد ، وهذا الشخص يرضى بما قدر له ، ويأمل فى رحمة ربه حتى يأتيه الفرج ، وروحه متفائلة ، ولديه أمل فى المستقبل ، وهو ذو حس جمالى ذواق ، خصب الخيال ، وله قدرة على الإبداع والخلق والابتكار ، وهو صدوق ودود ، يؤمن بالصداقة ويقدسها .

أما المجموعة الثالثة : فتضم الانسان الطيب ، الذى يتصف بالتدين والكرم فهو مضياف محسن ، صبور قانع لا يهمه المظهر ويتسم بالجدية والعدالة .

ويذهب هؤلاء الباحثون ، فى تقسيمهم للشخصية المصرية إلى نمطين، إلى تقسيم النمط الثانى وهو «الفهلوى» (★) إلى أربع مجموعات ذات خصال مركبة لكل منها ملامح محددة وهى :

(★) استخدم هذه التسمية د. حامد عمار فى كتابه «بناء البشر» ويعتبرها صفة للشخصية القومية بوجه عام، وقد أضاف مؤلفو «التربية ومشكلات المجتمع» إلى ذلك «ابن البلد» إذ يرون أن « الفهلوى » يعبر عن الشخصية غير الأصيلة بالنسبة للمصرى.

المجموعة الأولى : وتتصف بالزلفى والاستكانة ، وسماتها المميزة الانتهازية ، والنفاق ، والأنانية ، والحقد ، واللامبلاة ، والسخرية والحزن ، والكآبة كصفة ملازمة للسخرية.

والمجموعة الثانية : وتتصف بالتواكلية ؛ وذلك لاعتمادها على البخت والحظ والقدر والمكتوب والقسمة والنصيب ، وإن كنت أرى أن مجموع الشعب المصرى كله يؤمن بهذه الأشياء بنسب متفاوتة ، كما تعبر عن ذلك أمثاله العامية وكما سيتضح فيما يلى .

المجموعة الثالثة : العاطفية المتزايدة أو المبالغ فيها ، ويتضح ذلك من إسرافها فى الأفراح والأحزان ، نظرا لعدم قدرتها على الانضباط الانفعالى ، كذلك عدم إتزانها وسرعة انفعالها . وحتى هذه الصفات أرى أنها قد بدأت تخف حدتها مؤخراً .. فلم تعد المغالاة فى إظهار الحزن سمة مصرية سائدة رغم أنها كانت سمة راسخة قبل عقود.

المجموعة الرابعة : المظهرية كاتجاه يعبر عن قصر النظر ، والخواء الفكرى ، والبعد عن جوهر الحياة والتمسك بقشورها (★).

وتبرز هذه السـمات الأخيرة بالذات لدى الفقراء إذ يهتمون بمظاهر كاذبة يخفـون وراءها شـعورهم بالدونيـة ، ويظهرون أثرى من الواقع ، فى حين نرى بعض الأغنيـاء يبدون تواضعاً ، ويخفون ثرواتهم خوفاً من الحسد.

(★) راجع عبد الهادى عفيفى وآخرون ، البيئة ومشكلات المجتمع ، الانجلو.

أما الدكتور سيد عويس أبو الاجتماعيين وشيخهم ، الذى اهتم فى مؤلفات عديدة بدراسة ملامح المجتمع المصرى وسماته من خلال الأدب الشعبى تارة ، ومن خلال «هتاف الصامتين» تارة أخرى - وهى دراسته الرائعة للعبارات المكتوبة على السيارات والمقطورات - وأيضاً تلك الدراسة الفذة للرسائل التى يرسلها المصريون للإمام الشافعى ، والتى تكشف عن نفسية المصرى البسيط ، فى تعرية للذات أمام ولى من أولياء الله ، الذين يؤمن غالبية المصريين - بنسب متفاوتة أيضاً - بكراماتهم .

وقد استخلصت من كل هذه الدراسات رؤية دكتور سيد عويس للمجتمع المصرى الذى يرى : أنه مجتمع فريد متميز عمن حوله ، رغم وجود تشابه وتفاوت بينه وبينهم ، وهو أصل حضارة الإنسان منذ وجد، وهو مصدر للقيم الاجتماعية ، وهو مجتمع لم يفن ، ولم تتغير خريطته رغم الحكام والطغاة ، وسنوات القهر والمعاناة .

أما رؤيته للإنسان المصرى فتتلخص فى أنه :

إنسان يقدس الأم ويقدس بيته ويحبه ويدعو إلى صلة الرحم ، رغم حذره من الأهل وتحسبه منهم . إذ أن له دستوره فى الحب والعشرة والصداقة والجوار . ونادراً ما كان أعزب . فهو يقدس الزواج ويحرض عليه مبكراً ، يقدس الحياة الزوجية ، ويسعد بالإنجاب . وعلاقته بأبنائه

طيبة بل رائعة ، ويفضل الذكور على الإناث . ذلك أنه يؤمن بديمومة الحيـاة. ومن هنـا فأبناؤه امتداد له ولحياته . والمصرى يقدس الأموات ويعتقد فى نفوذهم وتأثيرهم فى حياته. ذلك أنه يؤمن بالأساطير. والأولياء وبركاتهم . فالشعب المصرى شعب متدين ، يؤمن بالروحانيات . لديه إيمان عميق فى أمل موعود ، لذلك فهو زاهد يرضى بالقليل . وهو مبالغ فى مشاعر حزنه وفرحه وحتى أكله ، وهو يتميز بالذكاء والتلقائية والعيش على الفطرة والمصرى يتمسك بالقديم والموروث(★).

ورغم ما رصده دكتور عويس من ميزات للإنسان المصرى نراه أيضا - وبمنتهى الموضوعية - يرصد له بعض العيوب والسلبيات ، وهى:

الأنا وانعـدام روح الفريق والمظهـرية . والنهـم والإستهلاك والتـواكل . والسـلبية والإنكفـاء على الذات . والنجـومية وحب التفرد ، واختفاء التفاؤل بعد أن كان سائداً .

ويرى دكتور عويس أن هذه السلبيات لم تكن موجودة . لكنها ظهرت؛ نتيجة للظروف الاقتصادية .. وأتفق معه فى ذلك إلى حد بعيد . فالظروف الاقتصادية بحلوها ومرها تصنع البشر ، وتؤثر فيهم بشدة ، ولعلها السبب الأساسى الذى من أجله انقلب السلم القيمى المصرى منذ

(★) راجع د. سيد عويس ، من وحى المجتمع المصرى المعاصر .

عقد السبعينات وما تلاه ، وحتى الآن ، فتقديس المال ، والأسلوب الاستهلاكى الاستفزازى ، والمظهرية الكاذبة ، لم تكن من السمات السائدة قبل ذلك ، بل كان محلها القناعة والرضا بالقليل ، وتقديم قيمة العلم على المال .. إلى غير ذلك من سمات يعد من نافلة القول تكرارها ، أو التأكيد عليها كسمات طفت على السطح ، وبرزت وتقدمت غيرها من السمات ، التى طالما تميز بها الشعب المصرى عبر قرون، ولعلها طفت على السطح فى معظم أنحاء العالم أيضاً نتيجة للتقدم المادى.

يجرنا ذلك إلى الحديث عن نقطة مهمة وأساسية فى دراسات الشخصية القومية ألا وهى عدم جمود الشخصية القومية ، بل يمكن القول بديناميكيتها ، وتغيرها ، أو على الأقل تقدم سمات ، وتراجع أخرى بالتبادل ، عبر العصور والحقب ؛ نتيجة لتأثير عوامل سياسية واقتصادية تؤثر فى المجتمع ، وتشكله أو تعيد تشكيله ، وتعيد ترتيب سماته ، فتكمن بعض السمات لفترات ، ثم ما تلبث أن تظهر مرة أخرى، وهكذا وفقاً للظروف المتغيرة .. مع الاحتفاظ - بالطبع - بالسمات الأصيلة الراسخة ، التى يمكن إعادة بعثها بتغير هذه الظروف، وببرامج التنمية البشرية وبحملات التوعية والتنوير؛ ولذلك حرصت على الإطلاع على دراسات الشخصية عبر العصور؛ للتعرف على هذه السمات الأصيلة التى لم تتغير، بل كمنت إلى حين، والتى

يذكرها معظم الباحثين .. ولنأخذ نموذجاً لذلك من كتاب «ملامح الشخصية المصرية فى العصر المسيحى» لمؤلفه رأفت عبد الحميد الذى أكد على سمة أساسية وهى التقوى والتدين ، فالمصرى متدين بفطرته ، سواء مسيحى أو مسلم ، أو حتى فى عصر ما قبل الميلاد ، إذ يتضح لنا من التاريخ الفرعونى أنه كان يقدس آلهته، ويمنحها القرابين ، ويقدس رجال الدين أو الكهنة ، ويحترم كل رموز الألوهية ، ويمارس طقوساً دينية صارمة .. ويقودنا ذلك إلى العودة لما رصده رأفت عبد الحميد فى كتابه السالف الذكر، كأبرز مميزات الشخصية المصرية ، والتى بدأها :

بالتقوى والتدين والبساطة . والاطمئنان إلى المعتقد أو الوحدانية والبعث، ومزجه الدين بالدنيا والحياة ، والروحانية التى تمثلت فى تحويله لأحداث البطولة إلى أسطورة أو ملحمة شعبية ، وعناده وإصراره حتى الاستشهاد . ذلك أن روحه صامدة تأبى القهر ، وتتميز بالبسالة والشجاعة والاباء، خاصة فيما يتعلق بالمعتقد الدينى (★). والمصرى صاحب فكر ، ومحب للحرية . لذلك فهو يخاف من الاضطهاد، خوفا يصل إلى حد العقدة . وقد خلق الاضطهاد - الذى عانى منه المصرى - لديه روحا زاهدة (★★).

(★) لعل تاريخ الشهداء المسيحى فى مصر خير شاهد على ذلك .

(★★) راجع رأفت عبد الحميد ، ملامح الشخصية المصرية فى العصر المسيحى.

ولعل ذلك ما يفسر لنا الدور العظيم الذى قامت به مصر بالنسبة للديانة المسيحية ، وخلق الرهبانية ، وبعث الروح القبطية كنظام مستقل ، له فكره ، ومذاهبه ، ومراسيمه اللاهوتية، المتميزة٤٨كنسى عن غيرها من المذاهب المسيحية العالمية ، فروح مصر قادرة على العطاء بأكثر من قدرتها على الأخذ ، وذلك ما يؤكده أيضاً د. ميلاد حنا فى كتابه «الأعمدة السبعة للشخصية المصرية» فى حديثه عن العصر القبطى كرقيقة من الرقائق المتعاقبة المكونة للشخصية المصرية .

ونعود مرة أخرى إلى الكتب التى اهتمت بدراسة الشخصية المصرية من خلال الأدب الشعبى ، وتحديداً المثل الشعبى سواء كان هدفها دراسة الشخصية المصرية كدراسة اجمتاعية ، أو دراسة الأمثال المصرية كدراسة أدبية عبرت عن النفس المصرية ، وسماتها الشخصية، وقناعاتها، ومن هذه الدراسات نذكر كتاباً اهتم برصد الأمثال أكثر من اهتمامه بتقويم الشخصية ، لكننى خلصت منه إلى سمات وردت فى إطار ما ذكره المؤلف من أمثال ، فهو يرى أن المصرى :

طيب القلب ، صبور ، حكيم ، مجرب . لماح ، يمتاز بروح المرح والفكاهة أو الدعابة ، حتى فى أحلك الأوقات ، وهو يقدس الأرض والفلاحة ، ويحب الزراعة ثم التجارة ، ولديه قدرة ناقدة ، أو روح ناقدة تتميز بالفكاهة ..

ويرجع ذلك إلى المنابع التى نهلت منها الشخصية المصرية وهى:

الحكمة ، والقناعة ، والإيمان ، وروح الفكاهة ، فالمصرى المؤمن المتسامح غير المتعصب فى معاملاته الاجتماعية. عبرت أمثاله عنه فدعت إلى الصبر ، والرضا بالمقسوم والمكتوب ، والقناعة وقبول الحياة بحلوها ومرها (★).

وأخيراً يجب أن نذكر أحد أهم الدراسات الحديثة للشخصية المصرية من خلال الأدب الشعبى ، والتى كانت فى الأصل دراسة لنيل درجة الدكتوراه ، وهى دراسة اجتماعية ونفسية - وليست أدبية - استخلصت فيها الباحثة (★★) سمات للشخصية المصرية ، سأعتمد عليها فى تحليلى لمضمون الأمثال العامية المصرية ، إلى جانب السمات التى رصدتها دكتورة نعمات فؤاد ، رغم ميلى إلى الاعتقاد بأن الدكتورة نعمات فؤاد عاشقة لمصر والمصريين ، بشكل عاطفى عنيف، جعلها تهتم بالتركيز على الإيجابيات مع مجرد رصد للسبيات أو لنقل على الأقل انها ركزت على السمات الطيبة وأكدتها، ومرت مرور الكرام على العيوب والمثالب فى الشخصية المصرية ، ولعل مرد ذلك إلى الفترة العصيبة التى وضعت فيها مؤلفها القيم «شخصية مصر» عقب نكسة يونيو ١٩٦٧ .. وإن كنت سأورد فيما يلى السمات التى رصدتها دكتورة

(★) راجع محمد صفوت ، الأمثال الشعبية .

(★★) د. فاطمة المصرى.

فاطمة المصرى بعد دراسة علمية ميدانية ، والسمات التى رصدتها دكتورة نعمات فؤاد بعد دراسة تاريخية أدبية فيها تغليب للعاطفة ، لأبنى تحليلى عليهما معاً ؛ كى أخرج بنتائج أقرب إلى الحقيقة ، دون تغليب للعاطفة وحدها ، أو العقل وحده ، فدراسات الشخصية ، ليست من الجمود بحيث تُدرس معمليا أو ميدانيا فقط ، وليست من الأمور التى تحتمل التنبؤ والاستقراء، والإتيان بالنماذج والأمثلة المؤيدة للجانب الإيجابى فقط، حتى ولو كانت هذه النماذج حقيقية من قلب التاريخ ومن واقع الحياة .. فدائماً إلى جانبها نجد شواهد أخرى تدحضها ، وتؤكد عكسها، إذا ما أردنا تقليب صفحات التاريخ .. خاصة وأن الشعب المصرى غالباً ما يفاجىء العالم بل ويفاجىء نفسه بأمور غير متوقعة ، وأحداث غير منتظرة ، فقانون الصبر والثورة عند الشعب المصرى قانون فريد من نوعه فى العالم ، لا يمكن التنبؤ به ، ولعل أبرز مثل من التاريخ على ذلك ما أفشـل ثورة عرابى من خيانة، وهو ما عبر عنه المثل الشعبى القائل : «الولس قـتل عـرابى» ، وأيضاً كمثال من التاريخ المعاصر ما أسفر عنه حادث المنصة الشهير فى أكتوبر عام ١٩٨١، من اغتيال الرئيس السـادات ، وسط جنده ، وضيوفه فى مظاهرة عسكرية مهيبة ، وممن ؟؟؟؟! من شاب متدين أشد ما يكون التدين ، وبعد سـنوات قليلة من نصر عسكرى باهر (فى أكتوبر

١٩٧٣) وهو أمر لا يتفق وطبيعة الشعب المصرى الطيب المتسامح الصابر ، الذى طالما صبر على قهر حكام وطغاة غير مصريين ، ولم يمارس حيالهم مثل هـذا المشـهد الدموى البشـع الذى يخالف طبيعته، فهو من ثـار ثـورة بيضـاء عام ١٩٥٢ ، ولم يمارس حيال طاغية تركى فاسـد وأسرته ، ما مارسـه مع ابن بلده ، بل تركه يغادر مصر بسلام - مع الفـارق بالطبـع فى الظرف التاريخى والدافع - لكنى هنا أرصد الحدثين من منطلق توائم مع الذات المصرية ، وطبيعتها السمحة.

وهنا نعود ثانية إلى السمات التى رصدتها «دكتورة فاطمة المصرى» فنوجزها فيما يلى :

- تمجيد المال ، والعمل (فالجانب الاقتصادى مهم فى حياة الشخصية المصرية).

- الاتجاه إلى الله والتعلق بالأمل فى التعويض ، فى الآخرة والجنة.

- السخرية من تبدل الطبقات .

- الأنين من الظلم ، وإلقاء اللوم على أشياء غيبية كالأيام.

- اللمسة الفرعونية ، المتمثـلة فى الاعتـزاز بالـذات حتى بالنسبة لأشـد النـــاس هواناً (وإن كانت غير معلنة وتتداول فى الخفاء) .

- الطاعة للسـلطة ، وولى الأمر أيا كان (فالمصرى عندها سلطوى خاضع).

- تقدير الذات ، والشعور بعدم تقدير الآخرين له ومعرفة قدره.

- السخرية من الحاكم بشكل دائم (لطغيانه وكتمه للأنفاس).

- المصرى فنان بفطرته لذلك يستشعر الفن ويردده ويحبه ويقدره (فهو مولع بالغناء - يقدر الفنانين - يغنى فى كل وقت) .

- المصرى مغرم بالاستقرار ، ويعشق الأرض ، ويرفض الغربة، ويتباكى على الوطن (بسبب طبيعته الزراعية).

- يؤمن بالقدر ويستسلم له ويتحمله ، ويمتثل لمشيئة الله .

- يستسلم للوضع القـائم لفترات طويلة دون محاولة للتغيير أو تقدير المستقبل .

- يشعر بالنقص أو بالدونية ، ويميـل إلى الحزن والمأسى والحسرة.

- روح الفكاهة والسخرية المريرة ، التى تصل إلى حد الضحك من البلايا.

- الذكاء وسرعة البديهة (وهى أمور تخدمه فى مجال الفكاهة) .

- روح المصـرى تميل إلى ما يمكن تسميته «بالتهـكم الاجتماعى» الرامى إلى الإصلاح ، فيما يشبه السخرية المتفلسفة.

- الانتقام عن طريق السخرية .

- صفاء المزاج المصرى وميله للصراحة والبساطة .

- المصرى يشعر بالأمان إلا بالنسبة لغدر الزمان .

- المصـــرى مؤمن غير متشكك فى المصير .. وإن كان يقدس الموتى، مع إيمانه وتسليمه بأن الموت حق وطريق لابد من وروده .

- قوة شخصية وجاذبية خاصة تؤثر ولا تتأثر (بدليل أن المصرى لم يتأثر بالغزاة ، ولكنه أثر فيهم).

- السلبية وتعليق الأمور كلها على عاتق المسئول، سواء كان الأب ، أو الحاكم ، أو السلطة .

- يميل المصرى إلى المرح واقتناص فرص الفرح والتفاؤل ، رغم الشجن.

- الإنسان المصرى ذو خبرة بالحياة ، ويعلم أنه لا دوام لحال مهما طال.

- المصرى لا ينشد الكمال ، فهو مقتنع بأن الكمال لله وحده .

- المصرى يتميز بالغفلة عن العواقب ، والانصراف عن المشاكل (كما يرى ابن خلدون).

- المصرى يقدس القناعة ويرضى بالقليل .

- للإنسان المصرى ذاكرة حافظة خاصة بالنسبة لتراثه (والدليل

على ذلك حفظه للأمثال عبر القرون منذ القرن التاسع الهجرى ، وأيضاً بعض الأمثال الفرعوية مازالت باقية) (★).

كل هـذه السمات استخلصت من الدراسة العامة للفولكلور المصرى، السـيرة، والأغنية الشـعبية ، والموال ، وإن ركزت بعد ذلك على بعض السمات التى برزت بشكل خاص من خـلال الأمثال الشعبية ، سأشير إليها فى حينه فى سياق تحليلى لمضمون الأمثال الشعبية .

أما دكتورة «نعمات أحمد فؤاد» فقد استخلصت من حديثها العذب المتغنى بالشخصية المصرية عبر العصور ، وحتى الآن العديد من السمات الإيجابية الكثيرة ، فى مقابل عدد من السلبيات التى رصدتها فى نهاية كتابها على استحياء وباختصار وإيجاز ، لا يتفق وما أسهبت فى التغنى به من ملامح طيبة فى الشخصية المصرية .. رغم أن معظم هذه الملامح والسمات قد تلاشت الآن - أو كادت - لدى غالبية الشعب المصرى ، فى إطار الانقلاب القيمى، الذى بدأ منذ عقدين على التقريب، هذا وسأركز على ما ذكرته الدكتورة «نعمات فؤاد» كسمات حالية، وليس عبر العصور التاريخية؛ لأنها الآن سمات شبه منقرضة كما أتصور ، واعتقد أن الكثير من المصريين يتفقون معى فى هذا التصور،

(★) راجع د. فاطمة حسين المصرى ، الشخصية المصرية من خلال دراسة بعض مظاهر الفولكلور المصرى - دراسة نفسية تحليلية إنثروبولوجية - مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وستثبت الدراسة ذلك فيما يلى من فصول، بعد ذكر هذه السمات والسلبيات وهى:

- الودادة، والوداعة ، والسماحة ، والشفافية، والطيبة ، ورقة الإحساس.

- التعاطف ، ونزعة التوحـد والتعـاون وروح الفريق (أين هى الآن ؟).

- التوحيد والإيمان.

- روح التصوف والروحانية .

- النظافة «كانت عند المصريين عقيدة قبل أن تكون سبيلاً للصحة» (أين هى الآن؟).

- التلقائية والفطرة .

- الرغبة فى الاستشهاد والجهاد (استعذاب الألم).

- الاعتزاز والفخر بالماضى .

- الاعتزاز بالوطن والشغف بالبلاد .

- الجلد والإصرار (حينما يريد ذلك).

- نزعة التنظيم والتنسيق والتحديد (التنظيم الرئاسى).

- مطبوع على الجمال ، ذواقة له .

- الظرف والصفاء.

- عدم التزمت .

- العطاء والوفاء والسخاء.

- طبع فنان (أهل مصر كانوا أصحاب فن وأهل ذوق وعشاق تطريب).

- دقة وتنوع فى الفن .

- حسن شاعر مرهف .

- حب المساواة ورفض الطبقية.

- عدم الاستخفاف والهدر (أين هو الآن؟!)

- الإحساس بالقيمة (أين هو الآن؟!)

- السلام وسكون النفس المصرية .

- القوة والجبروت (برغم رقته).

- الارتكاز والثبات والدوام .

- روح السخرية والفكاهة ، وخفة الظل ، والقدرة على التندر والتهكم.

الاهتمام بالجوهر وتقدير القيم والمعانى (تقدير الكتابة والكتاب والعلم).

- الشخصية المؤثرة .

- وقدة حس وذهـن ، تزيد الذكاء اللمـاح بريقـاً وسـحراً وبديهـة حاضرة.

- المهارة والحيلة والذكاء (أى الفهلوة المصرية).

- مروءة وشهامة ، وبارقة رحمة .

- التهويل مزاج مصرى ، والإفراط فى المباهاة والتزيد فى الحديث.

- المبالغة فى التصرف (المظاهر المكلفة).

- حكمة النصيحة .

- اصطناع الصبر والأناة والسكينة والهدوء فى مقابلة الأحداث .

- المزاج المصرى يرتاح إلى التكرار.

- إيمان بالغيبيات والكرامات (إيمان مؤيد بالأدب الشعبى).

- الرغبة في تأكيد الذات.

- المصرى متحضر حضارة ذات مستوى رفيع .

- الزعامة المصحوبة بقوة الإبداع والصلاحية للقيادة (كما يبدو من بناية الهرم).

- الجرأة وإرادة التصميم وعزم التنفيذ.

- النضج النفسى نتيجة للبناء والاختراع والتفوق فيهما .

- نضج حضارى مستقر فى النفس المصرية .

- الاستكانة والخضوع للغزاة!!.

- الانبهار بالغريب .

- معرفة بالأصول والعيب (قيم أخلاقية).

- التقوقع على الذات لإعادة صياغتها .

- الشخصية المصرية لا تستسلم أبداً ، مهما طال الزمن ، ولكن تكمن لتثب .

- الوحدة خط عريض من خطوط الشخصية المصرية .

- المصرى لم يعش ترفا حقيقيا لذلك لم يضعفه الترف (★).

وإذا كانت الدكتورة نعمات فؤاد قد رصدت خمسين سمة تراها الآن كسمات إيجابية فى الشخصية المصرية، ناهيك عما رصدته لها عبر العصور القديمة -الفرعونية والمسيحية والإسلامية - من سمات تؤكد أنها لم تتلاش ولكنها تكمن جميعها فى أعماق الشخصية المصرية المعاصرة، فالمصرى عند نعمات فؤاد له موقف وعطاء طوال تاريخه ، فهى ترى أن:

خلاصة المصـــرى القديم حضارة

خلاصة المصرى المسيحى تجرد وشهادة

خلاصة المصرى المســلم جهاد وخلوص لله

خلاصة المصـرى المعاصر أسلوب تفكـــير تتوافق فيه الوسيلة مع الغاية.

(★) راجع د.نعمات أحمد فؤاد، شخصية مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وتختــلف الأديان والعصــور والمصــرى يجمــع فى كيــانه هؤلاء جميعاً (١).

ولذلك نجد د. نعمات فؤاد لا ترصد للمصرى - الذى تراه قمة التحضر وخلاصة عدة حضارات وأديان - لا ترصد له من السلبيات إلا ما يتعلق بالسلوك وليس بالطباع الثابتة ، وهى على أى حال أقل عدداً قياساً بالإيجابيات .. لا بل وتتناقض مع بعض ما ذكرته أنه إيجابيات .. فالسلبيات كما تراها هى :

- فردية متضخمة مريضة .
- سلبية وتفريط.
- شخصية الخولى (فى مراكز السلطة).
- سوء فهم للتقدم والتخلف.
- تبعية فكرية .
- افتقار للوعى الدينى.
- التواكل أو الإتكالية (المشيخة بمعنى أن تعمل القرية شيخا وتصدقه).
- مفهوم خاطىء للولاية والأولياء.
- مرض الاسترخاء الفكرى.

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٩١ .

- كبت الحرية الفكرية .
- نفوس مبعثرة من الداخل .
- فخر إلى حد الطنطنة (أو تهوين بالنفس إلى حد فقدان الثقة).
- شكوى الزمان ، والخوف من السرور .
- المصابرة والمراوغة.
- عدم الشعور بضمان الأيام والدهر وما يخبئه .
- نهم فى الحياة الاقتصادية ، والخلقية (الاستهلاك نتيجة لعدم ضمان بكره) .
- الكسب بطريقة مشروعة أو غير مشروعة وبسرعة .
- عدم الثقة بأى نظام سياسى.
- الطابع الغيبى فى التفكير .
- التخفى والاحتيال .
- الخوف .
- الرضا والتفويض والتسليم بقضاء الله .
- الحزن الشديد عند الموت (ممثلا فى زيارة الأضرحة والرحمة والقرابين).
- التقليد إلى حد المسخ (فلم يعد للمصرى أسلوب خاص).
- عقدة الخواجة .

- إشاعة العبارات الدينية فى الحديث دون عمل خيرى فعلى .
- أمية العقل والشعور .
- القذارة .
- الفضول .
- افتقاد القيم الحقيقية .
- الافتقار إلى منهج (الإرتجال).
- المداهنة والنفاق .
- التطرف فى الحب والكراهية (وبالتالى فى المدح والذم).
- خلع الألقاب جزافاً .
- عبادة وتقديس السلطة ورفعها ، والذل والاستكانة.
- عدم احترام العلم ، وعدم الإيمان بالتخصص.
- الثرثرة.
- إضاعة الوقت . والفراغ والهدر.
- المظهرية والمبالغة والتهويل .
- الإنسان الصفر (ضياع الفرد) (★) .

من كل ما سبق نستطيع أن نلحظ مدى التطابق بين الباحثين فى رصد العديد من السمات ، فى حين ينفرد بعضهم بسمات لم يذكرها

(★) راجع د. نعمات فؤاد ، شخصية مصر ، ص ٢٧٧ وما يليها.

غيره ، ولكل منهم حجته وأسانيده ، لكن الذى لاشك فيه أن أبرز السمات هى التى اتفق عليها الجميع ولم يختلفوا فيها ، وهى ما سنستخلصه فى الختام ، وإن كنت أضع من البداية بعض الفروض التى اتصور مبدئياً أن البحث والتحليل قد يؤكدها ، فالإنسان المصرى إنسان معجز بكل المقاييس ، أبهر العالم القديم ، ومازال يستطيع ذلك إذا أراد ، لذا يجب على البشرية أن تسمع إذا تحدث الشعب المصرى ، فكما يقول د. يوسف إدريس إن من استطاع بناء الأهرام يستطيع أن يبدع أكثر وأدوم ؛ فالمصرى قادر على التوافق مع أى موقف . إذ أنه يضع برنامجاً لنفسه كل دقيقة . لكن مشكلة الإدارة هى المعوق أمام إبداع المصرى (★) ، وأياً كان المعوق أمام الإنسان المصرى ليستعيد مجده .. فنحن بصدد دراسة هذه الشخصية الخصبة التى أتفق مع د. إدريس فى أنها شخصية غنية تنعكس سماتها من خلال الأدب الشعبى والأمثال .. فلنتدراسها .

(★) حديث تليفزيونى مذاع .

الفصل الثانى

الأمثال الشعبية

تعبر الأمثال الشعبية كغيرها من المظاهر الفولكلورية عن الفكر الشعبى ، والاتجاه الشعبى حيال ظواهر وممارسات ، تعتمد على طقوس وأساليب ومعتقدات شعبية أو خرافية ، تكشف الخبايا النفسية لكل شعب .. وهى أيضاً قوانين اجتماعية شبه ملزمة ، تمس كل القيم والمعايير ، ويخضع لها الجميع بصورة عامة ، أياً كانت طبقتهم ، خاصة الطبقة الشعبية ، بل وأغلبية الطبقة المثقفة ، وهذه القوانين لها قوة ونفوذ لدى الغالبية العظمى ، أو السواد الأعظم من الشعب ، وهى أحكام قاطعة وصريحة ، رغم ما تعبر عنه أحياناً من جمود أو تزمت ، أو مفاهيم عفى عليها الزمان ، إذ كانت تناسب العصر الذى أطلقت فيه وتتواءم معه تماماً ، فى حين أن ما تطرحه الآن قد لا يناسب الحاضر ، أو قد يمثل قيماً سلبية بالمفهوم الحالى .

والمثل العامى لا يتناقض فقط مع القيم السائدة أحياناً ، ولكنه أيضاً يتبنى الكثير من الألفاظ والتعبيرات التى ظهرت فى فترات مختلفة، وهى احيانا ألفاظ مقتبسة من لغات أخرى ، حدث تقارب بين الشعب المصرى ، وشعوب تتحدث هذه اللغات فى فترات منصرمة ، كما تعبر الأمثال أحياناً عن اتجاهات كانت وافدة على المجتمع المصرى ، ومتأثرة بظروف معينة ، أو حوادث بعينها ، مشتملة على ألفاظ لم نعد نتداولها الآن ، أو حوادث لسنا ملمين بها الآن جميعاً ، لكن منطوق المثل المعبر عن هذه الحوادث قد وصل إلينا - وإن لم يصل الحدث نفسه - لكنا نردد هذه الأمثال ، دون وعى كامل بمعناها ومراميها ، إذ أنها صارت مثلاً يضرب فى موقف معين نلتزم بترديده فيه .. وإن كانت الغالبية العظمى من هذه الأمثال انقرضت ، أو كادت وهى موجودة فقط فى كتب التراث لكنها غير متداولة على ألسنة العامة الآن .

ولذلك سأحرص فى هذا البحث على تحليل مضمون الأمثال ، التى مازالت متداولة ، ومعروفة للغالبية العظمى من الشعب المصرى بفئاته المختلفة ، واستبعد لفظا أو معنى عن حدث تاريخى غير معروف ، ذلك أن المصرى رغم ما يتمتع به من ذاكرة حافظة لتراثه وتاريخه ، وتمسكه بهذا الموروث العظيم .. إلا أن الأمثال الشعبية - ككل شىء - يصيبها تقادم الزمن ، بنوع من الانقراض أو التناسى ؛ أرى أن سبب اختلاف

ما تطرحه من قيم قديمة مع القيم السائده حالياً ، وأيضاً اختلاف ما يتضمنه لفظاً عن المفردات الشعبية المستخدمة حالياً ، ناهيك عن تميز بعض الأمثال العامية بالفحش معنى ولفظا مما جعل الباحثين فى التراث ، والحريصين على تدوينه يستبعدون الأمثال المتضمنة لألفاظ بذيئة ، فيتجاهلونها تماماً أو يشيرون إليها دون ذكر اللفظ المستهجن ، ولعل أبرز مثال على ذلك كتاب المستشرق السويسرى «چون لويس بوركهارت» الذى اعتمد على مخطوط شرف الدين الأسدى (*) عن الأمثال الشعبية - والذى عثر عليه فى مكتبة إسماعيل تيمور باشا ، والد أحمد تيمور باشا ، محقق كتاب الأمثال العامية - الذى اعتمد أيضاً على هذا المخطوط ولم يقم بتجميع الأمثال بنفسه - فقد استبعد تيمور باشا الغث والبذىء معنى ولفظا .. فى حين أشار إليها المحقق السويسرى .. ربما لأنه لم يستشعر قبح استخدام اللفظ العامى المعبر عن الأعضاء الجنسية ، وإن أشار إليها فى الحشايا معنى وليس لفظا .

وقد أثار إطلاعى على كتب الأمثال القديم منها والحديث رغبتى فى إجراء تجربة بسيطة لقياس نسبة انقراض الأمثال من عصر إلى عصر قياساً على ما ورد فى كتاب «چون لويس بوركهارت» الذى شرح وترجم ٧٨٢ مثلاً شعبياً وطبعها فى كتاب عام ١٨٣٠م (**) ، فوجدت أن

(*) ولد عام ٦٧٠هـ ومات ٧٣٨هـ

(**) راجع تحقيق هذا الكتاب فى اللغة العربية للدكتور إبراهيم أحمد شعلان ، «العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية فى عهد محمد على» .

المتبقى أو المتداول حتى الآن من هذا العدد هو ١٨٩ فقط أى بنسبة ١٧ . ٢٤٪ تقريباً ، أى أن ما يقرب من الربع فقط هو الذى بقى متداولاً تداولا شعبيا ، فى حين إندثرت ثلاثة أرباع الأمثال التى كانت متداولة حتى عام ١٨٣٠م ، أى خلال حوالى قرن ونصف قرن من الزمان .

وقد حاولت الشىء نفسه مع كتاب الأمثال العامية لأحمد تيمور باشا ، ويضم ٣١٨٨ مثلا ، فوجدت أن معظمها كاد ينقرض ، خاصة ما يضم منها لفظاً أو معنى لم يعد متداولاً فى مفرداتنا العامية ، أو استعيض عنه بتبسيط له .. خاصة الأمثال ذات المتن الطويل .. اختصرت فصار المتداول منها الجزء الذى يمثل الخلاصة ، وليس كل المثل المسجوع .. كما سيتضح ذلك فيما يلى من صفحات ، وذلك ما عبرت عنه أيضاً الدكتورة فاطمة المصرى من أن تداول الفنون الشعبية بوجه عام – الموال والنكتة والمثل ، والسيرة ، والأغنية الشعبية – وانتشارها بين العامة وكثرة ترديدهم لها جعلها ملكاً للشعب وكأنما هى نتاج مشترك بين كل أفراد الشعب ينالها التحرير والتهذيب من جيل إلى جيل . وفقا للاتجاهات العامة فى كل زمان [١] وهى تشير أيضاً إلى وجود أمثال حية من القرن التاسع الهجرى ، وردت فى كتاب الأبشيهى (المستطرف فى كل فن مستظرف) ومازالت هذه الأمثال تتفق فى كثير

---

(١) د. فاطمة المصرى ، الشخصية المصرية . ص١٠٤ .

من ألفاظها مع ما ينطق به رجل الشارع اليوم ، كما أن مفاهيمها مازالت تعيش بيننا ، ومازلنا نجد لها مكاناً فى حياتنا ، وتقول :

ولاشك أن هذه الأمثال كانت موجودة تتردد قبل الأبشيهى أى قبل القرن التاسع الهجرى ، وأنها بقيت على حالتها يرويها الشعب جيلاً بعد جيل ، ويأخذها الصغير عن الكبير بدون تغيير يذكر ، لا لشيء إلا لأنها تمثل الحياة المصرية بالرغم مما أصاب حياتنا من تغيير وتطور . وهذا يدل من ناحية أخرى على أن مصر تتمتع بميزة المحافظة وحب الجديد فى الوقت نفسه ، فهى تحب الاحتفاظ بشخصيتها وبتقاليدها .... وهذه الأمثلة هى :

- البلاش كتر منه .
- بعد ما شاب ودوه الكتاب .
- بفلوسك بنت السلطان عروسك .
- آخد ابن عمى واتغطى بكمى .
- البهيم من ودنه وبنى آدم من لسانه .
- آخر خدمة الغز علقه [1] .

ومع ذلك فأنا أقول بانقراض الأغلبية العظمى التى تربو على النصف ، أو الثلاثة أرباع ؛ نتيجة لتغير الظروف ، وتغير المفردات

(١) المرجع السابق . ص ١٠٥ - ١٠٦ .

العامية وطبيعة العصر .. وكنموذج لذلك الأمثال المتعلقة بالشهور القبطية ، التى كادت تندثر ، خاصة فى المدن ، حيث لا نكاد نعمل بها ، أو نعرف ترتيبها ، فيما عدا طوبة وأمشير لتميز الجو فيهما بالبرد فى طوبة والزعابيب فى أمشير .. لكن الفلاح المصرى - أو ما تبقى منه - مازال يعمل بها ويعرفها ، وربما يحفظ الأمثال المتلعقة بها ، وذلك ما يحدونى للقول بضرورة تدوين الأمثال الشعبية كل نصف قرن على الأقل؛ لحفظها كتراث قبل أن تنقرض .

ويقودنا الحديث إلى تاريخ تدوين الأمثال الشعبية والعناية بحفظها مكتوبة ، بدلا من اندثارها عبر العصور .. نتيجة للحفظ الشفهى الذى يهمل ما لا يناسبه ، ويحتفظ فقط بما يوائم متطلبات كل عصر ، وهو ما يحدثنا عنه محمد إبراهيم أبو سنة فى كتابه فلسفة المثل الشعبى إذ يقول بأن :

أول مدون للأمثال العامية المصرية ربما لا يكون أقدم من مدون شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشيهى المحلى (٧٩٠هـ - ٨٥٠هـ) (★) فى كتابه المستطرف فى كل فن مستظرف ، وقد جمع فى هذا الكتاب ما يقرب من ثلاثمائة مثل بعضها مازلنا نتناوله إلى الآن مع

(★) أرى أن مخطوط شرف الدين الأسدى المصرى أقدم حيث عاش فى الفترة من ٦٧٠هـ - ٧٣٨هـ) .

بعض التغيير مثل ما جاء فى المستطرف نوايه تسند الجرة قال وتسند الزير الكبير ، ونحن نقول النوايه تسند الزير فقط [١] .

كما يشير أبوسنة إلى أن الشائع من أمثال ذلك العصر يعكس الأخلاق التركية.. كما أنها محتشدة بالملاحظات أو التلميحات الجنسية، التى كانت بلاشك مظهرا من مظاهر الانحطاط فى العصر التركى .. وهو ما أشرت إليه سلفاً فى الحديث عما رصده شرف الدين الأسدى المصرى، وحققه الرحالة السويسرى بوركهارت.. فى كتاب ترجمه وحققه د. إبراهيم أحمد شعلان تحت عنوان : «العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية فى عهد محمد على» وهو أول من اهتم بمخطوطات الأسدى التى أهملت جميعها لاتسامها بالمجون .. فالمعروف أن شرف الدين الأسدى ولد فى عصر الظاهر بيبرس، وكان - كما يشير الدكتور عبدالحميد يونس أستاذ الأدب الشعبى بجامعة القاهرة فى تقديمه لكتاب «الأدب العامى فى مصر فى العصر المملوكى» - ماجنا من الأدباء الشعبيين المتحامقين ، وأن السلطان الظاهر بيبرس حاول الوقوف أمام تيار المجون آنذاك، إذ كانت البيئة المصرية قد أثقلتها هموم الحرب إبان حكم المماليك، فنفست عن نفسها بالفكاهة والخلاعة والمجون.. وقد أبدع الأدباء الشعبيون - برغم عدم العناية بنتاجهم -

---

(١) محمد إبراهيم أبو سنة ، فلسفة المثل الشعبى ص٦ .

آنذاك ، إذ كان العهد يموج أيضاً بالاتجاهات الصوفية فى القرن السابع الهجرى .

كما يقول أحمد صادق الجمال فى كتاب «الأدب العامى فى مصر» : إن شرف الدين بن أسد المصرى كما جاء فى «فوات الوفيات» كان شيخاً ماجناً متهتكاً ظريفا خلعاً .. له مصنفات عديدة فى النوادر والأمثال والأزجال ، كما يقول بأنه - أى شرف الدين - كان له نفس سمات الشخصية المصرية وملامحها وهى :

- الفكاهة الحلوة - التريقة كما يسميها العامة فى مصر .
- تقبل الشدة بتحمل كبير للأزمات بمرح وخفة روح .
- يحب الضحك والمزاح .. ويسخر من الرزايا ومن نفسه أيضاً .
- يسلى نفسه ويعزيها ويتأسى بالمرح الذى يشبه الخلاعة ، رغم أنه من شدة الألم ، وكان فى ذلك عزاء وسلوى (١) .

وعوضاً عن الاسترسال فى التأريخ لتدوين الأمثال الشعبية ، يكفينا أن نقول : إنها دائماً وستظل أبداً تعبر عن مكنون الشخصية المصرية بكل تناقضاتها عبر العصور ، وستظل ممتدة - رغم اندثار بعضها أو معظمها - ستظل تصل إلينا بعض الأمثال التى يمتد تاريخها إلى ما قبل القرن التاسع الهجرى ، بل وأيضاً إلى العصور الفرعونية ، وتشير

(١) المرجع المشار إليه ، ص١٨٢ ،١٨٤ .

إلى ذلك عدة مراجع يقول أحدها ان بعض المصريين القدماء أمثال (بتاح حتب) قد جاء بحكم وأمثال شبيهة أشد الشبه بما يردده الناس حتى وقتنا الحاضر . مما يدعم الاعتقاد بأن تلك القوانين الخالدة تعتبر خلقاً عاماً للجماعة يجب الحفاظ عليه (١) .

وتؤكد دكتورة فاطمة المصرى أنها عندما درست موضوع الأمثال وفقاً للمنهج التاريخى عجبت إذ تبينت : أن كثيراً من تلك الأمثال قد نطق به حكماء الفراعنة أمثال أمحتب وجاءت على ألسنة آلهتهم وكهنتهم (٢) .

وتؤكد ذلك أيضاً دكتورة نعمات فؤاد إذ تشير إلى أن من حكم أمينموبى (لاتقولن لا أحمل خطيئة فليس بين يدى الله إنسان كامل) (٣) وهو نفس المعنى الذى يلخصه المثل الشعبى «الكمال لله وحده» ، أو «الحلو ما يكملش» .. وغير ذلك كثير مما سنتعرض له فيما بعد .

هذا ولابد قبل الدخول إلى تحليل مضمون الأمثال العامية ، والكنايات العامية أيضاً ، التى قد لا ترقى إلى مستوى المثل ، الذى يشكل حكمة بليغة ، بل وخلاصة الحكمة ، لابد من تعريف كل منها ،

(١) د. فاطمة المصرى ، الشخصية المصرية . ص٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص١٣ .
(٣) نعمات فؤاد ، شخصية مصر ، ص٤٩.

فالكنايات العامية التى سأحاول أن أجمعها ، وأحلل مضمونها ، ستجعلنا نقف على مدى بلاغة المصرى فى التشبيه وفى الكناية ، فتعبير بسيط بلهجته العامية قد يغنى عن مقال طويل مسهب ، بل هو عبارة تمثل خلاصة القول ، ودقة التشبيه ، وعميق الكناية ، لذلك قبل الدخول إلى مرحلة التحليل ، لابد من وضع تعريفات إجرائية لما هو : المثل العامى ، وما هو التعبير الشعبى ، وما هى الكنايات العامية البليغة التى يجب أن ترصد ، وتحلل وتقوم مضامينها ، أسوة بالأمثال ، فإذا رجعنا إلى التعريفات الغربية للأمثال ، سنجد أن «أرثر تايلور» قد عرف المثل بقوله : المثل أسلوب تعليمى ذائع بالطريقة التقليدية ، يوحى فى أغلب الأحيان بعمل ، أو يصدر حكماً على وضع من الأوضاع [1] ، ويحدد هذا الباحث الغربى أركان وملامح المثل الشعبى بأنه يتميز بالاختصار ، والتنغيم ، والمجازية في الأسلوب ، والواقعية فى صوره البلاغية .

أما فريدريك زيلر فقد حدد خصائص المثل الشعبى فى إطار تعريفه للأمثال الألمانية عام ١٩٢٢ بأنها أوجز الأشكال الأدبية وحددها فى نقاط أربع هى :

١ - ذو طابع شعبى .

٢ - ذو طابع تعليمى .

(١) راجع أحمد رشدى صالح ، الأدب الشعبى .

٣ – ذو شكل أدبي متكامل .

٤ – يسمو عن الكلام المألوف رغم أنه يعيش في أفواه الشعب [١].

وتضيف إلى هذه الخصائص د. فاطمة المصرى ثلاثة خصائص أخرى هي :

١ – أنه خلاصة لتجارب الإنسان ومحصلة لخبرته .

٢ – يتمثل فيه جمال الأسلوب من إيجاز وبلاغة .

٣ – يوجه إلى فكرة صحيحة أو تجربة صادقة [٢] .

أما إبراهيم أبو سنة فقد وضع تعريفات عدة للأمثال الشعبية ، خلال تناوله لفلسفة المثل الشعبي ، فهو يراه – كأي مظهر من مظاهر الفكر الشعبي «موقف صادق يختزن وجهة نظر . قد لا تكون في الامتداد الأيديولوچي السليم ، ولكنها تحمل غبار التجارب الاجتماعية المادية ، والمثل كتعبير يصوغ الموقف المادى بلا وساطة نظرية» [٣] ، والمثل عنده هو «تاريخ وفلسفة هذا الشعب» [٤] ، وهو أيضاً «حكمة شعبنا وفهمه للحياة» [٥] ، وهو «حقنة مورفين حالمة» [٦] ، ذلك لأنه

---

١) راجع د. فاطمة المصرى ، الشخصية المصرية ، ص١٠٣ .

(٢)المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) إبراهيم أبوسنة ، فلسفة المثل ، ص١٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص١٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص١٥ .

طافح بالمعانى المواسية والمثبطة والتواكلية ، وهو يكاد «يكون موعظة شعبية وقورة» (١) ، وهو أخيرا «فلسفة شامخة تتصايح فى جوانبها ألام القرون وحكمة الهزيمة» (٢) .

وإذا استرسلنا فى محاولات التعرف على أراء الباحثين الغربيين ، وأيضاً العرب فلن ننتهى ، لكننى من خلاصة كل ما قرأته عن الأمثال الشعبية - عربية كانت أم أجنبية - استطيع استخلاص عدد غير قليل من الخصائص ، والصفات ، والمميزات ، التى يتميز بها المثل الشعبى ، والتى جعلتنى بحق أعتبره أصدق ، وأقرب ، المأثورات التراثية الشعبية تعبيرا عن سمات الشخصية المصرية ، بإيجاز معجز ، وبصدق معبر ، وهو الطريق الأمثل لقياس عوامل الثبات والتغير في المجتمع المصرى ، عبر سنوات تقدمه وتطوره ، وطرحه لقيم معينة جانباً ، وتمسكه بقيم أخرى ، عبر الأزمان والحقب ، كما أنه من خلال دراسة الأمثال - كتراث يتميز بالعراقة - يمكننا التعرف على الحياة الفكرية والروحية ، والاجتماعية لأجدادنا ، ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ، ما كان سائدا منها وما لا يزال ، وما تلاشى واندثر مع الأيام ، ومن خصائص المثل الشعبى التى توصلت إليها من كل ما قرأت :

- سهولة الحفظ والتداول والشيوع .

---

(١) المرجع السابق ، ص١٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٣ .

- الصراحة والواقعية .
- الشعبية أو العمومية والقرب من عامة الناس ، ومخاطبة وجدانهم.
- العراقة والقدم .
- التعبيـر بصـدق عن الحياة فى وجهيها المثالى الجاد والهزلى المستهتر .
- معالجة المواقف - على اختلاف - كل وفقا لما تتطلبه .
- البلاغة والدقة فى التشبيه والتكنية لغويا .
- الثراء اللغوى ، والقدرة على الاشتقاق من لغات أُخرى .
- استخدام السجع والتنغيم - مما يساعد على سهولة حفظه .
- الإيجاز السهل الممتنع أو الاختصار المحكم .
- المباشرة والجرأة فى تناول الأمور بوضوح .
- تلخيص التجربة والخروج بحكمتها وفلسفتها .
- النضج الفنى فى استخدام الرمز الموحى .
- القدرة على تبنى وجهتى نظر متباينتين .
- القدرة على البقاء خارج الخصائص الزمنية للأحداث .
- الفهـم الواعـى لكل العـلاقات الاجتمـاعية مـن وجهات نظـر مختلفة .
- التفلسف العميق المتسم بالبساطة والتلقائية .

- القدرة على رسم الواقع الفعلى دون محاولة الارتقاء عليه أو تزييفه أو تزيينه .
- التعبير عن كل فئات الشعب على اختلافها ، وتمثيلهم جميعاً .
- الاحتفاظ بروح إيمانية عالية تعين على الاستمرار والتحمل .
- القدرة على البقاء والديمومة .
- الاشتمال على معارف شتى .
- القدرة على التأثير فى النفس والحث على الانفعال والفعل .
- قوة الإلزام التلقائى غير القسرى التى لا يمكن تجاهلها .
- القدرة على التعليم ، وتأكيد القيم ، والنصح ، وتوجيه السلوك .
- فالمثل أرقى من أى كلام عامى رغم أن مفرداته كلها عامية .

وبعد ، فالأمثال الشعبية أيا كانت تعريفاتها أو خصائصها ومميزاتها ، فهى بلاشك ثروة شعبية تمثل دستوراً للحياة بكل جوانبها ، وهى تؤثر فى هذه الحياة وتنظمها بقدر ما تعكسها ، وتعكس ما هو سائد فيها من عادات وتقاليد ومفاهيم ، وما يتصف به صاحب هذه التقاليد من سمات شخصية ، ولعل ذلك ما جعلنى أومن بأنه الأداة المثلى للتعرف على سمات الشخصية . وقبل الدخول فى الدراسة والتحليل لابد من الإشارة إلى أن المثل الشعبى يفوق غيره من الفنون الشعبية الأخرى فى أمر مهم ، إذ لا يتطلب انتشاره أداة أو واسطة ،

فهو لا ينتشر عن طريق نص مكتوب أو مكان محدد أو زمان بعينه ، أو موسيقى .. أو وسيلة أو واسطة اتصال غير اللسان والأذن .. فهو يتردد فى كل مكان وزمان .. وعلى كل الألسنة ، وتسمعه كل الآذان ، دون وسيط ، ومع ذلك فالمثل قد أصبح جزءاً متضمناً وداخلاً وفاعلاً فى معظم الفنون الشعبية الأخرى ، ومساهما فيها ومضيفا إليها .. فالموال والملحمة والأسطورة - بل وحتى الحدوته - لا تخلو من مثل شعبى يتردد على ألسنة أبطالها أو مردديها ، كما أنه فى العصر الحديث .. لا يخلو حوار درامى فى أى من وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون ومسرح وسينما .. من مثل شعبى أو عدة أمثال .. بل وحتى الكتابات القصصية والروائية والصحفية لا تخلو منه ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك؛ ولذا اعتمدته وسيلة لدراسة الشخصية المصرية .

الفصل الثالث
الدراسة التطبيقية
سمات الشخصية من الأمثال العامية

لعل كل ما ورد فى الفصلين السابقين عن سمات الشخصية المصرية، وتعريف بالأمثال الشعبية وخصائصها يصلح أن يكون مقدمة نظرية تمهد لفهم المرتكزات التى ستبنى عليها الدراسة التطبيقية للأمثال العامية، بهدف التعرف على أبرز سمات الشخصية المصرية، التى وضحت من مضمون الأمثال الشعبية، وعكست القيم والمعتقدات المصرية، بل وأخلاقيات المصرى وسلوكه فى كل المواقف اليومية، وتصرفه فى مواجهة المشاكل، والحلول التى يقترحها أو يمارسها حيال ما يجابهه من معضلات، فيما يتعلق بذاته وعلاقته بنفسه، أو علاقته بالآخرين ، أيا كانت طبيعة هذه العلاقات ومدى توثقها أو قربها منه، وسواء كانت أمورا تتعلق بالمجتمع المحيط به كعلاقات قربى أو نسب أو صداقة أو جوار، أو علاقات تتعلق بمشاكله النفسية، وما يعانيه من قلق

أو توتر، أو كبت، أو قهر أو ظلم، أو خوف، وكيف يجابه كل هذه العلاقات سواء مع الغير، بالمحبة أو العداء أو التعاون والمشاركة، أو النزاع والشجار، وأيضا كيف يجابه مشاكله النفسية بالانطواء أو التحمل والصبر، أو الاستعلاء على المشاكل، والسخرية منها أو التفكه عليها.. كما ستتعرض لسلوك المصرى حيال حياته كلها، وما فيها من قدر غير محدود من الإحباط والخذلان من الغير، أو من قدره ونصيبه من الدنيا، ومظاهر هذا السلوك المنتمى إلى الخير أو الشر، الصدق أو الكذب، الصراحة، أو النفاق والمراء، والخداع، الأثرة والوفاء، الحذر والخوف، والتستر والخجل، وتحمل المسئولية أو الإتكالية والتواكل والكسل، ناهيك عما سنتعرض له من مجالات كانت مضربا للأمثال المصرية، عبرت بأبلغ ما يكون التعبير عنها وهى تلخص مفهوم المصرى للحياة وتقلبها ، والموت كمصير حتمى ، والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية. وسنرى كيف لم يترك المثل الشعبى شاردة أو واردة لما يلخصها فى مثل بليغ ، لا يضم بالضرورة حكمة ما أو خلاصة تجربة لكنه يكون أحيانا مجرد سخرية أو فكاهة، تلخص وجهة نظر المصرى فى هذا الأمر أو ذاك، وهو بذلك يوجه سلوك الأفراد دون تلقين مباشر، ويصل بالفعل إلى هدفه ومرماه بدقة لا تبارى ، وبأفضل من مائة نصيحة أو توجيه مباشر.

هذا وسوف نسير فى عرض وتحليل كل تلك الموضوعات التى طرحتها الأمثال الشعبية المصرية، وفقا لما يقتضيه المنطق تعبيرا عن الذات المصرية، ورؤية المصرى لبلده ولذاته، وننطلق من هذه الذاتية بكل معالمها إلى العلاقات، فالسلوكيات.. فالرؤية المصرية للقيم، والعموميات المطلقة. ولذا نبدأ بما ذكرته الأمثال الشعبية عن مصر والمصريين وهو ما سنطلق عليه تسمية:

مصريات

المصرى يعتز كثيرا ببلده .. ولذلك لم يكن يرحب بالسفر أو الهجرة حتى وقت قريب، بل لعل ما نراه الآن من هجمة شديدة على السفر للعمل فى الخارج أو الهجرة، مرده إلى الظروف الاقتصادية الضاغطة على الأغلبية العظمى من المصريين، خاصة قطاع الشباب الذى تحول ظروفه المادية دون الأمل أو الحلم- ولا نقول تحقيق الحلم .. أو مجرد الخطو نحو تحقيقه - بالإضافة إلى الإحباط الذى تعانيه الأغلبية أيضا، نتيجة لما ألم بالمجتمع المصرى حاليا أكثر من ذى قبل من تفشى المحسوبية والوساطة والرشوة.. ولا نقول انها سلبيات جديدة بل هى قديمة.. كانت كامنة، أو غير محسوسة بهذا الشكل الفج، ولم يكن من يمارسها يجرؤ على أن يجاهر بها بهذه القحة.

ولعل أهم ما جعل الناس تشعر بالإحباط فى مجابهة هذه الآفات..

هو الكثرة العددية التى قللت من فرص الناس فى الحصول على عمل، أو فى إيجاد فرصة ترق ، أو تقدم، أو ظهور فى أى مجال، فالقمة أصبحت مزدحمة بشكل لا يتيح فرصة لأنصاف الموهوبين، ولا حتى للموهوبين الذين لا يملكون السند ، الذى يدعمهم، ويأخذ بيدهم ويقدمهم.. ولسنا هنا بصدد تقويم أسباب ترحيب المصريين الآن بالسفر والسعى له.. ولكن نريد فقط التأكيد على أن المصرى فى الأصل كان حريصا على ألا يترك مصر لأى سبب، بل لم تكن تخطر بباله أصلا فكرة السفر.. وحتى من تضطرهم الظروف الآن للسفر والغربة، يتأكد الملاحظ لحديثهم ولسلوكهم، أنهم يعيشون فى الغربة ومصر بداخلهم.. يدخرون لينفقوا فيها، ويعملون بدأب على أمل العودة والاستقرار والاستمتاع فى مصر.. والبناء فى مصر، والخيلاء بما يملكون على أرض مصر.. فالمصرى فى الغربة يعد طول العام ليوم بعثه.. يوم يعود إلى وطنه .. فالجديد يحتفظ به ليرتديه فى مصر.. والجميل يحمله إليها.. ويمارس شهوة الاقتناء الفرعونية المتأصلة فى أعماقه، انتظارا ليوم يبعث من جديد فى أرض مصر .. وهو يعتبر حياته خارجها مرحلة انتقالية ، وليست استقرارا. وهو فى أحاديثه يتفكه على أهل البلاد التى يسافر إليها، ويسخر منهم، ويستعلى بذاته - ولو بطرف خفى - على كل ما يمارسونه .. فهو يدرك قيمته ومعدنه، ويعتبر

احتياجه إليهم انقلابا فى الأحوال غير منطقى.. والحديث يطول إذا ما استرسلنا فى تفصيل مشاعر، وتصرفات المصرى بعيدا عن مصر .. وهو ما سنتحدث عنه فى إطار تناول موضوع كراهة المصرى للغربة، وحبه للاستقرار.. لكنا نذكره هنا.. ليكون مدخلا للحديث عن رؤية المصرى لمصر، كما وضحت فى أمثاله الشعبية التى تقول:

- مصر أم الدنيا.
- مصر المحروسة.
- عمار يا مصر.
- عظيمة يا مصر.
- إللى بنى مصر كان فى الأصل حلوانى.
- والذوق مخرجش من مصر (الذوق ما فتش باب النصر)
- مصر أم الذوق.

فالمصرى فى الأصل معتز ببلده، وبمصريته، فهو يراها أحلى وأغلى بلاد الدنيا، وأعظمها، وهى عامرة، ومحروسة دائما، وأن أهلها يتميزون على من عداهم بالذوق، الذى لم يخرج منها إلى غيرها.

ويعبر المصرى أحيانا عن رؤيته لغيره من الشعوب.. بل ولأقرب الشعوب إليه بسخريته المعهودة قائلا:

- العرب جرب.

- كله عند العرب صابون.

ومع ذلك فالمصرى بروحه الفكهة التى تسخر من الآخرين لا يتوانى عن نقد ذاته بقسوة، سواء بوصفه لكل الشعب المصرى بأنه «تجمعهم بطبلة، وتفرقهم بزقلة»، أو «شعب بزرميط»، أو لتقسيمه لكل فئة أو جماعة والسخرية منهم على حدة، ولعل أشهر أمثاله وأقواله فى هذا الصدد ما يطلقه على أهل كل محافظة من أمثال نورد كنموذج لها:

- المنوفى لا يلوفى ولو أكلته لحم الكتوفى.
- إذا أخذت من الحمار صوف تأخذ من المنوفى المعروف.
-ماية مالحة ووشوش كالحة (كوصف لسكان الساحل).
- جوز ابنك لدمياطية ، ولا تجوز بنتك لدمياطى (لشهرتهم بالحرص).
- يا مريحه العازب يا منصورة .
- إسكندرية مارية .
- ما حوالين الصعايدة فايدة .
- كل شئ ييجى من الصعيد مليح إلا رجالها والريح (لشدتهم).
- شرقاوى كريم وعبيط .

ذلك عن رؤية المصرى لبلده ، ولشعبه كُلاً وجزءا ، ولمن يحيطون به.. فماذا عن سماته وخصاله الحقيقية التى عبر عنها فى أمثاله؟

الأمثـال كثيرة ، وعبـرت عن آلاف السمات ، ولكنا سنتتبـع أبـرز السمات وهى التى لا خـلاف عليهـا البتة بين جميع الباحثين وهى بداية:

الفكاهة والسخرية

حب المصرى للفكاهة، وخفة روحه أمر لا خلاف عليه، وهما دافعه للسخرية اللاذعة والتهكم حتى فى ساعات الجد والألم.. فهو يسخر من نفسه، ومما يصيبه، وكأنه يستعلى على المحن، بأسلوب يبدو للعامة وكأنه وسيلة إضحاك، وإن انطوى على تلميحات لاذعة ، تسخر من الحياة ومن سلوك المجتمع ، وتنتقده بشدة، قد تصل إلى حد الفحش أحيانا ، بهدف التأثير فى النفس بعنف، وكأنها دعوة للرفض والتعبير، وبالطبع يسخر المصرى من ذاته أيضا فيما يسميه نقاد الفنون والآداب الشعبية «بالتحامق» (★) بأسلوب المضحك المبكى، وذلك ما جعل الدكتور محمد كامل حسين يعلل ظهور الخلاعة والمجون فى أقسى فترات المعاناة المصرية من العنت والقهر ، فى حين لجأ بعضهم إلى الاتكال على الله والزهد فى الحياة الذى يصل إلى حد التصوف، مما سهل على الصوفية نشر مبادئهم. ومع ذلك كله لم يترك المصريون لهوهم ومجونهم وهم فى هذا الضيق الشديد وهذا شأنهم دائما فى كل أزمة تقابلهم لا

(★) راجع أحمد صادق الجمال، الأدب العامى فى مصر، ص ٨٣ : ٨٥.

يجدون متنفسا لهم من الهم والكرب إلا بالمجون والفكاهة [1]. ولعل فترات القهر والبطش التى عانى منها الشعب المصرى. هى التى أنتج فيها معظم تـراثه الشعبى، وخاصة الأمثال الشعبية التى عبرت عن مشاعره أصدق تعبير، على لسـانه أو على لسان بعض الشخصيات التى يصطنعها، أو هى موجـودة بالفعل ويصنع على لسانها ما يريد قوله كشخصية «جحا» أو «أبو نواس» كتعبيـر عن الظرف والتفكه - أو حتى التهريج - ولعل لجوء المصـرى إلى هـذه الحـيلة لوضع ما يريد قوله على لســان شخصيات تراثيـة أو تاريخيـــة، يعد شكلا من أشكال الحذر والخـوف، إذ أن إطــلاق الحكمة الشعبية أو المثل الشعبى على لسان هذه الشخصيـات قد أكسبها قوة.. مع تجهيل لقائلها الحقيقى زيـادة فى الحرص ، ولعـل هذا التجهيل هـو مـا أعطى المثل الشعبى الفرصة للتعبير بحـرية وصراحة لا تتوافر لغيره من الفنون المعروفة المؤلف.. أو الفلسفات الكلاسيكية التى تنسب لواضعيها.

وتقول الدكتورة نعمات فؤاد: إن البشر من أسرار الشخصية المصرية فهو يغسل بحرا من الهموم، وإن الشعب المصرى يطرب ويضحك ويتفكه فيحسبه الجاهل به سهـلا وهـو صعب (*)، وأتفق

---

(1) دكتور محمد كامل حسين ، دراسات فى الشعر ، ص ١٥٣.

(*) راجع نعمات أحمد فؤاد، شخصية مصر.

معها فى ذلك، لأن المصرى البسيط الذى قد يتبادر للذهن أنه غير عابىء بصـروف الحيـاة.. يضحـك منهـا ويتفكه عليها، نجد ما يصدر عنه من سخرية فى أمثاله - بل وفى شتى فنونه الشعبية - مليئا بالشجن والحزن.. حتى لنشعر وكأن لسان حاله يقول: «شر البلية ما يضحك»، وهو بالفعل يلجأ للسخرية والفكاهة هروبا من البكاء، وانتصـارا على البـلاء ، واستعـلاء على الألم، فالمصرى يتفكه فى أسوأ الأحوال، ولعل أقرب مثل من التـاريخ المعاصر للتفكه المصرى على المصائب.. ما خرج من الجعبة المصـرية من نكـات فى الفتـرة التى أعقبت نكسة يونيو ١٩٦٧م، ففى هـذه الفترة بالـذات، نشطت البديهة المصرية ، لاستخراج النكات اللاذعة، كما كان التحامق على أشده فى مصر، فترة حكم المماليك بكل ما فيهـا مـن قهر، وقسر، وطغيان.

هذا ويتفق الجميع على أن الشعب المصرى ساخر بطبعه، وبحكم ظروفه، والمصرى لا يسخر فقط فى أمثاله.. ولكن له أسلوبا آخر أشد قسوة هو النكات.. ولعل أبرزها النكات السياسية التى يسخر فيها المصرى أحيانا من نفسه ، ويشير عادل حمودة فى كتابه «النكات السياسية» إلى إصرار صلاح حافظ على أننا نسخر من أى شئ ومن كل شئ بغض النظر عن علاقتنا به، بل إننا لا نتردد أحيانا فى

السخرية من أنفسنا.. قائلا: اشمعنى هيه لا لكنه يستدرك فيقول: واذا كنا سخرنا من انفسنا فليس معنى ذلك أننا مختلفون معها.. أو أننا نكرهها[1] هذا ويرى عادل حمودة أننا شعب (ابن نكتة) والسخرية تحتل ثلاثة أرباع مزاجنا القومى[2] .

ولعل النكتة الآن هى التى تحتل الصدارة فى مجال السخرية أكثر من المثل الشعبى.. فقريحة المصرى الحديث لم تعد تجود بالجديد من الأمثال الشعبية الساخرة التى تلخص الحكمة.. بل كل ما تجود به هو النكات اللاذعة، وبعض العبارات المستحدثة التى لا ترقى إلى أن تصير مثلا.. لكنها تشبيهات وكنايات شعبية موجزة تكتسب مدلولها بالتداول، وتتميز بالإيجاز المعجز ، فهى لا تزيد على كلمة أو كلمتين على الأكثر.. فهو يصف المحسوبية والوساطة بكلمة «كوسة».. واكتسبت هذه الكلمة مدلولها بين العامة والخاصة دون نزاع، وبين كل فئات المجتمع المصرى.. حتى الريفى.. أو كلمة «همبكة» للتدليل على الشخصية التى تملأ المكان حركة دون فعل حقيقى مجد.

ولعل أخطر ما يؤخذ على المصرى وسخريته حيال الأزمات العنيفة، وسخريته من ذاته أنه يكتفى بالسخرية من الشئ أو الشخص أو الأزمة، ويضحك ملء شدقيه.. ويسعى لنشر ما يطلقه من سخرية

(١) عادل حمودة ، النكتة السياسية ، ص ١٦٢.

(٢) النكتة السياسية ، ص ١٥.

فى شكل مثل أو تعبير سيار أو نكتة .. ولسان حاله يقول: «شر البلية ما يضحك».. ويكتفى بذلك وكأن السخرية قد حلت الأزمة.. أو غيرت الأمور من حال إلى حال غير مدرك أن السخرية ليست وسيلة تغيير، ولا طريقا إلى حياة أفضل.. وذلك يعنى أننا شعب غير مدرك للعواقب.. وذلك فى تصورى هو السلبية الأساسية للسخرية المصرية.. ومكمن الخطر فيها، إذ هى وسيلة تفريغ لشحنة من الكبت والقهر والحزن، يكتفى بها المصرى ويستعيض بها عن عمل فاعل مغير.. والغريب أن هذا هو دأب الإنسان المصرى منذ الأزل فقد لاحظ عبد الرحمن بن خلدون ذلك منذ نزوله مصر وقال: أهل مصر كأنهم فرغوا من الحساب.. أى كأنهم تجاوزوا كل ما هو جاد.

أما تلميذه المقريزى فكان أشد صراحة منه عندما قال:

من أخلاق أهل مصر الإعراض عن النظر فى العواقب .. والانهماك فى الملذات والاشتغال بالترهات.. وهم بارعون فى الملق والبشاشة إلى حد التفوق على كل من تقدم ومن تأخر(١) .

هذا ويلاحظ أحمد أمين أن أشد الناس بؤسا وأسوأهم عيشة وأقلهم مالا أخلاهم يدا أكثرهم سخرية، وهم صناع النكات على المقاهى الشعبية، فابن النكتة بينهم محبوب مقدر، يفتقد إذا غاب.

---

(١) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مكتبة النهضة المصرية ، ص ١٠.

ويعلق على ذلك عادل حمودة قائلا إنه الألم إذا مازاد على الحد انقلب إلى هـزل والتراجيديـا اذا ما تجاوزت الحجم انقلبت إلى كوميديا [١] .

إنها طبيعة المصرى وفطرته التى فطره الله عليه.. ولم تتغير منذ الأزل.. بل تزداد حدة فى فترات القهر.. فالسخرية اللاذعة تحمل فكرة ذكية، ولغة متفلسفة، وخفة ظل وقدرة وكفاءة على التخيل.. والدليل على تمكن المصرى من السخرية وصف هيرودوت لمصر والمرح والمجون الذى كان الأجداد يمارسونه فى الأعياد المقدسة، ونقله لمقولة الشاعر الرومانى ثيوكريتوس قبل الميلاد بحوالى مائتى عام من أن المصريين شعب ماكر لاذع القول روحه مرحة [٢] .

ولكن.. مم يسخر المصرى؟ وعلى ماذا يتهكم؟!

سنجد أن المصرى ساخر بصفة عامة فى أمثاله، لاذع فى اختيار لفظه، وفى وجه التشبيه أو الكناية، مع استخدام للرمز بشكل أكثر من رائع.. فهو يذكر شيئا ليعبر عن موضوع أو شئ آخر تماما .. ومن أهم الموضوعات التى سخر منها المصرى- الذى يتوسم فى ذاته الذكاء والفطنة - سخريته من الحمق وقلة الحيلة، ومن عدم تقدير الغير له ولقدراته، ومن التطاول عليه، ومن التسيب والإهمال، ومن التكبر الكاذب

---

(١) عادل حمودة ، النكتة السياسية ، ص ٦٢.
(٢) صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧ ص ١٦٠.

والادعاء، ومن الزهو والخيلاء والاهتمام بالمظاهر، ومن العمل غير المجدى وانقلاب الهدف، وهو يسخر ويتهكم على كل ذلك، ويشمت فى نتائج هذه الأفعال والتصرفات، معلنا عن ذلك أحيانا بكثير من الاستهانة والاستهتار، التى قد تصور المصرى لأول وهلة إنسانا يضرب عرض الحائط بكل القيم، فهو من قال مستهينا بكل شئ :

- إللى يعرف أبويا يروح يقوله . واللى كاتب كتابى يروح يحله .
- ما بان منى زكاة عنى .
- إسرق وصدق يا عبد الله.
- إللى راح راح يا قلبى.
- ضربوا الأعور على عينه قال خسرانة خسرانة.
- السجن للجدعان.
- السكران سلطان زمانه .
- المجانين فى نعيم. أو خذوا الحكمة من أفواه المجانين.
- إعمل ودن من طين والثانية من عجين .
- طظ يا عاشور.
- كله محصل بعضه.
- علقه تفوت ولا حد يموت.
- الشقى عمره بقى.

– الرشوة حلت عمة القاضى. أو الدعوة الزور تفتح كيس القاضى.

– إرشوا تشفوا.

– حاميها حراميها.

– إيش على بال القرد من سواد وشه (أو حمار ....).

– قالوا للقردة اتبرقعى قالت دا وش واخد على الفضيحة.

– يفتى على الابرة ويبلع المدرة. أو سألوا القاضى الحيطه اتنجست قال تتهد وتتبنى سبع مرات.. قالوا دى الحيطه إللى بيننا وبينك.. قال أقل الماء يطهرها.

وقد تبدو هذه الأمثال معبرة عما يمكن أن نسميه الآن «الاستبياع»، فلا يهم شئ طالما «كلها محصله بعضها» فالجنون هو السائد، والشقاوة لن تفنى العمر، و«السكران سلطان» فلا تحريم للرشوة أو السرقة، أو العرى والفضيحة، ومرحبا بالسجن، طالما ساد اليأس، وشعر المرء أن من راح لن يعود، وأنها «خسرانة خسرانة» ومن يستطيع المحاسبة فليحاسب ، فلن نسمع لنصح ولن نطيع.. وكل هذه الأمثال قالها المصرى لاشك فى أشد حالات يأسه من أى إصلاح، حينما وجد القاضى مرتشيا، وحامى الحمى حرامى ، والمفتى يغير ذمته وفتواه لصالحه.

والمصرى يطلق تشبيهات أو تعبيرات يصف بها المرتشين ومن يفتون

زورا واللصوص فيقول: كرشه واسع ذمته واسعه أو ذمته أستك أو غير ذمته» وهى على أى حال تعبيرات مستحدثة قد تصير مثلا مع الأيام.. وهى كناية أو تشبيه.. لكنها لا تقدم أكثر من الوصف.. فهى ليست كالمثل لها مقدمة ونتيجة.. أو تعرض لمقدمات ثم نتائج أو توابع وجوابات للشرط.

واذا كانت بعض الأمثال تعكس لونا من الاستهتار يتمثله المصرى يأسا أو تفكها مريرا من صيرورة أحواله، فيقوده ذلك إلى الاستهتار بالقيم، ويكملها بالاستهانة بالأشياء، والأشخاص والأعمال، فلا يأبه لشئ ولا يبالى بأحد، ويستهين بالجميع فنجده يقول:

- الجنازة حارة والميت كلب.
- الميت مش مستأهل القراية.
- مفيش عليه الطلا.
- ما حد بيجى من الغرب يسر القلب.
- ياما جاب الغراب لأمه.
- جلاب الكحل الزين.
- يعنى فتح عكا.
- جايب رأس كليب.
- يعنى جاب الديب من ديله.

- بعجر أغا ما فيه إلا شناب.

- يعنى بضاعة والناس عليها جواعى.

- - لو كان فيه خير ما كان رماه الطير.

- يا سلام شفت النبى وأنواره.

- كسبنا صلاة النبى أى ليس ربحا طالما أنه غير مادى.

ويبلغ اليأس مبلغه بالمصرى. فيتمادى أكثر، بتعبيرات قد لا ترقى إلى حد أن تكون مثلا.. لكنها تعبيرات وتشبيهات متداولة بين العامة، يمكن أن نسميها تعبيرات شعبية شائعة ومنها:

- إخبط راسك فى الحيط.

- مطرح ما تحط راسك حط رجليك.

- بلهم واشرب ميتهم.

- اللى يزعل يشرب من البحر.

- هم شاريين اسلافنا.

- هو أنا الحيطه الهبيطة (أو الواطية)؟!

- وعلى من ده بإيه؟!

- إتفلق.

- أعلى ما فى خيلك إركبه (ويقولها المصرى القوى مستهينا بغيره).

- أدى دقنى لو حصل (تعرب عن اليأس).
- أقطع دراعى لو حصل .
- ابقى تف على وشى لو حصل .
- إن كنت ميت إبقى «شخ» على تربتى.
- إبقى قابلنى لو حصل.
- سعد باشا قال مفيش فايدة (ويضيف إليها البعض غطينى وصوتى يا صفيه - بقصد صفية زغلول).

هذا ويسخر المصرى أيضا ممن لا يقدرونه حق قدره ويقودهم ذلك إلى إنكار تميزه ، فيقول فى عدم تقدير قومه لقدراته :

- مغنى الحى لا يطرب.
- لا كرامة لنبى بين قومه.
- الشيخ البعيد سره باتع.
- إللى تملكه اليد تزهده النفس.
- زى القرع يمد لبره.

وعن التطاول عليه، والناتج أيضا عن عدم تقدير الغير له، وعدم معرفتهم بأقدارهم يقول:

- سكتنا له دخل بحماره.
- كلم «القحبة» تدهيك وإللى فيها تجيبه فيك.

- الحيطه الواطيه ينطوا عليها الكلاب.

- أول ما شطح نطح.

- خلى لك الجو (وهو مأخوذ عن المثل العربى القائل (خلا لك الجو فبيضى وأصفرى).

هذا وتكون السخرية المصرية أشد ما يمكن حينما يتفكه المصرى على الحمق والحمقى، وقليلى الحيلة أو من لا يحسنون التصرف .. فيقول المثل:

- من قل عقله تعبته رجليه.

- رزق الهبل على المجانين.

- الحاجة فى السوق تقول: «نينى نينى فين الخايب ييجى يشترينى.

- ماشافوهمش وهما بيسرقوا شافوهم وهما بيتحاسبوا.

- لما تتخانق الحرمية يبان المسروق.

- دبور زن على خراب عشه.

- لو جابوا للمجنون الف عقل على عقله ميعجبوش إلا عقله.

- رايح لطيز الكلب يشمها .

- خالف تعرف (زى الشريك المخالف).

- إيش دخل طوخ فى مليج.

- إشترى وجع قلبه بإيديه (ألا من يشترى سهرا بنوم - مثل عربى متداول).

- جه للموت برجليه (أتتك بجائن رجلاه).

- أصحاب العقول فى راحه (استراح من لا عقل له).

- كانت قاعده ومرتاحه جابت لها حاجه.

- إللى يوضيهم زى اللى يخريهم .

- الصابونه فى إيد و «النجاسة» فى إيد.

- إللى يقدر يحلها بإيديه ليه يحلها بأسنانه.

- إن طلع العيب مـن أهل العيب ما يبقاش عيب (أى أن الحمقى لا لوم عليهم).

- قالوا تعرف الهايف بإيه ؟ قال بكلامه . وتعـرف الثقيل بإيه ؟ قال بسؤاله .

- فار ما وسعه شقه حط فى قعره مرزبه .

- مخه مركب شمال .

- من عجبك يا فتى تلبس هدوم الصيف فى الشتا .

- عذر أقبح من ذنب.

- يغرق فى شبر ميه .

- ودنك منين يا جحا .

– زود المبلة طين (أو زاد الطين بلة)
– أجسام البغال وعقول العصافير .
– قلة العقل مصيبة .
– قحب ما تقحب ، لكن أفعال القحاب تعمل .
– خربها وقعد على تلها .
– لا منه ولا كفاية شره .
– مش ناوى يجيبها البر (بسلوكه الأحمق أو الأهوج) .
– بيبيع الميّه فى حارة السقايين .
– يدلقوا القهوة من عماهم ويقولوا خير من الله جاهم .
– بيقدم رجل ويأخر التانيه (كناية عن التردد وهو حمق) .
– عين فى الجنة وعين فى النار (تقال للأحمق المتردد الذى يضيع الفرص ، ويصفوه بأنه «ملألأ» أو «مخه بيجيب وبودى» .
– كلمة تجيبه وكلمة توديه (أى متردد وودنى وهو لون من الحمق) .
– دوبت هدومك يا هبيل من كتر الغسيل .
– زى الجمل اللى يحرته يبطه (لمن يفسد عمله بحمقه) .
– يكرى على خرطه زى الملوخية .
ومما يسخر منه المصرى فى أمثاله اجتماع الحمقى .. حيث يدرك

بفطرته أن ذلك الإجتماع لن يسفر عن شئ ذى قيمة .. إن لم يجلب الأذى ، وكنموذج لما قيل فى هذا الصدد :

- إتلم المتعوس على خايب الرجا .
- حطوا عيشة على أم الخير .
- أعمى يقول لأعمى صدفة سعيدة اللى اجتمعنا.
- عمية تحفف مجنونة وتقول لها حواجبك سود ومقرونة .
- إتبع البوم يوديك الخراب .
- عايبة بتعلم خايبة . الأتنين نايبة .

وبالاضافة إلى الحمق وقلة الحيلة ، يسخر المصرى فى أمثاله من التسيب والإهمال ، ويعتبرهما أيضا ضربا من الحمق وسوء التصرف فيقول :

- المال السايب يعلم السرقة .
- المفرط أولى بالخسارة .
- إللى ما يربط بهيمه ينسرق .
- البهيم السايب متروك عرضه .
- فاتت ابنها يعيط ، وراحت تسكت ابن الجيران .
- فاتت عجينها فى الماجور ، وراحت تضرب الطمبور .

ويسخر من الكسل فى أمثال تقول :

- زى تنابلة السلطان يقوم من الشمس للضل بعلقة .
- زى الكلاب يحب الجوع والراحة .
- راس الكسلان بيت الشيطان .
- طيزه تقيله (كناية عن قلة الحركة والبلادة والكسل) .
- أكل ومرعى وقلة صنعة .
- قشش على ميتك تسخن (دور على ..)
- عايز سخام منتوف ومحرمة جنبه .

فالمصرى بطبعه الأصيل يقدس العمل ويسخر من الكسالى ، وسيتضح ذلك عندما نتناول الأمثال التى تتحدث عن قيمة العمل وضرورته أو حتميته : لتستمر الحياة ، فالعمل هو دأب المصرى عبر عصور التاريخ ، وهو مجال إبداعه ، وإن تغير الحال إلى حد ما .

وعوضا عن الإسترسال فى استعراض الأمور التى يسخر منها المثل المصرى ، ويعرض بها ، نعود لنحلل مضمون ما سبق من أمثال فنقول : إنه لو حللنا هذه الأمثال كميا فسنلاحظ أن أكثر ما سخر منه المصرى هو الحمق والحمقى وعدم جدوى إجتماعهم فى أى عمل . إذ يصل عدد المتداول حتى الآن من هذه الأمثال (٤٤) ، وذلك يعد كثيراً إذا ما قيس بعدد الأمثال التى تعكس روح اليأس أو الاستهتار

بالقـيم ، التى بـلغ عددها (٢٠) مثلا فقط ، إذا استبعدنا الأمثال التى تعبر عن إسـتهانة المصـرى بالأشخاص والأعمال والأشياء ؛ لأنها قد تعـبر بوجه آخر عن إعتزاز كل فرد مصرى بذاته ، واستهانته بالآخرين ، واعتزازه بعمـله ، والإستهانة بعمل الآخرين ، فهو يرى أن أى عمل مهما كان لن يكـون فتـح عكا ! وأن أى شئ لن يكون بضاعة نتهـافت عليها ، أو شئ عليه الطلا ، بل يسخر منه بتشبـيهه بما أتى به الغـراب الشـؤم لأمه - وكأنه هدية - ولا يخفى ما فى هذا المثل بالذات من رنة سخرية لاذعة وتفكه نادر بليغ .

وإلى جانب السخرية من الحمق والحمقى نجد أن المصرى يسخر بنفس القدر تقريبا من التكبر الكاذب ، والزهو بالمظاهر ، فهو فى أعمـاقه يعتقد أن الـزهو لابد وأن يكـون بالأفعال ، وبالجـوهر وليس بالمظهر .. وهـذا يعكس اهتمام المصرى بالقيمة أكثر من اهتمـامه بالشكل أو القشور .. وسـنجد أن سخريته من المتكبـرين بلا داع تبدو أشـد أنـواع السخرية ، وأكثـرها اقتـراباً من الفكاهة ؛ لجمعها بين الأضـداد والمتناقضات من الأمور ، ومثالاً على ذلك قوله :

- زبال وفى إيده وردة .

- ملقوش فول يدشوه ، جابوا عبد يلطشوه .

- ملقوش عيش ينتشوه ، جابوا عبد يلطشوه .
- عرايا مقفقفين جابوا بعشاهم ياسمين .
- من بره هللا هللا ، ومن جوه يعلم الله .
- من بره طق طق ، ومن جوه فاش وبق .
- ملقوش عيش يتعشوا جابوا فجل يدشوا .
- فقرا ويمشوا مشى الأمرا .
- أمه عياشة وعامل باشا .
- بدل اللحمة والبتنجان هات لك قميص يا عريان .
- فقر وعنطزة .
- بواب ومالوش باب .
- عمايم على بهايم (حمير تحمل أسفارا)
- حسنة وأنا سيدك .
- شحات وعايز رغيف طرى .
- زى شحات الترك جعان ويقول مش لازم .
- زى براغيت القنطرة ، عرى وزنطرة (أى تتكبر وتنب من هنا لهناك) .
- زى ديك الخماسين عريان ومزنطر .
- قلة وعامل قناطة .

- سرباتى وإسمه عنبر .

- عريان «الطيز» وبحب التأميز ويقول باب الخمارة منين ؟

- قال ، إيش ناقصك يا العريان ؟ قال الخاتم يا مولاى .

- ميغركش الباب وتزويقه ، بص على نشفان ريقه .

- شحاته بالرومى .

- فجل يا كلاب .

- تحتيهم إفى . وفوقهم إفى ، ويقولوا ريحة إفى .

- إللى شمها هو ابن عمها (يقال لمن يتأفف من شئ هو فيه) .

- من بره رخام ومن جوه سخام .

- الفشر والنشر والعشا خبيزة .

- نفخة وشمخة وبصلة فى الجيب .

- قاعد على نخ وعمال يجخ (النخ فراش كالحصير) .

- كلب أجرب وانفتح له مطلب .

ويقول المثل عمن يتكبر ويفتخر بشئ بعيد ، متمسحاً به ، وهو على أى حال أمر غير مدعاة للفخر :

- زى الأغوات يفرحوا بولاد أسيادهم .

- هش يا دبانة أنا حبلى من مولانا .

- أسأله عن أبوه يقول ، خالى شعيب .

– قالوا للحمار أبوك مين ؟ قال خالي الحصان .

– القرعة تتباهى بشعر بنت أختها .

– ما لك بتجرى ما بتدرى ؟ قال نسيب نسيبى فى الساحل .

– ما لك بتجرى وتشلحى ؟ قالت : مفتاح القوالح معى .

– يا محلى طولك فى إللى ما هو لك ، كمان شوية يقعلوا لك .

وتسترسل الأمثال فى السخرية ممن يزهون ويتكبرون غير مدركين لقيمتهم الحقيقية ، مـوردة للمتناقضين فى أحوال وسلوك البشر .. فتقول :

– أقرع ونزهى .

– غشيم ومتعافى .

– زى الطبل صـــوت عـــالى ، وجوف خالى (أى منفوخ على الفارغ) .

– مكسحة وتقول للصايغ تقل الخلخال .

– أخته فى الخمارة ، وعامل أمارة .

– إيش كبرك عنه وإنتى بنت عمه .

– إيش إنتى فى الحارة ، يا منخل بلا طارة .

– بعد العركة ينتفخ المفش .

– قالوا للدبة : طرزى قالت : دى خفة أيادى .

- أنا وحشة وأعجب نفسى وأشوف الحلوين تقرف نفسى .

ويرى المثل الشعبى أن الكبر والتكبر ، خاصة فى مجال العمل قد يعطله .. بل إن الكبر أحيانا يضيع الفرص ، ويقطع النصيب ، ويضر بصاحبه ، فتقول الأمثال مؤكدة هذه المعانى بصيغ متشابهة تكرر نفس المعنى :

- أنا كبير وأنت كبير ، ومين يسوق الحمير ؟
- أنا أمير وأنت أمير . ومين بقى يسوق الحمير ؟
- لما أنا ست ، وإنتى ست ، مين يكب الطشط ؟ (أو الدست) .
- الكبر قاتلنا موش بخاطرنا (ويروى أيضا العجب قاتلنا) .
- كبر النفس قطع نصيب .
- زى مرزوق يحب العلو ، ولو على خازوق .

ويدعو المثل إلى عدم الكبر أو الزهو ، فلا مجال لها بين من يعرف بعضهم بعضاً فكل شئ لابد سينكشف ، فيقول المثل :

- بلدنا صغيرة ، ونعرف بعض .
- الشهر تلاتين يوم والناس تعرف بعضها من زمان (أى لا مجال للكبر) .
- نص البلد ما يعجبنى ، وأنا أعجب مين ؟!
- عيشوا عيشة أهاليكم .

– نشفت البركة وبانت زقازيقها .

ويستمر المثل الشعبى يسخر ممن يزهون بأنفسهم على أمور لا تستحق الزهو أو الخيـلاء ، فيسـفه ما يفخرون به ، ويهزأ به وبهم قائلا :

– الطول على النخل ، والتخن على الجميز .

– زى الطاووس يتعاجب بريشه .

– زى الغراب يتعاجب بعوارة عينه .

– كلب أبيض وكلب أسود قال ، كلهم كلاب .

– ما تتهزيشى ما فى الوسط إيشى .

– من عجبه حسه علاه ، ومن عجبه جسمه عراه (★) .

– زى قبور الكفار من فوق جنينة ومن تحت نار .

وينبه المثل إلى أن من يفخر بشئ أو يزهو به لو رأى ذلك الشئ على حقيقته – أى لو أدرك قيمته – لما وجد مـدعـاة لهذا الزهو .. ولذا يقول :

– الكلب إن بص لحاله ميهزش ودانه .

– لو الجمل شاف صنمه كان إندار قطمه .

ومن التعبيرات الشائعة عن الزهو والخيلاء تشبيهات بليغة تعبر عن

(★) يستعمل عادة لفظ بذئ يدل على عضو التأنيث فى المرأة .

مشاعر من يشعرون بتميزهم والمزهوين بأنفسهم ، كالقول :

- خرطة الخراط وإتد قلج مات .
- عامل فرخة بكشك .
- عايق ومتضايق (عايقة ومتضايقة) .
- عامل عنب والباقى فراطة .
- عامل ليمونة فى بلد قرفانة .
- ميعجبــوش العجب ولا الصيـــام فى رجب (من شدة إعجابه بذاته) .
- ابن بارم ديله .
- سبع البرومبة .
- زى قنصل الوز .
- عامل قمع .
- عامل ابو على .
- عامل قعر مجلس .
- قصر ديل يا أزعر (ويقولها المزهو بنفسه لمن يشعر أنهم دونه إذا لاموه على عجبه) .
- يا أرض اتهــدى ما عليك قــدى ، أو (يا أرض مـــا عليك إلا أنا) .

ومع أن الأمثال المصرية تسخر من الكبر والزهو كقاعدة .. نراها تدعو لذلك فى أمور أخرى تستحق الفخر ، وهى : العمل والشرف وما يقدم الإنسان من فضل وإحسان ، وفى ذلك تقول الأمثال :

- الشاب بسعده لا أبوه ولا جده .

- فخر المرء بفضله أولى من فخره بأصله (إنما أصل المرء ما قد حصل) .

- الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية .

ويدعو المثل الشعبى إلى الحفاظ على المظاهر مهما كانت حقيقة الظروف فيقول :

- إملى بطنك بالتبن ، وبل شفايفك بالسمن .

- إمشى على عدوك معرش ، ولا تمشيش مكرش .

هذا ونجد أنه لو قارنا نسبة الأمثال التى تسخر من الزهو والكبر وتقبحهما ، بالأمثال التى تدعو للحفاظ على المظاهر ولو بالكذب ، سنجد أن النسبة ٨٠ : ٢ ، فيما عدا الأمثال التى تبين مواضع الفخر ، التى يجب أن يعتز ويزهو بها الإنسان ، وذلك يدعونا إلى الإشارة إلى أن الإنسان المصرى كغالبية ، متواضع بطبعه ، غير ميال إلى الفخر بل يسخر منه .. وهى سمة تكررت كثيراً ضمن السمات التى

رصدها للشخصية المصرية عدد غير قليل من الباحثين . فالمصرى متواضع بطبعه ، وإن كانت سمة الفخر والزهو من السمات العربية السائدة ، لكنها كما هو واضح من دراسة الأمثال العامية المصرية ، سمة غير سائدة لدى المصريين ، رغم اعتزازهم بذواتهم ، وبكفاءتهم .. إلا أنهم غير ميالين إلى الجهر بذلك ، والتعبير عنه فى أمثالهم ، وبالتالى فى حياتهم اليومية .. لكن كثرة الأمثال التى تسخر من الكبر والزهو والفخر لا شك تعكس أن هذه السمات موجودة فى عدد غير قليل من المصريين ، وإلا لما صدر عن الوجدان الشعبى هذا الكم من السخرية من المتكبرين ، داعيا إياهم إلى ترك هذه السمة ونبذها .. فالمثل الشعبى كان ومازال له دور تعليمى لا ينكر .. وقد جاء هذا الدور بشكل غير مباشر بأسلوب ساخر . يتفق وطبيعة الروح المصرية المتفكهة المعبرة بسخرية عن كل ما لا يعجبها .. مقومة للمجتمع وأفراده بأسلوبها الخاص . ولعل سمة التفاخر اكتسبت بعد الفتح العربى الإسلامى لمصر ، فاكتسبها المصريون من العرب ، ثم من الترك فى العصر العثمانى .. وظل الوجدان المصرى الأصيل رافضا لها ساخراً منها .. وسيأتى على أى حال تفصيل للفروق بين سمات الشخصية الإقليمية أو الفرعية للمصريين ، وسمات الشخصية العربية

القوميـة ، وما أخذه المصريون عنها وما لم يتسموا به من سماتها السائدة .

واستكمالا لما بدأناه من تتبع للأمور التى يسخر منها المصرى فى أمثاله سخريته ممن يقومون بأعمال غير مجدية ، ولا طائل من ورائها .. فهو يسخر من ذلك ، بل ويظهرشماتة شديدة فيمن يمارسون عملا غير مجد ، بل وأيضا يسخر ممن يقومون بأعمال فتنقلب عليهم . وكنموذج للسخرية من العمل غير المجدى فيما هو متداول من أمثال ومازال يتردد على الألسنة :

- كأنك يا أبـو زيد ما غزيت ، أو (كأنك يا أبو زيد لا رحت ولا جيت) .

- رجع قفاه يقمر عيش .

- رجع يا مولاى كما خلقتنى .

- مين دارى بك يا اللى فى الظلام بتغمز .

- رجع بخفى حنين (وهو مثل عربى متداول بين العامة) .

- يادى الشيلة يا دى الحطة رحت على جمل ، وجيت على قطة .

- أكلنا يا بدر لا رحنا ولا جينا .

- آخرة الزمر طيط .

- طلع من المولد بلا حمص .

– بينفخ فى قربة مقطوعة .

– لا طال عنب الشام ولا بلح اليمن .

– عمر التشفيط ما يملاش قرب .

– يا مستنى السمنة من «طيز» النملة .. عمرك ما حتقلى .

– تصوم تصوم وتفطر على بصلة (ويضرب أيضا فى الزواج بعد عزوبية طويلة) .

– يصوم سنة ويفطر على بصلة .

– إياك على الطلــق ده كله يكــون المولود غـــلام ، ولا تكنــش بنية وتشــمت الجيــران (وهو يعتبــر التعــب فى إنجاب البنت عملا غير مجد .

– البقرة بتولد والطور بيحزق ليه ؟ قال ، أهو تحميل جمايل .

– طاهرت أنا عمبر قام فرشح سعيد .

– زى جمعية الغربان أولها كاك وآخرها كاك .

– زى اللى رقص على السلالم . لا اللى فوق شافوه ولا اللى تحت شافوه .

– إللى نبات فيه نصبح فيه .

– حلينا القلوع ورسينا وأصبحنا على ما أمسينا .

– المركب أم ريسين تغرق (أى أن العـــمل عليها غير ذى جدوى).

أما التشبيهات والتعبيرات الشـائعة عمن يـقومون بعمل غير مجد فتقول لهم ، وتصفهم بعبارات نورد منها على سبيل المثال لا الحصر :

- كان غيرك أشطر .
- أمير وعاقل لا يهش ولا ينش (عديم الفائدة) .
- زى الخيلة الكدابة (أى ذهاب ورواح دون فائدة) .
- لا يودى خبر ولا يجيب أثر (الشائع منها لا يودى ولا يجيب) .
- قاعد ينش (وتضرب أيضا للعاطل المفلس) .
- بيرعى الكلاب بالنص .
- لا له فى الطور ولا فى الطحين .
- لا فى العير ولا فى النفير .
- بنقرأ فى سورة عبس (أى لا جدوى مما تقول) .
- بيدن فى مالطا .
- لا ينفع ولا يشفع .
- لا يحل ولا يربط .

والمصرى دائما يربط بين العمل وجدواه ، وبين قمية الشخص ، أو ما نسميه نحن الآن «المكانة» والشخصية أو قوة الشخصية .. ولذلك تزخر الأقوال والتعبيرات الشعبية بالكثير من التشبيهات للشخص عديم الشخصية ، نجد معظمها ينصب على أن ما يقوم به لا قيمة له ، أو أنه

لا يعمل شيئا مجديا .. وكنموذج لما ورد فى الكنايات الشعبية حول الشخصية ما نورده أيضا على سبيل المثال وليس الحصر ، حيث ان العامية المصرية غنية بالتشبيهات والكنايات المتداولة - القديم منها والمستحدث - والتى لا نستطيع حتى الوصول إلى كنهها أو معرفة مم اشتقت أو نحتت ؟ أو المناسبة التى قيلت فيها ؟ وتدليلا على ذلك نورد صفات الشخص الذى لا جدوى منه أو مما يعمل :

- قاعد زى قرد قطع .
- خايب وخايب ظله (أى لا أمل فيه ولا فائدة منه)
- زى دلدول الأحـزاب (أو دلدول فقط بمعنى إمعة أو تابع غير مبادر) .
- زى شرابة الخُرج (وهو اختصار لمثل يقول زى شرابة الخرج لا تعدله ولا تميله) .
- قاعد يقشر بصل (أى عاطل لا يعمل شيئا مجديا) .
- لا شغلة ولا مشغلة (ويقول الشوام لا شغلة ولا عَملة) .
- قاعد زى الشيخ إللى انقطع ندره .
- سكتم بكتم .
- فنجرى بق أو كلام (لمن يقول ولا يعمل بما يقول) .
- طلع على فاشوش .

- قاعد زى العمل الردى .
- زى خيال المآته .
- زى قلته (أو قلته أحسن) .
- وجوده زى عدمه (أو زى قلته) .
- كداب زفة (أى لا عمل حقيقيا له) .
- مهياص أو صبى عالمة (أى لا عمل حقيقيا له) .
- زى الدلو أو الجردل (يحملونه على العمل ولا يبادر به) .
- زى رجل البنطلون (وهو قول مستحدث) .

وباختصار معجز يطلق المصريون كلمة واحدة ، تدل على مئات المعانى ، بدلالة بالغة يتفهمها ، أو يصطلح عليها الجميع ، فهم يصفون بعض الشخصيات بأنها : «هلفوت - حرفوش - فرفور - هفية - دلدول - دُهُلْ - خيخة - خرنج - لوح - لطخ - كاورك (١) » إلى آخر هذه التسميات المستحدثة فى مجملها .. وإن كان لها بالضرورة أصول قديمة ، أو هى تحريف لكلمات ، ومعان ، ودلالات قديمة ، ليس من السهل التعرف عليها ، أو ادعاء معرفة أصولها اللغوية - وهو على أى حال ليس موضوعنا - وإن أوردتها للدلالة فقط على صدق ما أسوقه من آراء .

---

(١) كلمة كاورك كانت نوعا من السجائر عليه صورة طائر أو عصفورة أصبحت توشم بها أصداغ البسطاء أو من يسمونهم «داقين عصافير» أى سذج .

أما بالنسبة لانقلاب الهدف ، أو السعى إلى شئ فينقلب على صاحبه ، أو يخيب ظنه فيه ، فقد عبرت الأمثال عن السخرية من انقلاب الهدف خير تعبير ، وبــروح فكاهة متميزة ، تظهر فيها المقابلة بين الأضداد بذكاء نادر ، وتشـــبيهات غاية فى البلاغة ، وقد احتفظت الذاكرة المصــرية بعــدد غير قليل من هذه النوعية من الأمثال نذكر منها :

- تيجى تصيده يصيدك .
- طمعنجى بنى له بيت فلسنجى سكن له فيه .
- مزين فتح ، براس أقرع استفتح (ويضرب لسوء الحظ أيضا) .
- قال : يا صياد رميت الشبكة ، طلعت ضفدعة مطلعتش سمكة .
- طلع نقبه على شونه .
- جوزناها تتاخر . راحت وجابته راخر .
- جت تكحلها عميتها (أو جا يكحلها عماها) .

وتضرب هذه الأمثال أيضا فى توقع الخير فينقلب إلى شر ، أو الاعتماد والاســتعانة بأحــد ، فلا نجد لديه هذا العــون وكنمــوذج لذلك :

- جبتك يا عبد المعين تعينى .. لقيتك عايز تتعان .
- اتكل على حيطه مايله (أو مسنود .. أو مركون) .

- جبت الأقرع يونسني .. كشف راسه وخوفني ..
- إللى يتكل عليه يبيع هدومه (أو يبيع عياله) .
- إللى تحسبه موسى يطلع فرعون..
- فرحنا بالنيل ، جا النيل غرقنا .
- خيرا تعمل شرا تلقى (ويضرب أيضا فى نكران الجميل) .

وعدا السخرية والتهكم .. تضيف الأمثال المصرية لوناً آخر من التفكه المرير .. إلى رصيدها الساخر وهو «الشماتة» .. وفيه يشمت المثل المصـرى من أمور كثيرة ، ونتبينها من رصيد زاخز بقى منه ما يلى :

- وقعتم ، ولا حدش سمى عليكم .
- نخنخت يا جمل ، ولا طولتش أمل .
- تروح فين يا صعلوك بين الملوك ؟!
- إللى يشيل قربة مخرومة تنز على ظهره .
- إللى يشيل قفة مخرومة تخر على دماغه .
- ربنا يهنى سعيد بسعيدة .
- بقى عبرة لمن يعتبر .
- الحجر الـدابر لابـد عن لطـه (أى أن التصـدع نتيجة لابد منها)

- مبروك الطهارة يا معاشر الأمارة .

ويتضرر المصرى جدا من الشماتة ، ويعمل لها ألف حساب ، خاصة شماتة الأعداء فيما يصيبه من مكاره ، فيقول :

- شامتة ومعزية .

- عدوتى وعملت مغسلتى .

- الشماتة تبان فى عين الشمتان .

- إللى تعايرنى به النهاردة تقع فيه بكره (أى كله سلف ودين) .

- إيش حدا فيما بدا ياللى كلامك ضرنى ؟! منين شمت الناس ؟ ومنين صالحتنى ؟!!

- يا بخت من بكانى .. وبكى علي . ولا ضحكنى . وضحك الناس على .

- حى طلب موت حى .. مجنون يستاهل الكى (أى لا شماتة فى الموت) .

- ذنبه على جنبه (وتقال شماته فيمن لا يسمع النصيحة) .

ويرتبط بموضوع الشماتة مما يصيب الإنسان موضوع أخر ، ربطت الأمثال بينه وبين الشماتة .. وهو السلف والدين - ليس بمعنى السلف المادى .. ولكن بمعنى أن «الدنيا دوارة» .. وأن ما يشمت فيه

الناس الآن قد يصيبهم غداً ، فلا مفر من ذلك ، خاصة فى الموت والمرض والفقر .. وما إلى ذلك من أمور غير مضمون قدرة البشر على إتقانها ، ويخلص المثل الشـــعبى المصرى إلى نتيجة ، أو حكــمة بليغة، هى خلاصة الحكمة كلها .. وهى أن «كله سلف ودين» وتضرب بمعنى أن كــل ما يفعله الإنسان يرد عليه - ولو بعد حين - حتى الشماتة والمعـــايبة ، والفــرح فيمـــا يصيب الناس من مكروه .. وأيضا الأفعال كلها بحلـــوها ومرها ، فيما يخص التعـامل مع الغير .. وسلوك الفرد تجاههم بالخير أو بالشـــر .. وفى ذلك تقول الأمثال المصرية :

- كله سلف ودين حتى المشى على الرجلين .
- من عايب ابتلى (أو من عاير ابتلى ، ولو بعد حين) .
- كلمة الفم سلف ، ولو بعد حين .
- لا تعايرنى ولا أعايرك .. الهم طايلنى وطايلك .
- عامل تعامل .
- من حفر حفرة لأخيه وقع فيها (عربى متداول) .
- كل عين وقصادها صباع .
- ذنب ناس يخلصوه ناس .
- ربنا بيسلط أبدان على أبدان .

- داين تدان .
- عملك عمالك .
- على الباغى تدور الدوائر (عربى متداول) .
- يمهل ولا يهمل (عربى متداول) .
- الجزاء من جنس العمل (عربى متداول) .
- من حكى لك حكى عليك .
- حط إيدك على عينك . زى ما توجعك توجع غيرك .
- من قدم شيء بيداه إلتقاه .
- حط إشى تلقى إشى .
- من أعمالكم سلط عليكم (عربى متداول) .
- تدوس على ديل القط يخربشك .
- العين بالعين والسن بالسن (عربى متداول) .
- إن الله لمخلصان (تقال شماته فيمن انتقم الله منه) .
- طباخ السم لابد يدوقه .

ودون تفلسف أو ادعاء .. يمكننا القول بأن المصرى يؤمن إيماناً يكاد يكون مطلقاً .. بأن ما يمارسه لابد وأنه مرود إليه يوما ما .. وذلك ما يجعله يتقى الظلم فى سلوكه اليومى خوفا من أن ينقلب عليه .. ويمارس ضده ، وهو إذا ما أصابته مصيبة ، نجد أن أول ما يتبادر إلى

ذهنه تساؤل ملح مؤداه : «أنا عملت إيه فى دنيتى كى يحدث لى ذلك ؟ «وهو تساؤل يعكس ما لدى المصرى من خشية وتقوى الله .. والإيمان بأنه مخلص الذنوب ، والمنتقم .. ويقودنا هذا الحديث إلى السمة الثانية الأكثر بروزاً فى الشخصية المصرية عبر العصور ... والتى ربما لم تنل منها الأيام .. ولم تغيرها الظروف الإجتماعية والإقتصادية المتعاقبة بل زادتها عمقاً .

التـــدين

أما عن السـمة الثانية التى أجمعت علـيها معظم الدراسات الخاصة بالشـخصية المصرية، ولم يختلف عليها أحد، فهى سمة «متدين»، فالمصرى فى كل عصـور تاريخـه القديم والحديث متدين، حتى قبل ظهور الديانات السـماوية الثلاث ، وحتى فى عصور تعدد الآلهة ، كان المصرى يتصف بالتدين ، والتمسك بمعتقده الدينى، وممارسة طقوس عبادته بالتزام ، وفى العصر المسيحى ، بلغ التدين حد الاستشهاد فى سـبيل العقيدة ، بل إن الروح المصـرية اضافت إلى الديانة المسـيحية الكثير ، وفى مقـدمة ذلك الرهبانية .. وفى العصر الاسلامى لا مجال لتكرار الحديث عن الدور الذى قامت به، ولا تزال تقوم به مصر فى سبيل نشر العقـيدة الاسلامية فى العالم . ولا يخفى على أحد ان المصرى دائما ـ وفى كل عصوره ـ كان الدين ملجأه

الاول والاخير - الى جانب الفكاهة (١) - فى مواجهة ما يعترضه من صعاب ، وما يجابهه من قهر وظلم، من حكامه أو مستعمريه ، ومن ظروف فقره واحتياجه، أو حتى مواجهة ما يصادفه من أمور غيبية لا يعرف لها مبررا ، ولا يردها عنه ، ويسرى عنه اصابته بها، إلا الايمان والصبر، واعتبار كل ما يصيبه من عند الله ، ولذلك يقول: «إللى منه هل بت عنه» أى ما هو عند الله لابد ان يحدث، ولا راد لقضائه.

فالمصرى يرى كل شيء من خلال قدرة خفية، او قوة غير مرئية تسير الأمور، وتحدد المصائر، ولا يملك الإنسان المصرى حيالها، إلا الصبر، وقبول الواقع، والتسليم به، مع السخرية من القدر والدنيا، واحوالها المتقلبة، مستسلما فى إيمان - أقرب إلى السلبية - مسلما بالقدر والمقدر والمكتوب، الذى لا مهرب منه ، فى نظر الإنسان المصرى، إلا بالصبر - الذى أصبح كالمخدر بالنسبة لآلام المصريين - منتظراً أن يأتى يوم ينتصر فيه ويعتدل نظام الكون الذى مال به ، وهو فى ذلك يؤمن بانتصار الخير والحق فى النهاية - مهما طال المدى - وذلك نابع من إيمانه بعدالة السماء، أو عدالة الإله أيا كان - واحدا أو متعددا - أى أنه إيمان بالقيم المطلقة وصدقها - مهما بدا عكس ذلك -

(١) ولعل ذلك ما يبرر تواكب ظاهرتي المجون والتصوف في كل عصور القهر التي عانى منها المصريون ولعل ما نمر به الآن من تطرف ديني وانغماس في المخدرات والادمان والتعذيب دليل آخر على ذلك.

وسيأتى ذلك تفصيلا فى حينه ـ حيث سنتحدث أولاً عن إيمان المصرى ، وتدينه بشكل عام.. ثم نتناول بعد ذلك كل ما ترتب على هذا الايمان المطلق من تفريعات، ومنها الإيمان بالقدر، والمكتوب ، والنصيب والقسمة، والحظ أو البخت، وما يجره هذا الايمان من رضا وتسليم، وصبر واحتمال للمكاره.. بل سيقودنا الحديث عن تسليم المصرى، واعتقاده فى كل هذه الامور، الى الحديث عن رؤيته الخاصة للمرض والموت.. وهما حقيقتان يجابهها بوسائله الخاصة فى المواجهة: «الصبر والتسليم»، وسيقودنا ذلك ايضا الى الحديث عن نظرة المصرى «للدنيا والزمان» وتقلبهما ، و«تبدل الاحوال» تبعا لذلك، وما يستتبع كل هذه الظروف من ظهور طبقات من «المحدثين» الذين يسخر منهم المصرى سخريته المعتادة.. ولكن بمزيد من المرارة.

وبالضرورة سيقودنا الحديث عن معتقدات المصرى ، وإيمانه بالغيبيات وببعض الأمور التى لا يملك لها درأ ـ إلا بوسيلته العاجزة «الصبر» والاحتمال ومن هذه الامور كمثال الاعتقاد فى الحسد كأمر وارد فى الديانات السماوية ، والاعتقاد فى بعض الغيبيات التى لا سند لها من الواقع ، والتى يسلم المصرى بنتائجها تسليمه بقدره ، وإيمانه بأن الله وحده هو الذى يمكنه ان يرفع عنه ما يصيبه من بلاء بسببها .. أو من جراء اعتراضها لمسيرة حياته، وتعويقها لمساره.

وأقول انه يجابه كل ذلك بوسيلته العاجزة.. لأنه حيال هذه الأمور لا يجد ما يعمله سوى القول الخاضع :.«العمل عمل ربنا» أو «قول: يارب». فالمصرى يقابل تصاريف القدر بالصبر والسلوى ، ويتألم حسرة إذا لم يصب مرامه ، أو يحقق هدفه .. معتقدا ان ذلك بسبب سوء الحظ، الذى غالبا ما يرجع إليه كل إحباط يصيبه.

وقبل ان ندخل فى تعريف الفلسفة المصرية حيال ما يصيب البشر من نكبات، أو ضربات حظ غير مبررة.. سنتناول أولا سمة «التدين» وكيف انعكست بجلاء فى الامثال الشعبية الداعية إلى الاتكال على الله ، والاعتماد عليه فى كل الامور ، كالعمل ، والرزق والعطاء ، والانتقام ، والتدبير ، والغيب ، والستر، والنصر، وهو قبل كل ذلك مؤمن إيمانا عقلانيا مطلقا بالله، لا يمكن التشكيك فيه.. فالمثل المصرى يقول:

- ربنا ما شفناه بالعقل عرفناه.
- ربنا كبير (اى لا تعلوه قوة).
- ربنا موجود.
- ما يعلم الغيب إلا الله.
- ربنا هو المنتقم.
- سلم امرك لله تسلم (دعوة صريحة للاتكال على الله).

- إتكل على اللى خلق الخلق (دعوة صريحة للاتكال على الله).

- الخيرة فيما اختاره الله (رضا بأى شيء).

- خد من عبدالله واتكل على الله.

- إللى سترها فى الاول يسترها فى الآخر (أو فى الثانى).

- قولى يارب.

- النصر من عند الله.

- تبات نار تصبح رماد. لها رب يدبر.

فالمصرى يعتبر النصر والستر، وتدبير الامور، وعلم الغيب. والقوة والقدرة على الانتقام من عند الله ، فليعتمد عليه فى هذه الامور، وإن لم يخل المثل من دعوة للعمل والسعى، خاصة فى مجال الرزق.. ولكن بنسبة اقل، فالمثل يقول ايضا:

- إسعى يا عبد وانا اسعى معاك.

- اعقلها وتوكل (مثل عربى متداول وهو اصلا حديث شريف).

- إستعنا على الشقا بالله (تقال عند الشروع فى العمل).

- إعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا.. واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا (حديث متداول).

- إذا عزمت فتوكل على الله..

- كبب وربنا المسبب.

- إعمل إللى عليك وسيب الباقى على ربنا.

فمع ايمان المصرى بضروة العمل الى جانب الاعتماد على الله - فهو الرازق - نجد بعض الامثال ترجع مسألة الرزق كاملة لله.. دون دعوة للسعى والعمل - وهو ما سنناقشه فيما بعد فى الحديث عن الجوانب الاقتصادية المتعلقة بالمال والاعمال - وإن اشرت هنا الى بعض الامثال التى تبرز مدى اتكال المصرى - ولا اقول تواكله - على الله إتكالا مطلقا كقوة إيمانية تعينه على استمرار الحياة، وتحمل ما قد يصيبه من إنقطاع رزقه، او كساد تجارته.. ومن هذه النماذج الامثال القائلة:

- مطرح ما ترسى دق لها (أى لا تعاند القدر).
- إجرى يا ابن آدم جرى الوحوش غير رزقك لم تحوش.
- قال إجرى ومد..شىء يهد (دعوة للتواكل) ..
- ربك يرزق الهاجع والناجع والنايم على صماخ ودنه.
- إللى خلق الاشداق متكفل بالارزاق.
- من كان رزقه على الله فلا يحزن .
- أنت تريد. وانا أريد .. والله يفعل ما يريد (عن المصير كله).
- ربك رب العطا يدى البرد على قد الغطا (عما يصيب الانسان من بلاء).

- ربنا قبل ما يبيلى بيدبر.

- بيخلق فى قضاه رحمه (لأنه الله).

وفى هذا الاعتماد والاتكال المطلق على الله نجد المصرى يعتمد على حدسه فى ذلك ، فهو يرى ان:

- قلب المؤمن دليله.

- النار ما تحرقش مؤمن.

فشرط الاتكال مع إصابة الخير، واتقاء الاذى هو الايمان المطلق، فالمؤمن هو الذى يعتمد على الله فيعطيه ، ويكفيه الاذى، وينتقم له أو (نيابة عنه)..

وعدا عن الايمان بالله ، نرى المصرى اتكاليا بوجه عام ، فهو يعتمد على ان الامور تسير فى اعنتها، ولا داعى للحرص أو الحذر.. او الحكمة والتدبير ، فما سيصيبه سيصيبه مهما احتاط او تحسب، فالمصرى يؤمن ايمانا خفيا بأنه مسير لا مخير ، وذلك ما تدل عليه امثاله الشعبية.. فهو لا يحسب حسابا للغد ويترك نفسه نهبا للايام وما تقدره.. ويصل ذلك احيانا الى حد الاستهتار بالخطر والاسراف على النفس.. فالمصير او كل ما يصيب الانسان لا يد له فيه، فالمثل يقول:

- إن حلى لك زادك كله، ها يجى يوم ما تقدر تشمه.

- اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب.

- ان جالك الفرج إنهبه نهيبه.

- كل الدود قبل ما ياكلك.

- من عاش بالحكمة مات بالمرض (فلا داعى للحذر بل إتكل).

- سيبها لما ييجى وقتها (وقتها يحلها ربنا).

وإيمان المصرى وتدينه هو الذى دعاه الى الاتكال على قدرة الله فى تصريف معظم شئونه.. ليس اليوم فقط.. لكن عبر كل العصور.. فالدكتورة نعمات فؤاد تقول عن تدين المصرى: إن الايمان الصفة الاولى لمصر فحضارتها منذ البداية دينية (١) ولذلك فقد افردت فصلا او عدة فصول للحديث عن فكرة ان حضارة مصر دينية، وقالت بأن فلسفتها تقوم على اربعة عناصر هى: النور، والسماء، والماء، والحجر .. وهى فى الوقت نفسه عناصر الشخصية المصرية والفلسفة المصرية. مع ولع بالرائع وتعلق بالاعلى.. واستمراء للعمل الجميل.. يجرى عليها فترتفع الشوامخ من اعمالها معابد .. ومساجد وفنونا وعلوما وحكمة.. تعلمت مصر من الحجر الصبر ومن النور البهجة ومن الماء الرقة والعذوبة، ومن السماء الرحمة والسعة (٢) . ولا يتسع المجال هنا الى استعراض كل النقاط التى أوردتها الدكتورة

---

(١) نعمات فؤاد: شخصية مصر. ص ٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٦.

نعمات عن ايمان المصرى ، وتدينه الذى خلق لديه قدرة فائقة على الخلق، والذى كان عندها مصدرا لقوة شخصية المصرى، وليس لتبعيته او ضعفه، وهو ما سيتضح لنا من استعراض الامثال التى تعبر عن ايمان المصرى ، ليس بالله فقط.. ولكن بكثير من الامور الاخرى.. النابعة من ايمانه المطلق بالله وقدرته وتسييره للامور.. فإيمان المصرى بأن «المقدر والمكتوب» له سيراه ايمان لا حدود له.. فالمثل المصرى يرى ان:

- المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين.
- المكتوب ممنوش هروب.
- إللى منه هلبت عنه.
- ساعة القدر يعمى البصر (ساعة القضاء).
- الحذر ما يمنعش قدر.
- يا هارب من قضايا.. مالك رب سوايا.
- خارج من الحريقة قابله الغراب زغطة (لان ذلك قدره).

والمصرى يعتبر الرضا بالقدر والمكتوب حتمية وضرورة فبعض الامثال تدعو لذلك قائلة:

- إرض بالمكتوب.
- مقدر ومكتوب (أى لا مفر منه).

- «امتحان من ربنا (لابد من التسليم به).

- إللى كتب غلب.

ومع ذلك يلوم المثل المصرى، من يخطىء ويتصرف بحمق ثم يدعى ان ذلك قدره وما كتب عليه ، ويسخر المثل منه قائلا:

- يفتح عينه للدبان ويقول دا قضا الرحمن (١).

- العاجز فى التدبير يحيل على المقادير.

- أنا كل ما اقول التوبة.. ترمينى المقادير (تغنى ايضا فى موال).

وزيادة فى السخرية من مقدرات البشر وأقدارهم يقول المثل الشعبى:

- خلق ناس وتحفهم وكبب ناس وحدفهم . (او اختصاره).

- قدر ولطف.. وكبب وحدف..

هذا ويرضى المصرى بالمقدر له. لكنه يرفض انتظاره.. فإذا كان بلاء فليأت.. وسنتقبله.. بحلوه ومره. فيقول المثل فى ذلك:

- نزول البلا ولا انتظاره (وتقال ايضا وقوع البلاء).

- قال : نام لما أدبك : قال «شىء يطير النوم».

- مفيش امر من الانتظار.

ويفرق المصرى بحكمة بليغة ووعى شديد بين كثير من الامور

(١) وتقال ايضا بمجون وتحامق (يعرى طيزه للديان).

التى تصادفه فى حياته ، فهو يفرق بين «المقدر والمكتوب» وبين «النصيب والقسمة».. و«الحظ والبخت» بذكاء شديد.. وترى دكتورة فاطمة المصرى ان ايمان المصرى بهذه المسلمات يرجع ايضا لتدينه الشديد، فهى تقول «إن الشعب المصرى يؤمن بالقضاء والقدر.. ويرضى بما قسمه الله» وذلك كنتيجة للنزعة الدينية المتوارثة، وقد لا يكون ذلك دليلا على تمسك العامة بدينهم.. ولكن هناك صفات مصاحبة.. لها من الاثر ما يفوق الصعاب الاساسية ولذلك نجد القدرية والرجعية والكرم والتسامح تعتبر صفات مصاحبة للتدين، ولها اثرها الواضح فى الجماعة (١).

وترى ايضا ان الانسان المصرى مستسلم خائف خاضع راض- طيب السريرة، ساذج (خاصة فى الفئات الدنيا كالفلاحين الفقراء).. وهو متواضع ومغلوب على أمره.. وهذه كلها سمات ترتبط فى رأيى ايضا بتدين المصرى واتكاله وتسليمه بالقدرة الاعلى، التى تسير وتصرف اموره، وهى التى جعلته يؤمن بالحظ والبخت ايمانه بالقدر والمكتوب الذى لا مهرب من التسليم به.

هذا وقبل أن نتناول الأمثال التى تعبر عن إيمان المصرى «بالحظ والبخت» لابد أن نناقش أولاً مفهومه لهاتين الكلمتين . وفقا لما ورد فى

---

(١) فاطمة المصرى، الشخصية المصرية، ص ١٤٥.

تحليل هذا الفهم لدى عدد من الباحثين ، وكنموذج : أشارت دكتورة فاطمة المصرى إلى أن الإنسان المصــرى يرجع الفشل إلى البخت والقدر إذا كان متعلقا بنفسه ، أما إذا تعلق بغيره ، فيرجعه إلى التبذير أو التجبر أو الانتقام العادل من الله ، فالإيمان بالحظ والبخت هو الذى جعل المصرى مازال متمسكاً بالكثير من الأمثال التى تؤكد جانب الحظ، وتغلبه على الاجتهاد والعمل .. وذلك ما يجعل حتى المثقفين يلجأون أحياناً للعمل بالغيبيات للتعرف على الطالع ومستقبل الأيام ، وما يخبئه القدر . وأتفق معها فى ذلك .. مع إرجاع الأمور إلى أصلها وهى أن هذه القناعات والممارسات ترجع إلى إيمان المصرى بالله ، مصرف الأمور كلها ، مع إيمانه بأنه «لا يعلم الغيب إلا الله» .. لكن المصرى يلجأ إلى معرفة الغيب بفتح المندل ، وقراءة الطالع فى الفنجان، أو الكف حينما ييأس ، وتحيط به الكوارث من كل حدب وصوب ، ويطول أمدها دون أن ترفع عنه الغمة ، ولا يعرف لذلك مبرراً أو سبباً .. فلا يلجأ إلى مثل هذه الوسائل إلا اليائسون المبتلون ، وليس السعداء .. فالإنسان المصرى بعفويته المعهودة ، أطلق أمثالاً عن «القدر والحظ والبخت» تعبر عن فلسفة عميقة ، وتفرق بين كل منها تفرقة دقيقة ، فالمصرى يفرق بين «الحظ» السريع الذى يجب ألا يفوته ركبه المنطلق ، وبين «القدر» العادل الذى يجب أن يرضى به ، لأنه كما يقول أبو سنة فى «فلسفة المثل

الشعبى» : إننا نؤمن بعدالة القدر وبلاهه الحظ .. ولذلك أورد نصاً أو اقتباساً طويلاً ، يفسر هذا المعنى بأدق أساليب التعبير - التى قد أعجز عنها - وإن كنت سأورد بعدها نماذج من الامثال تؤكد هذا التفسير العميق لمفهوم المصرى للقدر والحظ والبخت وتفريقه بينهما .. إذ يقول ابو سنة نصا:

«وإذا اردنا تصنيفا فكريا لهذه الكلمات فإننا نستطيع ان نقول : إن القدر كلمة دينية خالصة - اما الحظ والبخت فكلمتان اجتماعيتان ، لهما تاريخ حافل بالسعادة والشقاء فى حياة البشر . فإذا نظرنا الى الكلمات الثلاث من خلال وظائفها وجدنا ان:

١ - القدر هو التصرف المطلق بطريقة كلية.

٢ - الحظ اشبه بالثرى الابله الذى يمنح بلا وعى ويبذر امواله فى جيوب لا تنتظر منه شيئا فهو كثير ما يدى الحلق للى بلا ودان.

٣ - البخت هو إله خامل فاشل يقود ضحاياه الى متاعبهم وآلامهم.

ومن هنا ندرك ان القدر اقرب الى المعتقد الاخلاقى الذى يدرك الجانبين المتنابذين ، الجانب الخير والجانب الشرير، وهو فى النهاية يفرض على الجميع عدالته المطلقة كما انه لا يترك الامور تعتنق سليقتها بل يوجهها . ويعمل دائبا من وراء ستائره الكثيفة . ولكنه

للاسف يترك على الارض سفراء ليسوا بالذكاء الكافى لتغطية وقاره فى اعين ضحاياه «أو رعاياه» ، فالحظ يعطى الحلق اللى بلا ودان وهو ابن بكر للمصادفة العمياء .. وهو يمارس دوره فى حدود الشخصيات لا فى حدود الامم او الجماعات فهو اشبه بمغامر مخمور يوزع هباته بطريقة لا عدل فيها ولا وعى (١).

ولكن كيف عبرت الامثال عمليا، او وفقا للدراسة التطبيقية عن ذلك.. تقول الامثال معبرة عن علاقة البخت بالمهارة والعمل المتقن كعلاقة عكسية :

- قيراط بخت ولا فدان شطارة.
- سبع صنايع والبخت ضايع.
- سبع صنايع فى ايديه والهم جاير عليه.
- ناس تتعب ولا تكسبش وناس تكسب ولا تتعبش..
- ان عمل مهما (واللا ما) عمل متعوس وخايب الامل.
- الحظ لما يأتى يخلى الاعمى ساعاتى.
- بتيجى مع العمى طابات (ويقال مع العور او الهبل).
- يدِّى الحلق اللى بلا ودان. ويدى الفول اللى بلا سنان.
- حظ فى السحاب وعقل بى فى التراب.

(١) محمد ابراهيم ابو سنة «فلسفة المثل الشعبى، ص ١٠١.

- إعمل انت يا شقى لده المتكى.

- اجرى يامشكاح للى قاعد مرتاح.

- يا حمار العرس بيدعيك قال «ياللسخرة يا لكب تراب.

- السعد ما هوش بالشطارة.

- جينا نتاجر فى الحنا كترت الاحزان.

- جيت اتاجر فى الكتان ماتت النسوان.

وعن مفهوم الحظ الأهوج لدى المصريين، وأنه سريع غير متأن، يمكن ان يرفع الشخص من اسفل الى اعلى بسرعة، دون منطق او مبرر، تعرف الامثال الحظ بأنه :

- خبطة حظ أو ضربة حظ (كناية عن السرعة وعنصر المفاجأة).

- الحظ إبن لحظة..

- العناية صدف (أى يابخت من تصادفه).

- ساعة الحظ.. ما تتعوضش (أى لا تأتى مرة اخرى).

- حسك تفوت الحظ إن كان حابك (بمعنى السرور والانبساط).

- يا صابت يا خبت (اى مرة واحدة لا تكرار لها).

- صابت يا اتنين عور (فى نفس المعنى).

- السعد وعد (اى دون ميعاد او ترتيب مسبق).

وتعبيرا عن حتمية البخت، وكأنه قدر لا فكاك منه، ولا يمكن تغييره -

ولا بفروغ الاجل - تقول الامثال بلهجة ساخرة من قليلى البخت او الحظ ، والتعساء :

- شرد من الموت وقع فى حضرموت.

- عديم البخت يلاقى العظم فى الكرشه (وتقال قليل البخت).

- قليل البخت عضه الكلب فى المولد.

- جت الحزينة تفرح ملقتلهاش مطرح.

- سلم من الدب وقع فى الجب.

- راحت من الغز هاربة قابلوها المغاربة.

- ربنا ما يقطع بيك يا متعوس يروح البرد ييجى الناموس.

- جيت اغير البخت لبخت.

- المغلوب مغلوب وفى الآخر يضرب الطوب (أى يعمل فى ضرب الطوب فى الآخر أيضا).

- من يوم ما ولدونى فى الهم حطونى.

- على ما يسعد المتعوس يكون فرغ عمره (اى سيىء الحظ طول عمره).

وترى الامثال انه لا مفر لانسان من بخته او حظه ، فإذا كان تعيسا فلا سبيل الى تغير حظه ، مهما فعل او حاول التغيير، أو حتى الاعتراض على بخته، فحظه يتبعه اينما ذهب، ولا مفر منه، ولا سبيل

لتغييره ، وتؤكد ذلك الامثال القائلة بسخرية وبأسلوب فكه، يضحك بقدر ما يؤلم:

- يا بخت مالك من دون البخوت لبخت.. قال : إن ما كنت تسكت ها اسقط شوية لتحت.

- بختى لقانى فى الطريق يعرج قاللى، إرجعى ياخايبة لارقد.

- قلت لبختى انا رايحة اتفسح.. قال لى وانا مانيش مكسح (اى سآتى معك).

- قلت لبختى انا رايحة للجيران، قال ، وأنا مانيش تعبان.

- قلت لبختى انا رايحة لاهلى، قال وانا امشى واحدة واحدة على مهلى (اى مهما حاولت الهرب منه فهو سيتبعك).

- المنحوس منحوس ولو علقوا على راسه فانوس.

وذلك لان:

- البخت يتبع اصحابه.

ولذلك فإن:

- بختها معها معها منين ما تمشى يتبعها (إذا كان حسنا او سيئا).

- له فى كل خرابة عفريت.

- ارميه البحر يطل وفى بقه سمكة (لان الحظ الحسن ايضا تابع لصاحبه مهما حدث).

ولكن ما هى الحظوظ السيئة ؟ وما هى الحظوظ الحسنة؟

وكيف عرفتها الامثال؟ وذلك ما سنعرفه تحديدا من مجموعة امثال تناولتها بسخرية ايضا، فقالت:

- يا بخت من كان النقيب خاله (فلا داعى للمهارة فذلك حظ له).

- من سوء بختى حبونى الكلاب.

- عيشك يحلى لى يا خالى ، قال ده من سوء بختى يا ابن اختى .

- عيشك كويس يا خالتى . قالت: من سوء بختى يا بنت اختى.

- بختك يا ابو بخيت (اى ما قسم لك).

- انت وحظك أو انت وبختك (اى ما قسم لك).

- خبطتين فى الراس توجع.

- الفقى لما يسعد تيجى له ختمتين فى ليلة (من سوء الحظ ان لا يوزع الرزق على الايام لنستطيع السعى له وجلبه).

- جارية تخدم جارية دى داهية عالية (وهى من امثال عصر المماليك الذى كان الحظ فيها يصعد ببعضهم الى الامارة).

وعن التفاوت فى الحظوظ بين الناس ، وهو امر لا مبرر له او يجب ألا نحاول تبريره ، بل نسلم كما يقول المثل بأن:

- ناس تاكل البلح ، وناس تنضرب بالشماريخ.

- ناس تاكل البلح ، وناس يترموا بالنوى .

- ناس ليهم العنب، وناس ليهم الحصرم.

- شخوا عليّ كلكم ، ياللى الزمان خلانى لكم.

- من لقى بخته، خرى تحته وجاب عدى البخت يمسح له (١)

وعن الحظ الحسن يعبر المثل قائلا:

- جت له على الطبطاب (وهو اول قطفه فى البوظه).

- باضت له فى القفص (اى لن يبحث عنها فهى عنده).

وعن الحظ السيىء يقول المثل:

- من حفره لطوبه يا قلبى لا تحزن.

- تخلص من حفرة تلاقى دحدوره.

- يطلع من نقره يقع فى دحديره.

- فى حزنهم مدعية وفى فرحهم منسية (عن سوء الحظ مع الناس).

- يا فرحة ماتمت خدها الغراب وطار.

- جيت ادعى عليه لقيت الحيطة مايلة عليه.

- ياقلة بختى (وتقال فى التحسر).

والمثل يعتبر ان الحظ بحلوه وبسوئه من عند الله، ومقدر للشخص، ولا يد له فى تبديله، بدليل الاستفهام الاستنكارى القائل:

- حد بيقول يارب اتعسنى؟!

---

(١) وقد اوردت هذين المثلين رغم ما بهما من ألفاظ نابية لبلاغتهما فى التعبير.

- حد يبقى القلم فى ايده ويكتب نفسه شقى؟!

- هو حد بيميل بخته بإيده؟!

ورغم ذلك نجد المثل الشعبى يدعو الى اقتناص الفرصة إذا عثر المرء على بغيته ومناه، وان ورد ذلك فى مثل واحد انتهازى يقول ناصحا المرأة:

- خدى بختك من حجر اختك (او حضن اختك).

وهو إختصار للقول:

- إن لقيتى بختك فى حضن اختك خديه واجرى.

وهو فى تصورى معنى مجازى لا يعنى التركيب اللفظى ذاته ولكن يعنى اينما وجد البخت على الانسان اقتناصه رغم الاستحالة .

ولهذا يرى ابو سنة - واتفق معه - ان:

هذا المغامر المسمى بالحظ قادر بطريقته الخاصة على نقلنا من ادنى درجات السلم الى المراقى العالية.

والحقيقة ان الحظ والبخت والنصيب مجرد اقنعة غامضة تستر طبيعة المتناقضات فى هذا الواقع، وتخفى اعراض العلاقات الاجتماعية فى المجتمعات المتخلفة.. ووجه المجتمع الدميم الذى ينضح بالرشوة.. والفسق.. والنفاق.. والوساطات لا يجد من المساحيق إلا مثل هذه الكلمات الخادعة وهذا ملاحظ فى واقع سلوكنا اليومى (١).

---

(١) إبراهيم ابو سنة، فلسفة المثل ، ص ١٠٢.

وهى على اى حال كلمات نعبر بها عما يصيبنا من احباط غير مبرر.. او هى وسيلة تعيننا على تحمله.. باسناد كل الامور الى الحظ والقدر والنصيب.. بدلا من تسمية الامور بمسمياتها الحقيقية - والموت غيظا او كمدا - وان كانت الامثال تشير اليها بطرف خفى كما فى القول السابق الاشارة اليه:

- يابخت من كان النقيب خاله.

- إللى له ظهر ماينضربش على بطنه.

وتضيف الامثال لونا آخر من المسلمات الغيبية، التى تقحم نفسها على مسيرتنا، ويسمونها القسمة والنصيب، ترى ان لها حظها ايضا من الالتزام بأصحابها والبحث عنهم وتتبعهم لتلقاهم وتعطيهم المقسوم لهم أو نصيبهم من الدنيا، حتى لو لم يكونوا من الموعودين به او المنتظرين له.. ومن الامثال الشائعة عن القسمة والنصيب والقائلة بتحكمهما فى كل شىء:

- كل شىء قسمة ونصيب.

- الجواز قسمة ونصيب.

- اللقا نصيب.

- اعزم واكل العيش نصيب..

- إللى من نصيبك يصيبك (أو لازم او لابد يصيبك).

- كل واحد بيأخد نصيبه محدش بيأخد إلا نصيبه).

- النصيب بيدور على صاحبه.

- قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا (من القرآن الكريم).

- مش ها يصيبك إلا نصيبك.

- إللى من نصيبك محرم على غيرك.

- محدش بيأخذ نصيب حد.

- ده للمقسومين مش للموعودين.

- إرض بنصيبك تعيش.

وكل هذه الامثال فى معنى واحد، مع اختلاف الصياغة فى الالفاظ تقديما وتأخيرا.. ولكن المثل الشعبى الذى يعطى النصيب بعض سمات القدر والبخت من حيث لزوميته لصاحبه وتتبعه له، والاعتقاد فى انه مكتوب لا مهرب منه، ولابد من الرضا به، بل ان الرضا به من الايمان بدليل المثل القائل: «الرضا بالمقسوم عبادة».

يمنحه ايضا صفة مميزة له، وهى انه غير طائش، بل انه يعطى لمن يستحق وذلك يتضح فى الامثال القائلة:

- لكل مجتهد نصيب (فى معنى من جد وجد).

- إذا حضرتم القسمة فاقتسموا (اى ان الوجود يعطى الحق فى نصيب).

- الغايب مالوش نايب (اى من يتأخر او يغيب يضيع نصيبه).

ويؤكد المثل ايضا ان النصيب والقسمة لا يمكن الاغترار بامتلاكهما لمجرد الاقتراب منهما، او كونهما امامنا ، او فى ايدينا .. فإن العبرة بالنهاية فى مسألة النصيب وقد عبر المثل عن هذا المعنى فى قوله:

- تبقى فى بقك وتقسم لغيرك.

- تكون فى ايدك وتقسم لغيرك.

- قالوا للبايرة جالك عريس قالت : مش حصدق إلا لما اعنق .

هذا وسنجد الكثير من الامثال التى تعبر عن القسمة والنصيب، ودورهما الفاعل، خاصة فى الزواج والحب - حيث سنتناول هذا الموضوع فى حينه - لكنا نؤكد ان النصيب والقسمة قد ادرجهما المثل الشعبى، والاقوال والتعبيرات الشعبية كوسائل لمواجهة الاحباط ، أو فوات الانسان لشيء ما، معللا ذلك بأنه:

- ماليش نصيب فيه.

- ده مش من نصيبى.

أو الاكتفاء بالقول:

- قسمة ونصيب!!

ومنحهما المثل الدوام والملازمة لصاحبهما كما فى الحظ العسر، كما يتضح من المثل القائل:

- قسموا القسايم خدت أنا كومى ، قالوا ، مسكينة !! قالت من يومى .

– المتعوس متعوس ولو علقوا على راسه فانوس (★)

وهذان المثلان بالذات يؤكدان لنا ما سبق أن ذكرناه عن ملازمة الحظ والبخت والقسمة والنصيب والمقدر والمكتوب للشخص وعدم إمكانية الهروب منها .. فالمثل الشعبي يؤكد على ديمومة واستمرار طابع ما يصيب الفرد طوال حياته ، وكأنه بذلك يؤكد له أنه لا داعى لمحاولة التغيير حيث لا فائدة من ذلك نهائيا .. ويعبر عن ذلك إبراهيم أبو سنة إذ يقول :

«إن الاستخدام العربى قد جعل كلمة البخت ظلا قاتما على مصائب الناس التى يلحق بهم الفشل المتكرر فى حياتهم» (١) .

ويعود أبو سنة ليؤكد فى موضع آخر أن :

«البخت بتعبيــر أوضــح . وفى غالب إطلاقاته ، هو مجموعة الظروف الفاشلة . أما الحـظ فهو المصادفة الخارجية . وقد توسعوا فى كلمة البخت حتى أطلقـوها على مطلـق الغيب والمجهول . وإذا أردنا التحديد وجدناه «القانون العام لحيـاة الشخص . وهو الطابع الملازم الذى يعود فى أصـله إلى أم الكتـاب . ولهذا نراهم يطلقون على العـرافات «قارئات البخت» أى أنه التصـميم الأزلى لمواليد الأبراج السـماوية عند الفلكيين . حيث تكـتب لبعضـهم السعادة

(★) وتقال أيضا تأكيدا للاستحالة «لو علقوا على باب طيزُه فانوس»

(١) إبراهيم أبو سنة ، فلسفة المثل ، ص ١٠٣.

الأبدية . وللبعض الآخر الشقاء الخالد ، فهو خط طولى للأحداث الشخصية ينتهى مع الحياة كما بدأ معها . وهذا الاستعمال الشائع الآن لكلمة البخت مأخوذة من إيمان بعض الناس فيما تقوله العرافات أو قارئى الكف للكشف عن الخط العام لحياته المرسوم فى لوح الأزل» (١) .

هذا ولابد من الإشارة هنا إلى أن إيمان المصرى بكل هذه الأمور الغيبية ، لا يرجع فقط إلى تدينه .. لكنه كمعظم تراثه الثقافى الذى مازال يعتنقه ويمارسه حتى الآن يرتبط بنمط تفكيره الحسى غير العلمى .. ويشير د. سيد عويس إلى أن هذا النمط من التفكير غير مقصور على الفلاحين والجهلاء بل إن بعض المثقفين والكتاب يتناول فى الصحف اليومية والأسبوعية أمورا عن :

«السحر وقراءة الكف والفنجان والرمل والودع والمندل وقراءة السحب والبرق وأوراق الشجر والعمل والنفخ فى العقد والرؤيا الصادقة واستحضار الأرواح وتجسيدها» . (٢) .

ويعلقون على ذلك بأن هذا ممكن ومعقول ، ولا يتنافى مع العلم والدين ، وأن العقل لا يستطيع أن يرفض ذلك ؛ لأن العقل محدود ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٤.

(٢) د. سيد عويس ، الإزدواجية فى التراث الدينى المصرى . ص ٣٦ .

والدين يؤكد ما تذهب إليه هذه المعتقدات ، ويشير إلى نماذج كتابات أنيس منصور كمثال على صدق قوله .

هذا ونجد أنه نتيجة لإيمان المصرى بأن مصيره قد حدد مسبقا فى اللوح المحفوظ ، وأنه لا سبيل إلى تغييره ، حيث انه «قد جفت الأقلام ورفعت الصحف» التى دون فيها نصيبه من الدنيا وكتبت فيها خطواته التى يمشيها ، وهو إيمان نابع من تدينه العميق . وقناعته بأن «الإنسان مسير مش مخير» فى هذه الحياة . أقول نتيجة لذلك نجد أن المصرى لم يجد بداً من التعايش مع قدره بالتسليم و«الرضا والقناعة» وهى أمور عبر عنها المثل الشعبى بمنتهى الدقة ، ودعى إليها كوسيلة لتحقيق السلام النفسى للأفراد ، مهددا لهم أيضا بأنهم إن لم يرضوا ويسلموا فسيصيبهم ما هو أشد وأنكى .. وكنموذج لما قيل فى هذا الصدد من أمثال :

- رضى وعين جبنة والتانيه مش (أى مضطرا للرضا) .

- اللى ما يرضاش بالتوت يرضى بشرابه (تعبيرا عن نتيجة عدم الرضا) .

- اللى ما يرضى بحكم موسى يرضى بحكم فرعون (نتيجة لعدم الرضا).

- اللى عاجبه ده الكحل يتكحل . واللي مش عاجبه يرحل .

- لو علمتم الغيب لرضيتم بالواقع (مثل عربى متداول) .

- اللى يبص لفوق يتعب أو توجعه رقبته .

ويدعو المثل الشعبى إلى الرضا والقناعة بالقليل ، أو حتى بالبلاء والشر وما يصيب المرء من حادثات ، فيقول المثل بشكل مباشر ودون مواربة :

- الأعور وسط العميان ملك .

- نص العمى ولا العمى كله (الطشاش ولا العمى).

- شئ أهون من شئ (شئ خير من لا شئ) .

- الحمد لله اللى جت على قد كده (تقال كدعوة للرضا بما أصاب) .

- أدى الله وأدى حكمته .

- كده رضا .

- ما كل ما يتمنى المرء يدركه (مثل عربى متداول بين العامة) .

- القناعة كنز لا يفنى (عربى متداول) .

- القناعة مال وبضاعة .

- عصفور فى اليد ولا عشرة على الشجرة (أو فى الغد) .

- بيضة النهاردة أحسن من فرخة بكرة (فى الرضا بالموجود وعدم التطلع) .

- إقنع بالحاضر على ما ييجى الغايب .
- إرض بما قسم الله لك تأتيك السعة (عربى متداول) .
- من رضى بقليله عاش .
- غنى النفس هو الغنى الكامل (دعوة للقناعة والرضا) .
- عز من قنع وذل من طمع (مثل عربى متداول) .
- أقله أبركه .
- أقل موال ينزه صاحبه .
- إللى عنده عيش وبله عنده الفرح كله (أو الخير كله) .
- إن حضر العيش يبقى المش شبرقة .
- بخمسة قهوة تقضى الشهوة .
- بيضتها أحسن من ليلتها (وهو فى معنى المثل العربى قليل دائم خير من كثير منقطع) .
- إفتكاره رحمة (ويضرب فى ضرورة الرضا بالمرض) .

فالله فى كل ما يصيب البشر «له فى ذلك حكمة» ، و«دى إرادة ربنا» و«أدى السما وأدى الأرض» .

هذا وتحاول الأمثال الشعبية أن تصف حال الراضين بما لديهم ، وبقليلهم ، مركزة على الجانب المادى من الرضا بالمقسوم ، وذلك لأن الفقر كان ومازال أحد أهم البلايا التى عانى ، ويعانى منها الإنسان

المصرى ، وتجدر الإشارة إلى أن فكرة القناعة والرضا فكرة مصرية قديمة ، فمن تعاليم «كا أرسو» لابنه الأكبر :

«إذا جالست قوما فتعفف عن الطعام ولو كنت تشتهيه .. فإنها برهة قصيرة تقهر الرغبة فيها .. وقد خسأ من شره جوفه» .. «رب حسنة تقوم مقام الخير كله .. ونزر يسير يغنى عن الكثير كله» (١) .

ويحاول المثل أيضا أن يصبر على كل مصاب ، واعداً بما هو أفضل .. إذ تقول الأمثال عن الراضين بما لهم وما ينتظرهم :

- يشم ضهر ايده يشبع .
- زى بلد أبو راضى . المشنة مليانة والسر هادى .
- السكوت علامة الرضا (ويضرب غالبا فى الزواج) .
- زى أبو قردان صايم عن زاد الدنيا (أى زاهد فيها) .
- رطل نحاس بيغنى ناس (أى قليل لكنه يرضى) .
- ما بعد الضيق إلا الفرج (وعد بالخير بعد الرضا والصبر) .

كما يصف المثل الشعبى الإنسان غير الراضى أيضا ، وغالبا ما يسميه «البطران» أو المتبطر على النعمة ، أو «رافس النعمة» . ويتوعده بما هو أسوأ مما أصابه .. فتقول الأمثال عن البطر وعدم الرضا والطمع :

---

(١) محمد عبدالحميد بسيونى ، آداب السلوك عند المصريين القدماء ، ص ١٠ .

- البطر عقبه وحش .

- البطران عليه قطران .

- رفس النعمة برجله .

- الاكلانة تولد ميه . وتقول يا قلة الذريه .

- لا يعجبه العجب ولا الصيام فى رجب (أى لا يرضى عن أى شئ) .

- لما اتفرقت العقول كل واحد عجبه عقله . ولما اتفرقت الأرزاق محدش عجبه رزقه (فالكل غير راض عما أصاب من رزق) .

وتستمر الأمثال الشعبية فى تناول موضوع الرضا والقناعة بما أصاب المرء : لتضع قانونا لذلك .. يدعو إلى الرضا بالمقسوم ، وعدم السعى لما لدى الغير ، أو التطلع إليه ، حيث لن يغنى ولن يسمن ، أو يشبع .. بل إن عواقبه قد تكون المعايرة والمن والأذى .. إذ يقول المثل فى ذلك :

- ألحس مسنى . وأبات مهنى ، ولا كبابك اللى قاتلنى .

- لقمة جارى ما تشبعنى . وعارها متبعنى .

- قطع الطشت الدهب اللى أطرش فيه الدم .

- شعيرنا ولا قمح غيرنا .

- كتاننا ولا حرير الناس .

– لقمة تحت الحيطه ولا خروف بعيطه .

– اللى ينشرى ما ينشهى (أو اللى تشتريه الفلوس ما تشتهيه النفوس) .

لكن المثل الشعبى يستنكر الرضا مرة واحدة ، ويسخر من عاقبته خاصة فى التعامل مع الناس السيئين ، والرضا بما يلحق المرء منهم ، فيقول ساخرا بمرارة :

– رضينا بالهم . والهم مرضيش بينا .

وكأمر ملازم للرضا والقناعة نجد المصرى يتحلى «بالصبر» والقدرة على الاحتمال .. مهما كانت الشدائد والمصائب مادية أو معنوية .. فالصبر وسيلته الثانية بعد الرضا والتسليم . فالإنسان المصرى صبور بطبعه ، ويستمد قوته على الصبر والاحتمال من إيمانه أيضا ، بل هو يربط دائما بين «الصبر والإيمان» ، ويعتبر الصبر إمتدادا لإيمانه العميق ، وتسليمه ورضاه بكل ما يصيبه .. من الله .

ويشير د. سـيد عويس إلى أن مفهوم الصبر ومشتقاته قد وردت فى الكتاب المـقدس فى أسـفاره واصحاحاته ٥٢ مرة ، كما ورد هذا المفهـوم ، لفظـه ومشـتقاته فى القـرآن الكريم ، فى سوره وآياته ١٠٣ مرات (★) .

(★) راجع د. سيد عويس ، الإزدواجية فى التراث الدينى المصرى ، ص ٣٢ .

ويصبر المصرى على كل ما يصيبه سواء من الله أو من الغيبيات التى يؤمن بها ، والمتمثلة كما سبق القول فى القدر والمكتوب ، والقسمة والنصيب ، والحظ والبخت .. فالصبر عند المصرى هو التبرير النفسى الذى يصطنعه لاحتمال تصاريف القدر ، وهو كما يقول أبو سنة :

«مرحلة التعبئة الضرورية قبل الانطلاق . فإن القدر لا يصلح أن يكون تبريرا معقولا فى مجتمع تنهشه الأمراض الاجتماعية القاتلة ، ويصبح هذا الثالوث الخرب (القدر والبخت والحظ) مجرد عربة محطمة على طريق التاريخ الطويل . (١) .

كما ترى دكتورة نعمات فؤاد أن الصبر «قدرة مصرية خاصة» وهو عندها أيضا نابع من «الإيمان الراسخ» الذى له رصيد فى قلب المصرى .. يعتبر كنزه المكنون .. إذ يملك المصرى قدرة على امتصاص المحن ، وقهر الصعاب ، والاستعلاء على الأحداث ، نتيجة لثقته بالله ، ويقينه بأن النصر لابد أن يكون حليفه فى النهاية .. ولذلك تقترن لدى المصرى عقيدة الحياة بالثواب والعقاب والجنة والنار والخير والشر ، والإحساس بهذا كله هو بعينه الضمير .. الذى يجعل المصرى – فى رأيى أنا أيضا – يصبر على ما يصيبه ، ولا يقابِل الأذى بأذى ، صابراً محتملاً .. وهو مؤمن فى قرارة نفسه ، أنه سيعوض فى الدنيا ، أو فى الآخرة خيراً جزاء لصبره .. وهذا أيضا نابع من إيمانه بأن «الله ولى الصابرين» ،

(١) إبراهيم أبو سنة ، فلسفة المثل ، ص ١٠٣ .

وأنه و «لئن صبرتم لهو خير لكم» .. مستلهما فى ذلك الصبر ، النبى «أيوب» مثال الصبر عند المصرى ، والذى يستدعيه فى مأثوراته قائلا :

– يا صبر أيوب .

فالنبى أيوب عند المصريين مصرى .. وهو من ابتلى بالمرض ، فصبر حتى عجز الصبر عن صبره .. ويسميه المصريون «أيوب المصرى» أو «أيوب المبتــلى» .. وبقدر اقتناع المصرى بضرورة التأسى بهذا الصابر العظيم ، مترســماً خطـوات سيرته ، وكيف انتصر فى النهاية على المرض ، وعلى الشـامتين فيه .. وفى هذا يطلق المثل المصرى العــديد من الصــفات على الصبر والصابرين ، واعدا إياهم بكل الخير والفرج والعــوض ، وتحقيــق الأمل ، ونوال المطالب ، وتحقيق الأحلام بل والمســتحيلات ، فالصبــر عند المصرى خير دواء لكل داء ، وله سمات جيدة .. منها أنه طـيب وخــير ، ومع ذلك نجد أمثالا أخــرى يائسة تسخر من الصــبر والصابرين بمرارة .. وسأورد أولا الأمثال الداعية للصبر ، والمحـبذة له ، والواعــدة بالخــير من بعـده .. ثم أتبع ذلك بالأمثــال اليائســة الســاخرة منــه ؛ لنعقد مقارنة ، ونقدم تحليلا كميا لمضمون الأمثال المصرية عن الصبر ؛ لنتعرف على الموقف المصــرى ، من هذه الوســيلة الدفاعية ضد كل بلاء .. وهل حقا يؤمن المصرى بالصبر وجدواه ؟ ؛ نتيجة لتجربته الطويلة معه ، عبر عصــور

من القهـر والعـنت ، وشظف العيش . أم أنه يضج منه ويســخر منه ؟ وأى التيــارين أقوى لدى المصريين ؟ وماذا قال المثل المحبذ للصــبر والداعى له ؟ هذا ما سنحدده فى السطور التالية :

– الصبر طيب .. بس اللى يرضى به (استدراك) .

– الصبر مفتاح الفرج .

– الصبر جميل (أو خير) .

– الصبر أحسن دوا .

– الصابرين بخير .

– الصابرين لهم الجنة .

– إن صــبرتم أجــرتم وأمــر الله نافذ . ما صبــرتم كفرتم وأمر الله نافذ .

– إن صبرتم نلتـم وأمـــر الله نافذ ، وإن ما صبرتم قبرتم وأمر الله نافذ .

– ما ضاقت إلا ما فرجت (بكره تفرج) .

– العوض على الله .

– إذا اشتد الكرب هان (اشتدى أزمة تنفرجى) .

– أصبرى يا ستيت لما يخلى لك البيت .

– خليك فى عشـك لا ييجى حد يهشك (ويضرب أيضا فى عدم العجلة) .

- شدة وتزول (تقال فى المرض أيضا) .
- طولة البال تبلغ الآمال (أو توصل للمحال وطولة العمر أيضا) .
- المعيشة تحب طولة البال (خاصة بين الرئيس والمرؤوس) .
- طولة البال تهد الجبال .
- من صبر نال ومن لح ملوش .
- أصبر تنول (من صبر ظفر) أو صبر ونال .
- اللى ييجى فى الريش بقشيش (كدعوة للتصبر على المصاب) .
- الله جاب . الله خد . الله عليه العوض .
- فرجه قريب (فرج الله قريب) .
- اللى يصبر على المر لابد يدوق الشهد .
- وجع ساعة ولا كل ساعة (دعوة للتحمل أملا فى الشفاء) .
- المؤمن دايما منصاب (فمن شيمته الصبر) .
- يا قلبى يا كتكت . اسمع الكلام واسكت .
- كل شئ دواه الصبر .. لكن قلة الصبر مالهاش دوا .
- كل شئ فى أوله صعب (أى أصبر حتى تعتاد) .
- كل عقدة ولها حلال .
- اتقل على الرز يستوى .
- مسيرها تيجى البر ولو ألواح (عن المركب) .

- خللى أملك فى ربنا كبير (أى أصبر سيأتيك الخير) .

- تيجى على أهون سبب بس أصبر .

وتستمر الأمثال المحبذة للصبر فى تعديد مزاياه ، والدعوة له ، طالما أن الإنسان يرغب فى الخير، أو يسعى لشئ فى صالحه وهو طامح فى تحقيق نفع من ورائه ، فعليه بالصبر والتحمل ، ومن جملة الأمثال فى هذا الصدد :

- اللى يحب الدح ميقولش أح .

- مفيش حلاوة من غير نار .

- اللى يحب العسل يستحمل قرص النحل (أو يصبر لقرص النحل) .

- اللى ينزل البحر يستحمل الموج .

أما عن الأمثال التى تضج من الصبر ، وعدم القدرة على التحمل ، وترد على الداعين إلى الصبر ومن يطلبون منه الاحتمال بأنهم لا يكابدون ما يكابده ، فهى على أى حال لا تعادل كما الأمثال المحبذة للصبر ، والواصفة له بكل الصفات الجيدة .. فهناك أمثال تصف الصبر بأنه :

- الصبر مر .

- الصبر حرق الدكان .

– بعد الصبر القبر (أو ما ورا الصبر إلا القبر) .

– فرج صرمه خرج (من الصبر والتحمل) .

وأمثال تضج من الصبر وترد على الداعين له قائلة :

– فاض بى الكيل . أو الكيل طفح (تعبيرا عن عدم القدرة على مزيد من الصبر) .

– يا قلبى يا كتاكت ياما انت شايف وساكت .

– يا قلبى يا كتاكت ياما فيك وانت ساكت .

– اللى ايده فى الميه مش زى اللى إيده فى النار .

– ما يشعر بالنار إلا اللى كابشها .

– النار ما تحرقش إلا اللى كابشها .

– اللى ياكل الضرب مش زى اللى يعده .

وبذلك نجد أن نسبة الأمثال المحبذة للصبر والواعدة بخير يعقبه . إلى تلك التى تصفه بالمرارة ، وعدم الجدوى ، وتضج منه ، وترد على الداعين له ، حوالى ٣٨ : ٩ .. وهذه النسبة تؤكد أن الشعب المصرى فى مجمل أحواله يفضل الصبر ، ويرى فيه خيره .. وانتظاراً لسعادته وتفريج كرباته ؛ وهذا كما سبق القول نابع من إيمانه وتدينه : ولذلك لم يختلف كثير من الباحثين حول وصف الشعب المصرى بأنه شعب «صبور» ، وقادر على التحمل .. بل يتخذ من الصبر وسيلة لمواجهة الصعاب .

ويلعب الصبر دورا بارزا كضابط اجتماعي يحمي المجتمع من كثير من الشرور التي قد تنتج عن رد الأذى بالأذى ، بدلا من الصبر عليه حتى ينتقم الله .. فالمصرى يرى أن (دولة الظلم ساعة) وأن (الظالم له يوم) وهو يصبر انتظارا لهذا اليوم أن يأتى ، بدلا من المبادرة بالرد على الظلم ، وقد اثبتت الأيام له صدق هذا المعتقد ، وإلا لما بقيت كل هذه الأمثال تحبذ الصبر وتعدد مزاياه وتدعو له .. تاركة الأمور لتحلها الأيام ، وفى ذلك أيضا قالت الأمثال :

– لو صبر القاتل على المقتول كان اتقتل وحده .

– يا يموت العبد يا يعتقه سيده .

– صبرى على نفسى ولا صبر الناس علىّ (أو صبر الجزار علىّ) .

– الجايات أكثر من الرايحات (وعد بأن الفرص آتية بكثرة للانتقام) .

– أصبر على جار السوء يا يرحل يا تجيله داهية .

هذا ويختلف مفهوم الصبر عند المصرى . ويتدرج من قمة الاستعلاء إلى قاع الذلة والمسكنة .. فكما يلاحظ د. سيد عويس :

«إن المفاهيم الثقافية تتطور وتتغير . وإذا بقيت بألفاظها فإن معانيها فى ضوء الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية

فى المجتمع تتطور وتتغير كذلك . فقد يعنى اللفظ المفهوم معنى معينا فى ضوء ظروف معينة . وفى ضوء ظروف أخرى قد يعنى معنى آخر والأمثلة عديدة» .

«فالصبر كقيمة اجتماعية قد يعنى فى بساطة (حبس النفس عن الجزع) والصبر بهذا المعنى قيمة اجتماعية ايجابية . فالحياة الإنسانية لا تخلو من الجزع . وهى كذلك لا تخلو من الطمأنينة ، ومع ذلك فإننا نلاحظ أن مفهوم الصبر لا يعنى حبس النفس عن الجزع دائما .. فقد يكون صبرا على الضيم . وقد يكون صبرا على الإهانة . وقد يكون إذعانا إلى حـد الذلة والضـعة . وقد يكون صـبرا على ضياع الحقوق !» (١).

وأيا ما كان المعنى والمدلول الخاص بالصبر الذى يمارسه المصريون فهى سمة أساسية فى الشخصية المصرية .. يمارسها العامة والخاصة بتسليم ، والصبر نابع من التدين المصرى الذى لاشك فيه .. وإن كنت أعتبر الصبر على الإهانة والظلم إحدى سلبيات المصرى .. فى حين أن صبره على المشاق وتحمله لها .. إحدى ايجابياته .

وكعادة الإنسان المصرى فى السخرية ممن يقحم نفسه فى شئ فيصيبه الأذى .. يسخر المثل الداعى للصبر من هؤلاء قائلا :

- اللى يكرى (طيزه) ميحسش عليها .

(١) د. سيد عويس ، الازدواجية فى التراث الدينى المصرى ، ص ٣٢ .

- اللى يعمل طهره قنطرة يستحمل الدوس (وتقال أيضا فى الخضوع) .

- اللى يعمل خده مداس يستحمل الدوس .

ويسخر المثل من اللجوجين حتى فى شئ لا يعنيهم فيقول :

- أصحاب الميت صبروا .. والمعزين كفروا .

والمثل المصرى يرى أن من لا يصبر كافر .. ذلك أنه يرى الصبر هبة من الله :

- الصبر من عندك يا رب (دعوة لاستجلاب الصبر) .

- يا رب ألهمنا الصبر .

- يا رب صبرنا .

وتحبيذاً للصبر يدعو المثل الناس إلى المقارنة ، بين مصابهم ومصاب غيرهم ؛ حتى يهون عليهم ، ويستطيعون الصبر عليه وتحمله ، فيقول :

- من شاف بلوة غيره هانت عليه بلوته .

- اللى يشوف بلاوى الناس تهون عليه بلوته .

هذا وتزخر الأمثال والتعبيرات الشعبية بالكثير من عبارات التهوين من البلايا ، وتصبير الناس عليها ، بتقريب البعيد ومحاولة استعجال الحل ، ولو بالكلام أو الوعود بأن الأيام تمر سراعا ، وأن الوقت كفيل

يحل كل المشاكل والمعضلات ، وكنماذج على ذلك الأمثال القائلة :

- فات الكتير ما بقى إلا القليل .
- كل آت قريب (عربى متداول) .
- ربنا يقرب البعيد .
- كلها شهر وشهير والتانى قصير و ....
- كل شئ بأوان (أى أصبر ولا تُلح ولا تقلق) .
- أهى ليلة وتعدى (أو أهى ليلة فراقها صبح) .
- كل شئ وله آخر (أو اللى له أول له آخر) .

بعد كل ما أوردناه من أمثال عن الرضا والتسليم والصبر والاحتمال ، لاشك أن المصرى - كنتيجة مستخلصة من واقع الدراسة التطبيقية : ميال إلى الصبر ، فهو وسيلته فى الاستعلاء على المحن واحتمالها ، وترى دكتورة نعمات فؤاد أن المصرى تعلم الصبر من الزراعة التى علمته «الصبر الطويل الرحيم ، وسعة الصدر ، والسكينة والمسالمة وطمأنينة الرضا وجلال التواضع» ، وأنا أرد كل هذه السمات ، ليس إلى عمل المصرى بالزراعة فقط - فهى عامل واحد - نضيف إليه العامل الأهم وهو التدين الذى علم المصرى الإدراك العميق للأمور ، والعشم فى وجه الله . ولذلك فالمصرى صابر مع

عقيدة ثابتة لديه بأن الصبر والاحتمال بطولة .. فهو بطل لا يبارى فى القدرة على التحمل لدرجة الاستشهاد .. وإن كنت أرى أن المصرى يبالغ أحيانا فى صبره !! الذى قد يودى به إلى حتفه ، ويجعله يستكين لأمور غير مقبولة أو معقولة ، ويستسلم للظلم والقهر والعنت ،. فيما يشبه الخضوع المطلق ، ولفترات طويلة تثير العجب !! لكنى ألاحظ أن الشخصية المصرية تستعذب الألم والشكوى ، إلى حد يصل أحيانا إلى المذلة .. بل إنه يستعذب الشعور بأنه شهيد وضحية ، ويستعذب الشعور بالظلم والضيم ، ويستشعر البطولة فى تحمله للألم والعذاب والهموم . ويرى أنه بذلك يتحمل ما لا تستطيع حمله الجبال أو الأبطال . ويرى نفسه بطلا فى التحمل والصبر ، وكأن الصبر الذى هو فى الأصل حيلته الدفاعية التى يرد بها الظلم والقهر .. قد أصبح غاية وهدفا فى حد ذاته .. يتمسك به ، ليثبت لنفسه أولا وللآخرين - ثانيا - قدرته وبطولته ، ومن قبل كل ذلك إيمانه وتدينه ، ولذلك نجد أن أحد الحكم العربية التى يلتزم بها المصرى ، ويجعل منها تحديا للصبر ولذاته معا :

- سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى ، وأصبر حتى يأذن الله فى أمرى ، وأصبر حتى يعلم الصبر أنى صبرت على شئ أمر من الصبر .

ونجد هذه المقولة ليس فقط على الألسنة .. لكنها مطبوعة فى لافتات تعلق فى بعض الحوانيت .. وفى بيوت البسطاء من الناس .

هذا ومن الأمـــور المهمة الأخرى التى تعكس تدين المصرى ، وإيمانه ، وأيضا تسليمه واستسلامه للأمور التى تأتيه من الله ، أو من غيبيات لا يعرف مبررا لها «المرض والموت» وهما أمران يشعر المصرى تجاههما بالعجز ، والحتمية ، ولا يملك أمامهما إلا التسليم .. ولذلك نحلل فيما يلى مضمون الأمثال الشعبية التى تناولت المرض والموت ؛ لنتعرف على رأى المصرى فيهما ، وموقفه منهما .. وسلوكه أو تصرفه حيالهما .

بداية لابد من الإشارة إلى خاصية مهمة فى الشخصية المصرية .. ربما متوارثة منذ العصر الفرعونى ، وهى تقديس الموتى والإهتمام بممارسة طقوس متعددة لتوديع الميت ، والحزن عليه ، كإعلان الحداد والحزن ثلاثة أيام متصلة ، ثم إعلانه والتجمع من أجله مرة ثانية كل يوم خميس ، ولمدة أربعة أسابيع ، ثم عمل خاتمة للأربعين كيوم حزن ، يستتبعها الإحتفال بالذكرى السنوية ، ولعدة سنوات ، والإعلان عن الحزن فى الصحف .. ولعل صفحة الوفيات فى الصحف اليومية المصرية ، وما تزخر به من صور ، ومن عبارات تعلن عن الحزن والأسى والاستمرار فى ذرف الدموع ، والحفاظ على الذكرى، وهى عبارات

موجهة بالخطاب للموتى أنفسهم .. لعل هذا الأسلوب فى الإعلان عن الحزن لا مثيل له فى أى بلد عربى آخر ، إن لم نقل انه لا مثيل له فى كل أنحاء العالم ، فهو خاصية مصرية مميزة وذلك عدا عن لبس السواد لسنة أو أكثر ، وما كان مصاحبا لذلك - إلى ما قبل عقدين - من عدم استخدام المذياع أو التليفـزيون ، وعدم الاشتراك فى أى مناسبة مفرحة ، أو الذهاب للاصطياف ، أو الاحتفال بالأعياد وما يستتبعها من عمل الكعك وخلافه - وذلك لمدة سنة على الأقل - وكأن المصريين يستعذبون الحزن والشجن والأسى ، ويمارسونه بحب وشغف ملحوظ .. وإن خفت حدة هذه الممارسات الآن ، خاصة فى القاهرة وفى المدن الكبرى ، مع احتفاظ أهل الريف والصعيد وسكان الأحياء الشعبية بمعظم هذه الطقوس والممارسات ، ناهيك عن التعبير عن الحزن على الموتى بأساليب أقل ما يقال عنها اتصافها بالعنف والمبالغة - وهى سمة أخرى فى الإنسان المصرى سنتناولها فيما بعد - إذ يبالغ المصريون عادة فى حزنهم وأيضا فى فرحهم .. ومن هذه الممارسات : لطم الخدود وشق الجيوب والصراخ والعويل ، والندب وتعديد صفات الميت ومحاسنه بكثير من المبالغة ، وكأنه ملاك مطهر من كل سوء ، ومن كل نقيصة .. ناهيك عن تعفير الرؤوس بالتراب ، وصبغ الوجوه بالطين أو النيلة الزرقاء - وإن كانت هذه المظـاهر قد بدأت تخف عن السابق إلى حد

ما - مع الاحتفــاظ والاهتمام بإعلان الحزن على صفحات الصحف ، وإتخاذه وسيلة للتفــاخر بالأنساب والألقاب ، والعزوة ، والمراكز المرموقة لأقارب الميت ، وظاهرة أخرى مستحدثة وهى تكبير صورة الميت ووضعها فى إطار مميز وكتابة النعى أو الشكر أو الذكرى بخط كبير .. رغم ما يتكلفه ذلك من أمــوال طائلة ، وما يجره من مشاكل إذا ما سقط سهوا اسم من اســماء أهل الميت .. وهى أمور معروفة للجميع ولا يكاد يخلو بيت مصرى منها .. فيما يتعـلق بالصـفوة التى تهتم بالإعــلان فى الصحف ، وتلقى البرقيات ، وعمل احتفالات فى سرادقات ، وجنازات تتكلف الكثير (★) . ومع ذلك يتمسك بها المصريون بإصرار ، ويتمسك بها من لا يملكون ما يفعلون به ذلك . بالإعلان عن حــزنهم بالأســاليب البدائية - السابق الإشارة إليها - فى الإعلان عن الحزن .. والمبالغة فى ذلك إلى حد يصل إلى شبه تأليه للميت ، واعتباره وليا من الأوليــاء ، بما يصبغون عليه من صفات وألقاب «المرحوم ، الغالى» وما إلى ذلك .

ويتناقض هذا الحال مع ما تعكسه الأمثال الشعبية من إيمان المصرى بأن الموت قدر محتوم لكل حى ، وأنه لا مهرب منه ، ولا وسيلة

(★) لعــل تصوير الجنــازات بالفيـديو هى أخر صرعات بعض المصريين فى مناسبة الموت .

لتجنبه ، والدعوة إلى الصبر فى مواجهته ، وتقبله دون جزع كواقع مرير لا مفر منه .

ومن الأمثال التى تؤكد على التسليم بالموت وحتميته علينا جميعا ، وأنه لا رد له ، ولا سبيل إلى تقديمه أو تأخيره عن الموعد المكتوب فى السماء :

- الموت كاس داير على العباد .
- الموت سيف على رقاب العباد .
- الموت علينا حق .
- أبو جوخة وأبو فلة فى القبر بيدلى .
- أخرة الحياة الموت .
- كلها عيشة وآخرها الموت .
- لكل أجل كتاب (قرآن كريم) .
- اللى بيروح مبيرجعش .
- ابن يومين ميعيش تلاتة .
- العمر واحد والرب واحد .
- الأجل محتوم .
- اللى جرى واللى مشى ماراحش من الدنيا بإشى .
- الأعمار بيد الله .

- مادايم إلا وجه الله .
- محدش بيموت ناقص عمر .
- إحنا ضيوف على الدنيا (أى لابد راحلون).
- النهاردة دنيا وبكرة آخرة .
- اللى ما يموت اليوم يموت بكره .
- اللى ما يموت منين يفوت .
- ربنا ما سوانا إلا بالموت .
- القبر ما يرجعش ميت .
- كتروا باللمة لا بد عن الفراق.
- يا دوم ما لك يوم .
- إدينى عمر وارمينى البحر .
- الحى ما له قاتل .
- ياهلترا مين يعيش لبكره ؟!

ذلك عن الحتمية على الجميع غنيا وفقيرا ، وعن الأجل المقدر باليوم لا يستقدم ولا يستأخر.. ولكن ماذا قالت الامثال عن الموت ترحيبا او رفضا وكراهية.. بما يؤكد أو يدحض حب المصرى للحياة برغم قسوتها، وكراهة الموت.. وإن كان راحة من مشاق الدنيا.. تقول الأمثال المحبذة للموت ، هربا من حياة قاسية أو فضيحة أو عناء :

- الراحة يوم الراحة أى يوم الموت ستكون راحتنا .

- الموت راحة .

- موته ستره يقال لطلب موت انسان سيىء .

- موت البنات سترة .

- الندب بالطار ولا قعاد الراجل فى الدار (أى الموت افضل من البطالة .

- من عرف مبتداه هان عليه منتهاه ..

وربما ترجع تلك النظرة الى الموت الى اصول فرعونية قديمة إذ أثر عن عنخ شاشنقى قوله : الموت خير من الحاجة (١) ويظهر معناه اعتزاز المصرى بكرامته، وتفضيله للموت على الاحتياج والفقر وتقديره للمال بوصفه قيمة وكراهته للفقر وتفضيل الموت عليه .

أما الأمثال التى تؤكد على كراهة الموت.. وأن أسوأ حياة أفضل منه، وأنه أمر محزن حقا.. فمنها ما يقول :

- الطفل يكبر والشعر يتربى حزنى عليك يا ساكن التربة .

- موت وخراب ديار .

- الموت له رهبة أى مخيف .

- اللى سلم من الموت اتجنن ..

- ما بالميت موته ، وما به زنقة القبر (أمران أسوأ من بعضهما) .

---

(١) محمد عبد الحميد بسيونى، آداب السلوك . ص ١٦ .

- ألف عيشه بكدر ولا نومة تحت الحجر .
- أقل عيشه احسن من الموت .
- العمر مش بعزقة أى لا ترم بنفسك للتهلكة والموت !
- اللى ماتت عشيرته ياحيرته (أهله وزوجته) .

حد يروح للموت برجليه ؟!

(استنكار لطلب الموت) .

ومما سبق يتضح أن المصرى يكره الموت كقاعدة عامة ويراه خرابا للديار وأمرا مخيفا له رهبة ، وأنه جالب للحيرة والحزن ، ويفضل عليه أقل حياة ولو بكدر وغم وذلك فإن تسعة امثال فى مقابل اربعة امثال فقط تطلب الموت مضطرة أمام قسوة الحياة ، اعتقادا فى أن الموت قد يجلب الراحة من الشقاء والبطالة والفقر ويكون سترا من الفضائح .

ولعل غلبة الأمثال التى تؤكد كراهية المصرى للموت بأكثر من ٥٠٪ تبرر المبالغات التى يمارسها المصريون حياله.. فرغم أن رؤية المصرى للموت كحق فى الموعد والمكان المقدر الذى لا يقدم ولا يؤخر فإيمان المصرى بذلك حتمى - وإن كان لا يملك حياله إلا الجزع والتنفيس عن كرهه له بما يمارس من مبالغات وتصرفات تبدو مستنكرة ومتناقضة مع تدينه .

هذا وإن كان المصرى يوقن أن علمه عند الله.. وهو علم غيبى لا يستطيع تحديده .. فالموت عند المصريين لا سبب مباشرا له - ولا حتى المرض - ولا يجدى لتجنبه الحذر والوقاية من الأمراض ، بل لعل ذلك أحيانا مجلبة للموت فالموت فيه عنصر المفاجأة ويأتى لنا دون سابق استعداد أو تأهب ، وأن الله حكيم - يبتلى ويدبر - وهو ايضا يختار أفضل الناس بدقة، ويترك السيئين ، وفى ذلك تقول الأمثال:

- جالك الموت يا تارك الصلاة، أى دون تأهب له .
- التراب بينادى صاحبه (ليموت فى المكان المقدر له) .
- ربنا بيقطع من هنا ويوصل هنا (ويقال ايضا فى قطع الرزق).
- محدش عارف الموت من الحيا .
- طبق نحاس يا ما يفنى ناس .
- من عاش بالحكمة مات بالمرض او مات بالنقمة .
- من يعاشر الحكيم يموت سقيم .
- قال ايش حال مريضكم قال سليمنا مات .
- أخذه يزين جنته .
- راحت الناس وفضل النسناس .
- ما يقعد على المداود إلا شر البقر (أو ما يبقى على المداود).

وكعادة المصرى لا يستطيع أن يتخلى عن سخريته حتى فى أحلك

المواقف وأسوأ الأمور. وفى مقدمتها الموت كأسوأ ما يصيب انسان – ولكن مم يسخر المثل ؟! يسخر من بعض الموتى الذين لا يرى قيمة لهم وأن الموت طالما قبض ارواح من هم افضل منهم ويسخر من اساليب الحزن والمبالغة فيها كنقد ذاتى يمارسه المصرى حيال نفسه – ويعطى العبرة للأحياء بسخريته ممن يتكالبون على الميراث أو يبالغون فى الأحزان ومن يفترون بالدنيا وينسون أنهم يوما ما تاركوها . وأكثر ما يسخر منه المثل الشعبى المبالغة فى مدح المتوفى . ووصفه بما ليس فيه، ونسيان كل مخازيه .. وفى ذلك يقول :

– لما راح المقبرة بقى فى حنكه (★) سكره .
– إن مال لقاش زيه يبقى يرجع (استهانة بالميت) .
– الجنازة حارة والميت كلب.
– يموت الجبان يبقى فارس خيل .
– عاشم ما ريحونا ماتم ما ورثونا .
– حسبوه علينا نفر أو فارس خيل .
– غسله واعمل له عمة قال أنا مغسل وضامن جنه .
(او يكتفى حاليا بالنصف الأخير من المثل) .
– قال يا وارث من يورثك ؟ ويا باكى مين يبكي عليك .
– ما يبكى على الميت إلا كفنه .

(★) وتقال ايضا من باب المبالغة والتهويل بقى فى طيزه سكره .

– قال مال الجنازة حارة ؟ قال كل واحد بينعى أو يبكى حاله .

– المعددة تعدد وكل واحده تبكى بكاها .

– بكره تموت يا أبو جبه . وأعمل لك فوق قبرك قبه (تهكم على المتباهى) .

– حزن الهلافيت الوسخ والشراميط .

ونظرا لأهمية الموت كحدث ، والموتى كأفراد عزاز .. يعتقد المصرى أنهم خيار الناس وافضلهم ويتناسى مخازيهم ، ولا يذكر إلا المآثر ويدعو الى ذلك بإلحاح فرغم سخريته ممن يبالغون فى ذلك – كما سبق القول – نجد الأمثال تضع قاعدة وقانونا لذكر محاسن الموتى فقط ، وتجنب الاساءة اليهم ، كما تضع قواعد كثيرة لمعاملة الموتى.. كسرعة الدفن . وتسليم الميت لاهله فهم أولى به ومن هذه الأمثال نذكر :

– إكرام الميت دفنه .

– الضرب فى الميت حرام يقال طلبا للرحمة بدلا من السب .

– اذكروا محاسن موتاكم .

– اللحم إن نتن مالوش إلا أهله .

– الحى أبقى من الميت .

– كرامة الميت تظهر عند غسله .

وقبل أن ننهى الحديث عن الموت لا بد أن نذكر مثلا مهما يتردد

كثيراً فى معنى آخر هو حب المصرى أن يعيش اللحظة دون الاهتمام بما قد يحدث له فى الغد .. وإن كان هذا المثل ايضا يعكس ايمان المصرى بأن الموت آت لا ريب فيه ، وقريب جدا -- قد يكون فى الغد ، وهو المثل القائل :

- احيينى النهارده ، وموتنى بكره .

وهو مثل يتفق عليه أغلبية الشعب المصرى، وقد أجرت دكتورة فاطمة المصرى استبيانا لقياس الميل للاستمتاع باللحظة الراهنة وترك أمر الغد للغد متخذة هذا المثل مقياسا لذلك فوافق عليه أو على الاعتقاد فى صحته ٧٢.٥٪ اجابوا بنعم فى مقابل ٢٧.٥٪ اجابوا بلا.. وقد أرجعت دكتورة فاطمة المصرى ذلك الى الضغوط التى تحيط بالفرد فى الوقت الحاضر.. وسننافش ذلك فيما بعد فى تناول الجوانب الاقتصادية فى حياة الانسان المصرى ، ويرتبط ذلك ايضا باتكالية المصرى ، وعدم استعداده للغد، بما يجابه ما قد يأتى به الغد من شرور فهو يترك أمره لله معتمدا عليه غير متحسب للغد .. ويعلنها هذا المثل صراحة.. حتى لو كان الغد سيأتيه بأسوأ ما يمكن وهو «الموت» .

ولعل المصرى المعاصر الآن لا يتحسب كثيرا حتى للموت .. وذلك لأنه يعانى أكثر .. ويتحمل ضغوطا اكبر ولذلك نجد الكثيرين يصفون من مات بأنه ارتاح .. ولم يعد لدى المصريين المعاصرين نفس المشاعر

تجاه الموت نتيجة للايمان بأن الآخرة تدخر للمؤمنين ما هو أفضل من الدنيا - وسيتضح ذلك حينما نناقش نظرة المصرى للدنيا والزمان وأحوالهما وتقلبهما ، فقد كانت أولى خطوات المصرى القديم فى مواجهة الموت هى الايمان بخلود الروح (١) ولذلك كان الفراعنة يعدون العدة للحياة الاخرة.. ويحسبون لها الف حساب.... ويزودون الميت فى قبره بكل ما قد يحتاجه وكل ما يكفيه من مئونة فى العالم الاخر. وكان الاعتقاد بهذه الحياة الاخرى تعبيرا مباشرا عن رفضهم التام للموت كحل نهائى لمشكلة المصير من ناحية وتعبيرا عن هربهم من الموت والرغبة فى مواصلة الحياة ، فكان ان تصوروا هذا الامتداد قائما خلف هذه الرقدة الغامضة المفاجئة (٢) .

وهنا لابد من وقفة نتأمل فيها الامثال او الحكم الفرعونية التى تناولت الحياة والموت وفلسفة مجابهتهما ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض الأقوال التى تعكس الى حد ما أن نظرة المصرى لمتعة الحياة ولرهبة الموت هى امتداد لرؤية المصرى القديم ، فمن اقوال بتاح حتب حول هذا الموضوع :

- كن صبوح الوجه ما دمت حيا (٣)

---

(١) ابراهيم ابو سنة ، فلسفة المثل الشعبى ، ص ١١٦ .
(٢) المرجع السابق ص ١١٥ .
(٣) محمد عبد الحميد بسيونى أداب السلوك ص ٧٣

- اقض اليوم فى سعادة .. ولا تجهدن نفسك فإن احدا لم يأخذ متاعه معه .. اصغ فليس فى قدرة اسنان قد ولى ان يعود ثانية (١).

- لم يأت أحد من هناك ليحدثنا كيف حال من قبلنا ويخبرنا عما يحتاجون اليه ... كن فرحا حتى تجعل قلبك ينسى أن القوم سيحتفلون يوما ما بموتك فمتع نفسك ما دمت حيا .

- لا تغضب قلبك حتى يأتى يوم نعيك .

- إن صاحب القلب الساكن لا يسمع عويلهم .

- وان الصياح لا ينجى انسانا من العالم السفلى (٢)

ويتضح مما سبق مدى اتساق وامتداد الفكر المصرى عبر العصور ومنذ الأزل .. وسيتضح ذلك ايضا اذا ما قارنا كثيرا من الحكم الفرعونية بما هو سائد الآن من أمثال حول الاستمتاع بالحياة إلى أن يأتى الموت.. بل وأكثر من ذلك اقتناص ساعات الحظ. ، والإيمان بأن الأمور كلها من عند الله ؛ الثروة والمصير وكل شىء ، وبالمقارنة أو المقابلة سنجد فكرة أن الذى (راح راح يا قلبى أو إن اللى بيروح ميتعوضش) قد عبر عنها بتاح حتب بالقول إن ما يخرج من الشونه لن يعود فيدخلها وأن (ساعة الحظ متتعوضش) ، يقابلها اياك أن تبتر ساعة المتعة (٣) وغير ذلك كثير - كما سنأتى على ذكره كلا فى حينه .

٣- نفس المرجع ص ٧٤ ، ٧٥.

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٤

(٣) المرجع السابق ص ٩ - ١٠ .

أما المصرى المسلم المؤمن فقد تأثر لفترة بالنهج الفرعونى وإن تخلص منه الآن واصبح يضع الميت فى أقل وأبسط الاكفان مؤمنا أن ما سينفعه حقا فى الآخرة ابتداء من القبر وحسابه هو عمله فقط.. ولذلك يقول المثل :

- الكفن ما لوش جيوب .
- ما ينفع ابن ادم الا عمله .
- ايه .. واللى قبلنا خدوا ايه .؟!

هذا ويعلم المصريون أن ما يمارسونه على سطح الارض من مظاهر الحزن والاحتفال . ما هى إلا مظاهر دنيوية يفاخرون بها على بعضهم .. أكثر من إيمانهم بجدواها للمتوفى بل لعل الأغالبية الآن لا يذكرون موتاهم لأكثر من عام أو عامين ، ثم تجرفهم مشاغل الحياة ومصاعبها .. فيتلهون بأنفسهم وأمورهم ناسين موتاهم ، مترحمين عليهم كلما تذكروهم ، وأحيانا حاسدين لهم على ما هم فيه من راحة من مشاق الحياة .

ذلك وإن ظل الشعور المصرى بقيمة الفرد وأهميته لهم ، خاصة بالنسبة لأسرته وأهله باقية سواء كقيمة اقتصادية نفعية أو قيمة معنوية ناتجة عن الترابط الاسرى والاجتماعى ، الذى كان اقوى ما يمكن الى ما قبل ثلاثة عقود على وجه التقريب .. كما أن

كثرة النسل وايضا مواجهة المصرى المعاصر للموت اصدقاء او اقرباء او معارف ومواجهة الموت الطبيعى او نتيجة للحوادث الكثيرة وللحروب الطاحنة .. قد جعل المصرى يتقبل الموت كواقع يومى ولا يكترث له طويلا كسابق عهده إلا بمجرد الحزن او الاسى القصير الوقت ثم لا يلبث أن ينصرف الى مشاغله .. دون الوقوف عند الحزن طويلا كما فى السابق وذلك فى حد ذاته تغير وتطور فى الشخصية المصرية التى كانت تقدس الموت والموتى وتحتفل بهم ايما احتفال .. بل كانت تنظر الى الموت كعالم مجهول ، ملىء بالتصورات المبهمة والغامضة عن المصير .. لكن الايمان بالديانات السماوية وما قدمته من تصورات جاهزة للحياة بعد الموت ، من حساب وعقاب وجنة ونار قد حلت امام المصرى معضلة الموت وجردتها من غموضها ، ليصبح الموت مصيرا حتميا لكل حى معلوما ما وراءه الى حد كبير ، خاصة بالنسبة لشديدى التدين والايمان ، ومن يسلمون تلقائيا بكل ما ورد فى الديانة الاسلامية او المسيحية عن الحياة الآخرة والدخول فى ملكوت الله . ولعل من ينظرون الى لغز الموت بخوف ورهبة ، ويفكرون كثيرا فيما وراءهم هم الأقل ايمانا او الملحدون وهم قلة لا تكاد تذكر فى الشعب المصرى - المعروف بالتدين الصادق وعموما فالمصرى يرى فى اولاده امتدادا لحياته - فهى عقيدة لديه - لا يقولها فقط من

باب الدعوة للصبر فى مواجهة الموت لكنه مؤمن بها ، ويتضح ذلك فى المثل القائل :

- اللى خلف مماتش أو من خلف ما مات .

وغيره كثير مما سنذكره حينما نتحدث عن الأبناء وكيف تناولتهم الامثال الشعبية .

من كل ما تقدم نستطيع أن نقول : ان المصرى عبر العصور كان ذلك الانسان المتدين الذى يسلم بما تأتى به ديانته ... حتى بالنسبة للغامض والمبهم من الأمور : وذلك ما جعل المصرى القديم يعتقد فى الأبدية والخلود ويعلمهما للآخرين . بمعنى تجاوز الحياة الدنيا الى ما بعد الموت او اتجاوز الحدود الى ما بعد العدم وأن يمد جسورا من الايمان بين الارض والسماء ، بين عالمنا والعالم الآخر وأن يكون الفناء جزءاً من البقاء، فلا ضياع ولا انقطاع فالموت انتقال من حياة الى حياة، لذلك لا أحد منا يقطع صلته بالموتى .. لقد احب المصريون الحياة ، فانتصروا على الموت بالخلود ومن حبهم فى الحياة ، لاينطقون اسم الموت بل يقولون رحل إلى السماء او انتقل الى الرفيق الاعلى او توكل .. وكان الفراعنة يقولون : سافر حيا او عبر الى الضفة الاخرى او انتقل الى الحياة الاخرى - حيث النعيم - فالموت اذن ليس شرا ولا فناء .. وإنما سلم للصعود الى عالم افضل (١) ذلك هو مفهوم المصرى

١ - عادل حموده كيف يسخر المصريون من حكامهم ص ٤٥ .

القديم للموت ولعل آثارا باقية منه الى الآن دعمتها الديانات السماوية.. وظل المصرى على اعتقاده بأن الديمومة هى الآخرة .. وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور وأن الآخـرة خـير وأبقـى .. و إنه مع المسيح ذلك افضل جدا ..

ومنذ العصر الفرعونى والملك خيتى يخاطب ابنه مسديا اليه النصيحة قائلا : لا تجعل عقيدتك فى طول الحياة الدنيا .. ولا تغتر بها فإن وقت الحياة الدنيا قصير كساعة واحدة على الارض. ولا يبقى للانسان فى آخرته إلا عمله فهو كالكنز الثمين (١) .

هذا ويجرنا الحديث عن الحياة والموت ونهاية كل حى الى رؤية المصرى «للدنيا وأحوالها» والزمن وتصاريفه ، والدهر والأيام وتقلبهما وتبدل الأحوال معهما وإيمانه بأنه ما دايم إلا وجه الله) .

فالمصرى يصف الدنيا فى امثاله الشعبية فيقول :

- الدنيا غداره ويقال أيضا الزمن غدار .
- الدنيا فانية .
- الدنيا بلايه .
- الدنيا قلابة دواره او دولاب داير .
- الدنيا متستهلش او ماتسواش .
- الدنيا مبتدمش لحد او متبدمش على حال .

(١) عبد الحميد بسيونى اداب السلوك ص ٦٢ .

- الدنيا وحشه .

- الدنيا ما تنضمنش .

- الدنيا مش دايمة .

- الدنيا يوم ، (أى قصيرة) .

- الدنيا غروره .

- الدنيا على كف عفريت .

- الدنيا ميتبكيش عليها محدش يبكى عليها او اللى راجع الدنيا يبكى عليها .

- الدنيا لمن غلب اى للأقوى .

- ملعون ابو الدنيا .

- أدى حال الدنيا تقال فى الموت والمصائب .

وإن كانت هذه هى الصفات السيئة التى وصف بها المثل المصرى الدنيا فى كلمة واحدة موجزة لمعان كثيرة .. حتى وصل به الحال الى لعنها . فهناك امثال تفصل القول ، وتقدم مقدمات ونتائج للتعامل مع الدنيا فى عبارات بليغة وكنموذج لذلك :

- محدش واخد منها حاجة .

- إن كان بدك تشوف الدنيا بعد عينك شوفها بعد غيرك .(فى الاتعاظ من الموت) .

- الدنيا زى الغازية ترقص لكل واحد شوية .
- الدنيا اشغال شاقة . وأخرتها الإعدام .
- الدنيا تلاهى حازوها الملاهى . وفاتوها كما هى .
- أولها عيشة وأخرتها موت .
- الدنيا مبتديش محتاج اى عنيدة .
- الدنيا لا بتخلى الماشى ماشى. ولا الراكب راكب .
- الدنيا بدل يوم عسل ويوم بصل يوم لك ويوم عليك .
- الدنيا يوم تدى ويوم تاخد .
- ساقية يوم فى العالى ويوم فى الواطى .
- الدنيا اللى متغطى بيها عريان (المتغطى بالايام عريان) .
- الدنيا حلوة على مرة . ومرها اكثر .
- الدنيا زى المرجيحة تجيب الواطى عالى والعالى واطى .
- هى دامت لمين يا هبيل (فى معنى لو دامت لغيرك ما آلت اليك).
- اللى يبكى على الدنيا يدور عليها او مين يبكى عليها .
- اللى يعيش فى الدنيا يا ما يشوف عجب ..

ومن محصلة ما سبق من أمثال يمكن أن نقول : إن المثل المصرى يكيل للدنيا الكثير من المعايب لفظا ومعنى فى كلمة أو عبارة وإن استد رك احيانا .. وتذكر أن لها وعليها . فإذا اردنا ان نحصى كميا ما

يصف به الدنيا من مثالب.. قياسا بما يذكره لها من طيبات .. أو ما يذكره لها بموضوعية وواقعية من سلبيات وايجابيات سنعجب للفارق الرقمى .. فما يذكره من محاسن يرد فى امثال قليلة العدد بقى منها متداولا :

- الدنيا لسه بخير (وهو استدراك لا ينفى السوء) .
- يا سلام على الدنيا لما تضحك (استغراب لاحوالها الحسنة) !
- ارزاق يا دنيا !

وباستعراض المعانى والصفات التى يرصدها المصرى للدنيا نجد أنه يراها غير معطاءة .. وإذا ما أعطت لا تعطى المحتاج فهى عنيدة وعجيبة فى تصرفها .. وخائنة غادرة لا تؤتمن. ومتقبلة متأرجحة غير مضمونة ، وقاسية بما فيها من عمل شاق ومشاغل لاهية .. وسيئة.. وحتى إن كان فيها حلاوة فمرارتها أكثر.. وهى «فانية» كخلاصة للقول.. وعلى كف عفريت أى غير مستقرة.. وهذه الصفات على كثرتها وتنوع صياغتها فى الامثال يبلغ عددها اضعاف الصفات الطيبة التى أتت على استحياء، لتؤكد أنها ما زالت تحمل خيرا من باب المواساة وأنها احيانا تضحك .. وإن كان المثل يعجب لها حينما تضحك ! وترزق أحدا، وكأنه يقول: إنها لما تضحك وترزق أحدا تفعل ذلك دون منطق، وبمبالغة عجيبة .. وإذا كان ما اعلق به كتحليل كيفى فقط للأمثال التى تصف الدنيا

تحديدا ولم اورد تحليلا كميا له فذلك لأن وصف الدنيا وأحوالها فى المثل المصرى لم يقف فقط على لفظ الدنيا .. بل تجاوز هذا اللفظ وتحدث مجازا عنها بمسميات اخرى هى الدهر ، والزمن والأيام فقال :

- زمن صعب .
- عجبت لك يا زمن .
- يا زمان العبر .
- الزمان يقلب ويعابر (اى يفعل ما يريد) .
- الزمان ما لوش امان .

هذا ويرصد المثل ايضا للزمن والأيام صفات طيبة هى :

- الزمن مداوى .
- الايام كفيلة تصلح كل شىء.

ويوصى المثل الناس بكيفية التعامل مع الدنيا ، بأوامر واضحة صريحة ، فيقول ناصحاً :

- الدنيا مراية توريها توريك .
- إضحك تضحك لك الدنيا .
- الدنيا أخذ وعطا (أى تعاون)
- إن نام لك الذر متناملوش (أولا تنم له).

هذا ويفلسف المثل الشعبى أحوال الدنيا ، وتصاريف الزمن ،

خاصة من حيث «تبدل الأحوال » ، وما ينتج عنه من ظهور طبقات طفيلية محدثة نتيجة لهذا التقلب غير المبرر .. وسنلاحظ أن هذه الأمثال تعكس إيمان المصرى كما تعكس ايضا سخريته اللاذعة ، كما سنلاحظ أن بعضها من الأمثـال العربية الفصحى المتداولة ، وكأنها عامية شعبية ، ومن الأمثال الدارجة التى مازالت متداولة تعبيرا عن تبدل الأحوال :

- سبحان مغير حال عن حال (سبحان مغير الأحوال).
- سبحان الذى يغير ولا يتغير .
- كنا فين ؟ وبقينا فينا ؟!
- ماطار طير وارتفع .. إلا كما طار وقع (عربى متداول).
- دوام الحال من المحال .
- اللى أكلوه وز .. وز نزلوه بط ... بط .
- كداب اللى يقول الدهر دام لى .
- جار عليه الزمان (وصف لمن اصابه الفقر بعد غنى).
- العفش نفش .
- الترعة نشفت . وبانت زقازيقها .
- جه زمن نترحم على فرعون .
- السبع لما يعجز تلعب على ضهره القرود .

- إرحموا عزيز قوم ذل (عربى متداول).
- بعد نومك مع الجديان ، بقى لك مطل على الجيران .
- إن لبست خيشة برضها عيشة .
- إن لبسنا عوايدنا ، وإن ما لبسنا عين وصابتنا .
- حطوا علىّ كلكم ، ياللى الزمان خلانى تحتكم (أو لكم).

هذا ويوصى المثل بأن نتحين الأيام ، قبل أن تقلب لنا وجهها وترينا المكاره .. ويحذر الظالمين من تبدل الأيام والأحوال ، فيقول :

- يا قوم لكم يوم .
- إضحك والضحك رخيص ، قبل ما يغلى ويبقى بفلوس .
- ساعة الحظ ماتتعوضش .
- إن جالك الفرح إنهبه نهيبه .

و«الإحداث » إحدى موروثات تقلب الأحوال وتبدلها ، والمصرى يسخر منه ومن «المحدثين » أو « محدثى النعمة » فى أمثاله بشكل واضح فيقول :

- طلعت القصر إمبارح العصر .
- شىء ما كان له ، ربنا دله .
- محروم اللحمة شاف «بتاع» أمه انهبل !

- الواطى لما يعلى إدعوا له بثبتان العقل .
- معدش فى الخن ريش إلا المقصقص والضعيف !!.
- والله بقى «للخرى » مرة . يحلف عليها الطلاق !!
- كان فى جره وطلع لبره !.
- شبعة بعد جوعة !
- كبر البصل وإدور ونسى حاله الأول .
- مهما الفلاح اترقى تبان فيه الدقة .
- إيش فهم الفلاح فى اكل التفاح .
- المحدث ليلة يطبخ يبات يصرخ .
- هاتوا من المزابل حطوا على المنابر .
- اللى علي علي يابا .
- الانصاص قامت . والقوالب نامت .
- العلامة انكبت . والنخالة قبت .
- الغربال الجديد له شدة .

ويجرنا الحديث - مهما حاولنا تجنب الاستطراد - الى تناول رؤية المصرى «للطبقات والمقامات » .. ونظرته للمساواة بين البشر ليتضح لنا من خلال الأمثال مدى إيمان المصرى بالمساواة من عدمه .. ومدى اعتناقه للطبقية كنظام اجتماعى يجب احترامه .. أو على الأقل التسليم

به بوصفه واقعا معاشا لا مفر منه .. فرضته الأقدار عليه .. فالمثل المصرى يقول عن المساواة مؤكدا لها :

- كلنا ولاد تسعة .
- كلنا ولاد حوا وآدم.
- الناس كلها خير وبركة .
- محدش على راسه ريشه .
- البلاد بلاد الله . والخلق عبيد الله .
- محدش أحسن من حد (مفيش حد أحسن من حد) .
- أحمد زى الحاج أحمد .
- الحسن خى الحسين .
- الناس سواسية كأسنان المشط (عربى متداول) .
- زيك زى غيرك .
- مين يعرف عيشه فى سوق الغزل (أى الناس سواء فى الزحام).

وإذا كان المصرى مازال يعلن عن قناعته بالمساواة فى عشرة أمثال مازالت متداولة بين العامة والخاصة .. فبالمقابل يقول المثل معبرا عن وجود الفوارق والطبقات والمقامات :

- ربنا ما سوانا إلا بالموت (أى هناك فروق والمساواة فى الموت وحده) .

– العين متعلاش على الحاجب .

– الميه متجريش فى العالى (أو ماتمشيش).

– الناس معادن . ومن أغلى المعادن ناس.

– لو كان الاسم بيشـترى كـان الفـلاح سـمى إبنه خـرى (لتدنى طبقته) .

– تروح فين يا صعلوك ما بين الملوك .

– المقامات محفوظة .

– الناس مقامات .

– اللى ملوش ضهر ينضرب على بطنه (اللى له ضهر مينضربش على بطنه) .

– صوابعك مش زى بعضها (يقال أيضا فى التفاوت والفروق الفردية).

– إن طلع من الخشب ماشة يطلع من الفلاح باشا .

– عمر الفلاح إن فلح .

–أصفر ومعلول وبعدى ولاد الأصول .

– من عرف مقامه فى الهنا بات . ما همه اللى جاى ولا اللى فات .

– اللى يبص لفوق يتعب (أو توجعه رقبته) (وفيه إنكار للتطلع).

ومما سبق يتضح لنا أن احترام المصرى للطبقات والمقامات

واستنكاره لتطلع الفقراء والفلاحين لمن يعلوهم طبقة أمر واحد ، إذ يجعلهم سخرية ويشير الى أنهم مهما طمحوا فلن يكون من بينهم من يصير باشا ، أو يعلو مقامه ، أو حتى يأكل التفاح ، أو يسمى ابنه باسم جميل – فمن اين له ذلك ؟! وهو « عبد مأمور» ، وبقدر ما يحاول المثل الشعبى تصوير استحالة تفوق السفلة من القوم ، وعلوهم على غيرهم «فالميه ماتجريش » و « العين متعلاش » ، « فأين موضع الصعلوك بين الملوك ؟! » ، فلا داع لمجرد محاولة التطلع من قبل من هم أدنى .. حتى لا يتعبون رقابهم .. ورغم ذلك فالمثل المصرى يرسم لهؤلاء القوم طريقا يمكنهم من خلاله العلو – ولو قليلاً – عن وضعهم ، فيقول المثل :

– اللى مالوش كبير يشترى له كبير .

– من كتر كلامه اتقل مقامه .

ويتضح من كمية الأمثال السابقة أن المصرى يؤمن بالطبقية أكثر من إيمانه بالمساواة بين البشر ، وذلك بنسبة ١٠ : ١٥ ، وذلك يتضح ليس فقط من الأمثال .. ولكن يتضح أيضا من سلوك الإنسان المصرى .. واحترامه لمن يعلوه مقاما سواء بالنفوذ والسلطة ، أو بالمال والجاه ، أو الحسب والنسب . ورغم أن الأمور قد تغيرت إلى حد كبير منذ خمسة وأربعين عاما ، هى عمر الثورة الاجتماعية التى بدأت عام

١٩٥٢، وحاولت إذابة هذه الفوارق إلا أن الإنسان المصرى البسيط كثيرا ما نراه مازال « عبدا للمأمور» .. مستكينا خاضعا لمن يعلوه .. ولعل مرد ذلك إلى طيبته وعفويته التى نرصدها له كسمة ثالثة لم يختلف عليها الباحثون فى الشخصية المصرية ، فالمصرى عندهم :

- ساخر بما يستتبع هذه السمة من سَمات فرعية .
- متدين بما يستتبع هذه السمة ايضاً .
- طيب تلقائى وعفوى بسيط ، كما سيتضح فيما يلى .

طيب عفوى

استقر كثير من الباحثين والمتحدثين عن الشخصية المصرية علي أن المصرى إنسان طيب، عفوى ، ولم يختلفوا حول هذه السمة.. ولكن اختلفوا فى تعريفهم لها، أو تفصيلهم لمعنى الطيبة والمسالمة والعفوية .. فالبعض يرى أن صبر المصرى على الضيم والقهر ، وتسامحه مع ظالميه أو حتى جلاديه ، واستسلامه الطويل لهم ، والاكتفاء بالسخرية والتعالى ، أو التسامى عن رد الظلم بالظلم ، يرجع إلى طيبة قلب المصرى ومثاليته ، واحترامه للآخرين خاصة الكبار أو من يمثلون بالنسبة له السلطة ، سواء السلطة الأبوية أو السلطة فى العمل أو السلطة المطلقة - أى الحاكمة أي كان نوعها - فالمصري فى تاريخه الحديث عندما ثار على مستعمريه وحكامه ، ثار ثورة بيضاء غير دموية

لاتقاس بحال من الأحوال بالثورات المعاصرة التى مثلت فيها الشعوب بحكامها ، ولم تكتف بقتلهم بل سحلتهم فى الشوارع .. وذلك ما لم يحدث فى تاريخ مصر على إطلاقه ، القديم أو الوسيط أو المعاصر ..

والمصرى بصفة عامة وديع مستكين ، عاطفى بمعنى أنه يغلب العاطفة والقلب على العقل وأحكامه ، فهو محب للآخرين ويرى أنه الرابح فى النهاية إذا ما غلب المحبة على الكراهية، والمودة على العداء فهو فى أمثاله يرى على المستوى الفردى أن حب الآخرين من حب الله ورضاه عنه إذ يقول :

- من حبه ربه ، حبب فيه خلقه .

والطيبة بهذا المعنى امتداد لسمته الثانية : «متدين» وما ترتب عنها مثل سمة «صبور» .

والمصرى الطيب بسيط ، يستطيع العيش بأى أسلوب، ويرضى بالقليل - رغم تحسره أحياناً على وضعه - وذلك امتداد لسمة «راضي وقانع» ، وهو بسيط كما يبدو للآخرين .. رغم أنه يبدى أحياناً مكراً يتناقض مع ما يتصوره البعض عنه من طيبة وبساطة ، تبدو وكأنها لون من السذاجة .. ولعل ذلك ما جعل الشخصية المصرية العبقرية المركبة تبدو ششخصية محيرة ، صعبة التفسير والفهم على بساطتها

وعفويتها، ولعل مرد ذلك يرجع إلى اتساع رقعة الأرض المصرية ، وتباين الفئات والطبقات التى تعيش عليها، فالسمة كمفهوم هى : الصفة الدائمة والثابتة نسبيا ، والتى قد تكون موروثة أو مكتسبة ، ولكنها فردية يتميز بها الشخص دون الآخر ، ونستدل على وجودها من خلال ملاحظاتنا لسلوك وعادات الفرد ، وأفعاله المتكررة .. ولذلك فإن سمة طيب تعتبر سمة سائدة بين الأفراد المصريين .. بل وأحيانا يجمع الفرد المصرى بداخله النقيضين .. ونقر أحيانا بذلك خاصة بالنسبة للعامة والبسطاء من الناس ، ومن أهل الريف على وجه الخصوص، إذ يجمعون أحياناً بين الطيبة والخبث ، أو بين البساطة والسذاجة والمكر .. ويؤتون - بناء على ذلك - تصرفات وأقوالا معجزة ومحيرة ، تجعل من الصعب الحكم عليهم ، أو تفسير مسلكهم المتناقض مع طبيعتهم ، ولعل ذلك ما حدا بهيرودوت إلى القول بأن : مصر بلد المتناقضات.

ولعل التناقض فى الشخصية المصرية الطيبة ، المسالمة، الودودة، الخلـوقة ، يعتبر من الظـواهر المرضـية التى عالجها دكتور سيد صبحى (★) من خلال الأصالة المصرية فى تراثنا القيمى والخلقى ، المعبر عن الشخصية المصرية ، التى لاتعرف إلا الصدق والمروءة والمفهومية فى التعامل والتصرف ، واعتبر الخروج عن هذه الأصالة وهذه السمات الخلقية الكريمة، سلوكا مرضيا بدأ ينتشر عند البعض

(★) أستاذ ورئيس قسم الصحة النفسية ، كلية التربية - جامعة عين شمس .

متمثلاً فى الحيل الهروبية ، وسلوك العدوان والأذى ، وقد أطلق على هذا الأسلوب «تماحيك وتلاكيك» على اعتبار أن الإنسان فى بعض اللحظات يكون مراوغا ، يميل إلى الانسحاب .. ولذلك أرى معه أن المسالمة والطيبة هى السمة الغالبة والسائدة نسبياً ، وماعداها من عدوانية وعنف هو الاستثناء الذى أصاب البعض مؤخراً ، بسبب ظروف ضاغطة كلنا يعلمها .. وليس مجالها الآن.. حيث أن هدفنا من هذا البحث هو إقرار واقع سمات الشخصية وليس تبريرها وتفنيد أسبابها.

هذا ويؤكد هذا الرأى أيضا مجموعة من الأساتذة الجامعيين، يرون أن الشخصية المصرية من أبرز سماتها التناقض، والنموذج على ذلك كما يقولون «الفلاح المصرى البسيط والماكر فى آن معاً» كما يرون أن من سمات المصرى «الدعة» بمعنى الاستكانة والمبالغة فى الحزن والفرح، وهى أيضا من سمات الإنسان الطيب ، الذى يتصرف بعفوية ، ودون تقنين وتدبر ماكر لتصرفاته ومظاهر سلوكه .. والمصرى – كما يرون – «عاطفى» وصبور ومتدين وهو شخصية محيرة صعب تفسيرها فهى شخصية «مركبة وعبقرية» (★)

وفى إطار القول بأن المصرى طيب لابد من الإشارة إلى ملمح من ملامح الطيبة، وهو العفوية ، بمعنى التلقائية فى التصرف، والانفعال

(★) برنامج المنتدى الثقافى ، النمذاع يوم الأربعاء ١٩٩٥/٩/٢٧ . القناة السابعة – المنيا (خلاصة آراء الضيوف حول الشخصية المصرية) .

غير المحسوب فى الفرح والحزن بعفوية ومبالغة وتهويل فى كلتا الحالتين .. ويتفق معى فى هذا القول عدد آخر من الشخصيات العامة ، ومن الجمهور العادى رأوا فى تقييمهم للشخصية المصرية «من وحى أكتوبر» أن المصرى «إنسان صبور طيب يستطيع العيش بأى أسلوب ، ولديه إصرار على الحياة ، ولديه جلد وصمود» فى مجابهة المصاعب (★) .

هذا ويرى يوسف عوف فى كتابه «هموم ضاحكة» ، أن المصرى يبالغ فى كل شىء حتى طعامه واستهلاكه ، ويراه إنساناً صابراً يقدس السلطة والوساطة ، ويستهين بالأمور ويهونها .. وكلها سمات ترتبط بشكل أو بآخر - كما أرى - بسمة طيب وعفوى .. وقد نتج عنها أو ارتبط بها سمات أخرى - قد تعتبر سلبية - مثل : التواكل وعدم الإنتاجية والاهمال والتمسك بالبيروقراطية .. وأيضا الإيمان والتسليم بغيبيات تصل إلى حد الخرافات ، كجانب ساذج من الشخصية الطيبة، المسالمة ، البسيطة ، التى قادت تفكيره إلى أن يكون غيبيا غير عقلانى .. وقادته إلى أن يكون إنسانا سلبيا لا مباليا ، انهزاميا ، أعماقه حزينة، يتحسر على ذاته ، ويتفلسف إلى حد التلاعب البليغ بالألفاظ والكنايات ، التى يسخر فيها أحيانا من نفسه ، بشكل قد يتصوره البعض شعوراً بالدونية ، أو يصل بالبعض فعلاً إلى الشعور بالدونية

(★) برنامج حديث المدينة ، المذاع يوم الثلاثاء ١٠ /١٠ / ١٩٩٥ ، القناة الأولى (خلاصة آراء الضيوف) .

وعقد النقص .. كما يصل بالبعض الآخر إلى الحساسية المفرطة للكرامة والكبرياء - ولو كان كاذباً - ويصل بالبعض إلى القناعة والزهد والصوفية السلبية ، والخوف والحذر ، وفى المقابل يبالغ البعض الآخر فى التلقائية والتصرف بشجاعة متهورة ، والتحرر الفطرى الفج ، والتذاكى .

وينتج أيضا عن التلقائية والعفوية والبساطة تميز بالصراحة، التى تصل أحياناً إلى حد الثرثرة ، وعدم كتمان السر، الذى يصل بدوره إلى حد الغفلة عن العواقب ، وقد عبر دكتور يوسف إدريس عن سمة العفوية والطيبة لدى الإنسان المصري قائلا :

«هذا الصدر المصرى الحبيب ينفتح على مصراعيه لى ولأى غريب ، فينسى الغريب غربته ويجد نفسه فى ثانية قد دخل الصدر وأصبح قريبا من القلب».

ومن القلب إلى القلب مضى الحديث يدور .. وما هكذا أى شعب آخر ، ولهذا ننفرد ونسمو نحن المصريين ، وليس عيباً أبداً أننا نفتح الصدور على مصاريعها حين نلتقى فهذا هو الشيء الجدير بالإنسان - إذا كان إنسانا حقا - أن يفعله» (★)

وعوضا عن الاسترسال فى تفنيد الآراء ، والاستشهاد بما قيل عن

(★) د. يوسف ادريس عن عمد اسمع تسمع ص ٧٢ .

طيبة المصرى وعفويته .. نعود إلي موضوعنا الأصلى وهو الأمثال الشعبية، وكيف عبرت عن كل ما سبق ان أصطلحنا على اعتباره نوعا من الطيبة والوداعة والعفوية ، كملامح تصب كلها فى سمة «طيب وعفوى».

ترتبط الطيبة المصرية بالأخلاق الحميدة والإحسان ، والمحبة المتبادلة بين الناس والتى يضع لها المثل الشعبى المصرى قواعد وشروطا ، ويرى أنها علاقة تبادلية بين البشر ، فالمثل يقول :

– من القلب للقلب رسول.

– إن كان حبيبك فى خير إفرح له.

– إللى يحب حد يكتر من ذكره.

– إللى يحب ميكرهش.

– داخل بيت عدوك ليه ؟ قال : حبيبى فيه .

– إن كان لك حبيب وبدك تبقيه لاتاخد منه ولاتديه.

– لجل الورد ينسقى العليق.

– من حبنا حبناه وصار متاعنا متاعه .. ومن كرهنا كرهناه يحرم علينا اجتماعه .

وإذا كانت هذه الأمثال يطلقها البعض على علاقة الحب بين الرجل والمرأة بالذات ، فالغالبية العظمى تطلقها كقوانين لعلاقة المحبة أو المودة

بين الناس ، فمن نحبه بالضرورة سيحبنا ، وأنه من الواجب أن نفرح لما يصيب الناس من خير .. حتى لو كان فى غير صالحنا .. وأن من يحب لايستطيع أن يكره ، فالحب كعاطفة لا تنقلب للضد مهما كانت الظروف .. وأنه من شروط المحبة ودوامها ذكر المحبوبين بالخير، كما نحب لهم الخير، وأن لاندخل المعاملات المادية ، والأخذ والعطاء فى العلاقة إذا أردنا الإبقاء على هذه المحبة .. وإن ورد مثل آخر يقول بعكس ذلك . «صار متاعنا متاعه» كاستدراك.

وتنبثق عن المحبة مشاعر الألفة والحنان ، وشروط العشرة الطيبة بين الأفراد والجماعات .. وبين أفراد الأسرة ، وخارج نطاقها بين الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء .. فالمصرى من خلال أمثاله العامية يعتز كثيرا بعلاقة الدم، ويراها مدعاة للمحبة والحنان فيقول :

- الدم يحن

- الدم ما يبقاشماية (أو عمر الدم ما يبقى ميه).

- إذا كانت الداية أحن من الوالدة، كانت تبقى خيبة زايدة.

وللحنان فى مصر شروطه ، وفى مقدمتها العطاء .. ويسخر المثل المصرى من الحنان غير المصحوب بالعطاء فيقول فى تشبيه بليغ الصورة:

- زى حنية الوز ، حنية من غير بز (زى الوز حنية بلا بز) .

- إدى ابنك للى له أولاد .

ويقدس المصرى كما يتضح من أمثاله الشعبية العشرة، ويرى أنها يجب أن تصان وأن لها حقوقا ، وأن من تهون عليه ملعون و «ابن حرام» فالأمثال المصرية تقول فى هذا الصدد :

- من عاشر القوم ٤٠ يوم صار منهم .
- من عاشر الحداد ينكوى بناره .
- العشرة متهونش إلا على ابن الحرام.
- إللى يعاشر طبيب يموت سقيم.
- إللى يعاشر التعابين لازم يتشغل حاوى.

فكما يرى المثل أن العشرة يجب أن تصان ، ويعبر عنها المصرى فى تعبيراته الدارجة بمعانى أخرى مثل «واكلين عيش وملح» أى بينهم عشرة لها حرمتها وقدسيتها ، يرى أن كثرة المعاشرة تجعل للفرد حقوقا، وأنه قد صار واحدا من القوم الذين عاشرهم ولو كان غريبا عنهم .. بل إنه يتشبه بهم ويتأثر بهم إلى أبعد الحدود ، كما يرى المثل الشعبى أن العشرة تولد المعرفة الدقيقة إذ يقول :

- تعرف فلان ؟ أعرفه .. عاشرته ؟ ! لا ... تبقى متعرفوش.
- لا تذم ولاتشكر إلا بعد سنة وست أشهر .

والإنسان المصرى إجتماعى بطبعه ، وعشرى ، ويحب الناس ،

ويفتح لهم قلبه بسهولة ويرى فى معرفتهم كنز .. والقرب منهم خيرا .. وأنه لابد من حسن المعشر ، لأننا يوما ما سنفترق ، وتقول الأمثال فى ذلك:

- عاشر عاشر مصيرك تفارق (مسيرك تفارق).

- جنة من غير ناس ما تنداس (مثل يعكس روح الجماعة وحب العشرة).

- معرفة الناس كنوز .

وفي مقابل هذا الكم من الأمثال الداعية للألفة والاجتماع والحنان والعطاء ، نجد عدداً قليلا من الأمثال يحبذ الوحدة والابتعاد عن الناس خاصة إذا ما كانوا «كالشريك المخالف» ، أو كانت معرفتهم تجلب المتاعب ، وتقول هذه الأمثال على قلتها :

- البعد عن الناس غنيمة.

- الإقتصار عبادة (أو الوحدة عبادة)

- الوحدة ولارفيق المتاعب (تحوير للمثل العربى الوحدة خير من جليس السوء).

وإذا أردنا تحليلاً كمياً لهذه الأمثال سنجد المصرى يحبذ من خلال أمثاله العشرة وصحبة الناس على الوحدة والاقتصار والبعد بنسبة ٣:١٠ .

وكما للمحـــبة والعشـــرة قانونها وقواعدها التى حددها المثل الشعبى ، نجد أن للكراهية والعداوة أيضـــا دســـتورها الذى يرسمه ويحدده المثل العامي ، فالمصرى محب بطبعه ، لايتحول الحب لديه إلى كراهية.. ولايكره إلا لسبب أو أسباب .. ولا يعادى إلا لعلة .. وحتى إذا كره فهو غير عدوانى بطبعه ، بل يسالم إلى أبعد الحدود .. ولايعاقب إلا رداً للعدوان .. ويعاقب بمثل ما عوقب به، فلا يبدأ بالعداوة من جانبه .. ولعـــلاقة القـــربى والأخـــوة قواعـــدها فى قـــانون العـــداء والكره المصرى ، وذلك سيتضح مما ســـنورد من أمثال ، وما سنعلق به عليها من تحليل لفحواها :

- أنا وأخويا علي ابن عمي وأنا وابن عمي علي الغريب.
- ابن عمك عدوك .. وعدو إللي يعاديك (فيه استدراك).
- صديق عدوى عدوى ، وعدو عدوى صديقى.
- عين العدو تبان ولها زبان.
- العين متكرهش إلا إللي أحسن منها .
- عادي أمير ولاتعادى غفير.
- عدو قريب ولاحبيب بعيد.
- نهار العدو ما يصفى يخفى .
- عدو عاقل خير من صديق جاهل (مثل عربى متداول)

– عدوك عدو دينك.

– إللى تكره وشه يحوجك الزمان لقفاه (إللى تكرهه النهاردة تعوزه بكرة).

وهذه الأمثال توضح أن اختلاف الدين والحسد بين الناس هى من أسباب العداوة ، ورغم ذلك فعلاقة الأخوة أو العمومة تحكم بحيث يمكن أن يتفق الأخوة أو أبناء العمومة على العدو الغريب .. كما أن العدو قد يكون أفضل أو أفيد للمرء من الصديق ، إذا كان قريبا كى يستغيث به .. وأن على المرء ألا يعادى سفيها، حتي لا يجره إلى تدنى فى العداء والسلوك العدوانى ، وحتى العداء إذا فرض على الانسان المصرى لابد من قواعد تحكمه ، فنجد أن المصرى يتحسب من المبالغة فى العداوة.. وأن يتجنبها بالمسالمة ولا يبدأها حتى ولو برش الماء .. وفى هذا الصدد تقول الأمثال المصرية :

– صباح الخير يا كنيسة ، وإللى فى القلب فى القلب (أى كره وليس عدوان).

– إقطع لسان عدوك بسلام عليكم.

– إمشى دغرى يحتار عدوك فيك.

– حبيبك يمضغ لك الظلط وعدوك يتمني لك الغلط.

– من «شخ» عليك «شخ» عليه ، وهى كلها نجاسة.

– فوت على عدوك مكسى ولاتفوت عليه محشى (خوف من الشماتة).

– إمشى على عدوك جعان ولا تمشيش عريان (خوفا من الشماتة).

– فوت على عدوك معرش ولاتمشيش مكرش (خوفا من الشماتة).

– كبر الجرن ولاشماتة الأعادي.

– كل عيش حبيبك تسره ، وكل عيش عدوك تضره .

– ضمة القبور ولا ضمة عدو .

ومما سبق يضح أن المصريين فى تعاملهم العدائى يتجنبون العنف، ولايتوقعون من العدو إلا الشماتة، وتمنى الخطأ ، والضرر الطفيف المتمثل فى أكل عيشه ، أو تنجيس ثوبه، ويتحرزون بشدة من ذلك ، ويكرهون أن يشمت فيهم العدو ، فينصحون بتجنب ذلك بالمظهر الجيد، وباتقاء الشر بإلقاء السلام ، أو على أسوأ تقدير المعاملة بالمثل ، وذلك يتضح في مثل واحد أو مثلين على الأكثر من بين هذه الأمثال .. وتحث الأمثال على التعاون للتصدى للعداء .

والمصرى يخشى من يعاديه ، ولا يأمن له ، ويعبر المثل عن ذلك بالقول :

– عدو زمان مالوش أمان.

– عمر العدو مايبقى حبيب ، وعمر شجرة التين ما تطرح زبيب

– عمر العدو ما يبقى حبيب وعمر الحمار ما يبقى طبيب.

ومع ذلك فهناك من الأمثال ما يكذب هذا المعنى الأخير، ويقال غالبا في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين:

– مكتوب على ورق الحلاوة ما محبة إلا بعد عداوة.

ويكتفى الآن بالشطر الأخير من المثل تعبيراً عن ضرورة نبذ العداء والخلاف ، وأن المحبة لاتأتى إلا بعد العداء .. ويعبر التشبيه المصرى البليغ عن سوء العلاقة بين الناس وطبيعة العداء بالقول :

– بينهما ما صنع الحداد .

– إنت من سكة وهو من سكة (أو أنا من سكة كناية عن الخلاف).

– قاعد له على السقطة واللقطة (أى يتمنى له الخطأ).

ويقول المثل أيضا :

– إذا كان الدعا بيجوز ما خلى صبحى ولا عجوز .

وذلك يظهر لنا أقصى ما يمكن أن يتمادى فيه الدعاء المصرى، وهو الدعاء على العدو .. ومع ذلك يستدرك المثل الشعبى السابق ويهون من أثر الدعاء .

، هذا ويجرنا الحديث عن الكره والعداوة على الطريقة المصرية لنرى كيف هى هينة، إذا ما قيست بما بين الشعوب الأخرى من عادات حقيقية ، العرب مثلا (★) – يجرنا هذا الحديث إلى تناول الأمثال

(★) وذلك سيأتى ذكره تفصيلا فيما بعد .

الداعية للمصالحة بين المتخاصمين ، لنرى أنها فى الأغلب الأعم تميل إلي جانب السلم والتسامح ، وليس إذكاء العداوة .. وهذا يعد تأكيداً آخر لسمة طيب ومسالم ووديع ، ومن هذه الأمثال ما يقول :

- الصلح خير .
- السلام لله.
- المسامح كريم
- إللى يدق يتعب.
- أهل السماح ملاح.
- المصارين فى البطن بتتعارك (بتتخانق)
- اللى إنكسر يتصلح (اللى وقع يتصلح).
- الغلط مرفوع والزعل ممنوع.
- هى الشتيمة بتلزق.
- عفا الله عما سلف (من القرآن الكريمة أية ٩٥ سورة المائدة).
- مسيرة الماية ترجع لمجاريها (تقال فى تأكيد أن الصلح سيتم).
- اللى فات مات وإحنا ولاد النهاردة (بمعنى فتح صفحة جديدة).
- ما شتمك إلا إللى بلغك (تقال فى الصلح درءاً للفتنة).
- من جه بيتك جاب الحق عليه.
- العند يورث الكفر (درءاً للعناد فى سبيل الصلح).

- الغلط مردود .

- من قر بذنبه غفر له ربه (كسبيل للعفو والتسامح بين الناس).

كل هذه الأمثال والعبارات يرددها المصرى كدعوة للصلح والتسامح، لأنه يرى فى الصلح والسلام الخير والكرم والراحة والملاحة، لأن كل شيء ممكن جبره وإصلاحه ، ولأن الإنسان فى داخله «مصارينه بتتعارك» ، ولأن الغلط مردود ومرفوع .. ولأن السماح والعفو من عندالله والسلام له ، ولأنه لابد أن تعود المياه لمجاريها ، ولأن العند يورث الكفر والعياذ بالله .. ويمعن المصرى فى تحبيذ الصلح والسعى فيه .. رغم ما يجره أحياناً على من يقوم به، فتقول الأمثال عنه :

- ما ينوب المخلص إلا تقطيع هدومه.

- يا داخل بيْن البصلة وقشرتها ما ينوبك إلى صنتها .

- قاضى العيال إشتكى روحه .

- إمسحها في دقنى أو إمسحها فىّ (يقولها المتداخل للصلح).

ومما سبق يتضح أن المصرى يحبذ التسامح استكمالا لسمة الطيبة التى اختص بها دون شعوب الأرض ، وهو عدا من الأمثال التى تؤيد ذلك يطلق تشبيهات وصورا بليغة وحية للصلح ، فيرى أن المتصالحين قد أصبحوا «سمن علي عسل» وأن «المياه رجعت لمجاريها» .. وفى إطار التصالح لايستغنى المصرى عن روحه الفكهة فيطلق بعض الأمثال التى

تتهكم على ذلك ، والتى تقول على ندرتها :

– يخانقنى في زفة ، ويصالحنى فى عطفة .

– شيل أبوك عن أخوك

– شيل ده من ده يرتاح ده عن ده.

– مخلوش للصلح مطرح (كناية عن فداحة الخطأ)

– حد الله ما بينى وبينك.

وهى على قلتها أمثال تحض على القطيعة وعدم التسامح بما لايقارن بما سبق دعوة للصلح والسلام والمغفرة.

وإذا أتينا لمناقشة سمة طيِّب من منطلق معنى مهذب أو خلوق ، سنجد المصري بوجه عام يعتبر بهذا المعنى بالفعل طيبا، وتعبر أمثاله الشعبية عن احترامه للآخرين ، وتعامله مع أصدقائه وجيرانه بأسلوب خير ، وهو يحترم من هم أكبر منه، وتضع الأمثال المصرية دستوراً لكل آداب السلوك أو الآداب العامة فى التعامل ، إذ تعبر فى مجملها أو أغلبيتها عن سلوك إنسانى رفيع .. فتدعو إلي حفظ اللسان ، والابتعاد عن الشر وتفضيل الأدب حتي عن العلم، والاعتدال فى الأمور والتصرفات ، وعدم التمادى أو التطاول ، وإتقاء غضب الآخرين ، وعذرهم إذا أخطأوا .. ومن هذه الأمثال :

– لسانك حصانك إن صنته صانك ، وإن هنته هانك.

- طاعة اللسان ندامة.
- سلامة الإنسان فى حلاوة اللسان.
- لولاك يا لسانى ما إتسكيت يا قفايا.
- الملافظ سعد .
- أقعد معوج واتكلم عدل.
- الأدب فضلوه عن العلم.
- إقصر الشر..
- إتق شر غضبة الحليم (مثل عربى متداول).
- يا رايح كتّر من الملايح
- خير الأمور الوسط (أو أوسطها).
- المخزوق يشتم السلطان (وتقال فى الصلح أيضا).
- إذا يأس الإنسان طال اللسان.

وفى الأمثال الأخيرة نجد أن المصرى يعطى بعض العذر لمن يضطر لإساءة الأدب، أو إطالة لسانه على الآخرين ، وفي ذلك أيضا شكل من أشكال التسامح والطيبة ، ولمن يسيء الأدب يضع المثل الشعبى المصرى أسلوب العقاب والردع أحيانا فيقول المثل :

- العصا لمن عصى (عربى متداول).
- أخليه يمشى على العجين ميلخبطوش (أو مشيه على العجين...).

والمصرى يقدس العلاقات الإنسانية ، ويحرص على أن تكون طيبة ، وأمثاله الشعبية تقنن هذه العلاقة ، و تربط بينها وبين الصدق ، وبين وجوب التآزر بين الأصدقاء فى الشدة .. كما تربط بين الصداقة والبخت، وتعتبر الطباع المتشابهة دافعا للترابط والصداقة ، وتضع للصداقة شروطا .. وبقدر ما تحذر أحياناً من الأصدقاء .. بقدر ما تضع الصديق أحياناً فى درجة تسبق الأخ والأهل ، وتحبذ اختياره بعناية ، حتي قبل اختيار الطريق ... ويقول المثل المصري في كل ذلك :

– طول ما أنت طيب تكتر أصحابك

– صديقك من صدقك

– الصديق وقت الضيق

– عند الشدة والضيق يبان العدو من الصديق.

– إذا لم تكن لى والزمان شرم برم ، فلا خير فيك والزمان ترللى (تحريف لبيت من الشعر العربى) .

– صاحبك من بختك.

– البيض الفاسد يتدحرج على بعضه (وفى قول آخر الخسران أو المشش).

– الطيور على أشكالها تقع (مثل عربى متداول).

– قل لى من صاحبك أقل لك من أنت .

– إللى ترافقه وافقه (شرط المرافقة الموافقة).

– التعبان من رفيقه يوسع.

– صديق صح خير من أخ .

– رب أخ لم تلده أمك (ويقصد الصديق).

– صاحبك وجارك أدرى بحالك.

– اختار الصديق قبل الطريق.

وفى التحذير من الأصدقاء نجد عدداً قليلا من الأمثال ، تقول على سبيل الحيطة والحذر :

– ما يفضحك غير صاحبك (لأنه المطلع على أسرارك).

– حاسب من صاحبك ولاتخونه (حرص من صاحبك..)

– الصاحب إللى يخسر هو العدو المبين .

– من لقى أحبابه نسى أصحابه.

يتضح مما أوردنا من أمثال حول الصداقة مدى تمسك المصري بالصداقة ، وإيمانه بأنها أفضل العلاقات التى يجب الحرص عليها وصيانتها ، وتفضيلها على ما عداها من علاقات ، وأن الطيبة هى الطريق الأمثل لكثرة الأصحاب ، ولكسب محبة الناس .. وذلك فى مقابل أربعة أمثال فقط تحذر من الصديق فى حالات خاصة مثل إفشاء السر، وتطالب بالحذر فقط وتنبه له .. ولكن لا تستثير عداوة ، وذلك دأب

المصرى دائما فى كل علاقاته ، ومنها علاقة الجوار ، التى سنستعرض ما قالته الأمثال حولها ، لما لها من ارتباط وثيق أيضا بآداب السلوك عند المصرى ، وطيبة قلبه وحسن معشره .. إذ تقول الأمثال عن الجيران:

- اختار الجار قبل الدار .
- النبى وصى على سابع جار .
- إن كان جارك فى خير إفرح له .
- إن كان لجارى ما يهنى لى .
- أطلب لجارك الخير، إن ما نلت منه تكتفى شره .
- الجار أولى بالشفعة (مبدأ قانوني معمول به كحق الإرث).
- الجار جار وإن جار .
- جارك قدامك ووراك ، إن ما شاف وشك يشوف قفاك.
- قبل ما أقول يا أهلى يكونوا جيرانى غاتونى.
- ربك وجارك أعلم بحالك.
- لولا جارتى لانفقعت مرارتى
- من جاور السعيد يسعد.
- غير من جارك ولاتحسده.
- يا جار الدهر إحزن لى شهر.

- الجار للجار ستر وغطا .

هذا ويضع المثل المصرى الحكيم قواعد للعلاقة ، فهو لا يتصور أن العلاقة الدائمة التى تتطلب إحتكاكا مستمراً ستدوم كلها على وجه خير .. لكنها بالضرورة ستعكرها بعض الأمور ، التى تتطلب الحكمة فى التعامل ، والتسامح ، وعدم رد الإساءة بإساءة .. بل التنحى والانسحاب بهدوء .. بأساليب حددتها الأمثال القائلة :

- صباح الخير يا جارى ، إنت فى حالك وأنا فى حالى (أو إنت فى دارك وأنا فى دارى).

- أصبر على جار السو ، ياتجيله داهية يا يرحل .

- من جاور الحداد ينكوى بناره .

- إن غسلت توبك إنقيه ، وإن خاصمت جارك إبقيه .

- خلصت حاجتى من عند جارتى (أى الإنسحاب بسلام).

- إن جار عليك جارك حول باب دارك.

- إن كرهك جارك غير باب دارك.

- إن كان جارك بلا (بلاء) حك به جسمك.

- إياك أعنى واسمعى يا جاره (عربى متداول).

- الكلام لك يا جاره .. وإنت حماره .

وبقدر ما يرى المثل المصرى فى علاقة الجوار محاسن، ونجدة

وغوثا، وتسلية ، وتعاطفا ، يرى فيها بعض الشرور، والمخاوف ، والمحاذير ، التى وضع أساليب طيبة لتجنبها أو الرد عليها ، كما وضح من الأمثال (العشر) السابقة التى تبعد الجار عن العدوان أو التطاول على جاره ، أو رد الأذى بمثله .. فى مقابل ذلك نجد أمثالا قليلة نسبيا (٣ أمثال فقط) تحرض على مقابلة العدوان بالعدوان وتقول :

- الأبيحة ست جيرانها .
- خلص تارك من جارك
- ما بعد حرق الزرع جيره (أى قطيعة كاملة).

وعن المحاذير التى يصف بها المثل المصرى ما قد يلاقيه المرء من جيرانه ، تقول الأمثال :

- البلاوى تتساقط من الجيران .
- جارنا السو ما أرداه إللي معانا كله ، وإللى معاه خباه .
- دقوا فى أوانهم وسمعوا جيرانهم.
- أنا رحت الغيط حرست جارى ، سرق البرسيم وخد حمارى.
- الحسد عند الجيران والبغض عند القرايب .
- الجار السو يحسب الداخل ما يحسب الخارج.
- لليهود والنصارى ولا ولاد الحارة (تقوله المرأة البغى خوفاً من كلام الجيران).

- الشاطرة تقضي حاجتها والخايبة تنده جارتها (أى أن الجيران يكونون مصدر تعطيل أحيانا).

- الشاطرة تعمل حاجتها والخايبة قاعدة تحدتها .

وفى مقابل كل هذه المحاذير من حسد ، وتعطيل ، ونميمة، وأخذ دون عطاء .. أو تباهى بما لدينا دون الحفاظ على مشاعر جيراننا يدعو المثل الشعبى قائلا :

- الله لايجعل لنا جار وله عينين.

وعوضا عن الاسترسال فى توضيح فلسفة المصري فى تقنين علاقاته الطيبة بغيره من أصدقاء ، وجيران ، وأهل وأقارب ...إلخ مما سيأتى تفصيله فيما بعد - عندما نتعرض لسمات أخرى مصرية - نوجز القول بأن المصرى «الطيب» يحترم الكبير ويجله، ولاينتظر المعايب منه.. وهو فى ذلك يحترم سلطة الأب ، وكبار السن ، ويحترم السلطة بوجه عام .. وذلك ما دعا بعض الباحثين إلى وصمه بسمة «سلطوى» أى يقدس السلطة ، ويخضع لها، ولعل هذه السمة بالذات تعتبر سمة أصلية فى المصرى منذ العصور الفرعونية ، التى كانت فيها سلطة الحاكم لها صفة الألوهية ، إذ كانوا يرون فى الفرعون الإله ، الذى تجب طاعته ، وحمايته، والرضوخ له حتى فى العمل بالسخرة - وإن اختلف الباحثون حول النظرية القائلة بأن المصرى بنى الهرم بالسخرة - وأنا

مع القول بأن المصرى المؤمن المتدين ، الخاضع للفرعون الإله قد بنى الهرم «أو مقبرة الإله» طاعة ، وخضوعاً ، وعملاً طيبا يحسب له فى الآخرة، وليس بالقهر ، وإنما بالرضا والحب للحاكم ، واحترامه وتأليهه.. وأيا كان الأمر فلنستعرض معاً الأمثال الشعبية التى تعبر عن مدى احترام المصرى «الطيب» المهذب لمن يعلونه سنا ، أو قدراً أو مقاما ، وهذه تحسب له .. وإن انبثق عنها سمات أخرى سلبية ، كالتذلف والمراءاة والنفاق - مما سيأتي بيانه - فالمصرى يري في :

- الكبر هيبة .
- الشيبه هيبه .
- دول الخير والبركة.
- الدهن فى العتاقي.
- أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة (أى أن الكبر خبرة).

أما عن وجوب طاعة الأب - كأول سلطة - فتقول عنها الأمثال المصرية:

- إللى ما يسمع كلام والديه يا لطمه على خديه.
- أنت ومالك لأبيك (عربى متداول).
- الشجرة اللى متضللش على أهلها تستحق قطعها.
- الولد ولد ولو كان شيخ البلد (أى لابد يحترم أباه).

وغير ذلك كثير مما يقنن العلاقة الأبوية - سنستعرضه آنفا - أما عن علاقة المصرى الصبور «الطيب» بحاكمه ، أو بالسلطة ووجوب احترامها - ولو ظاهريا - فتقول عنها الأمثال :

- أنا أول من أطاع وآخر من عصي.

- حد يقول للغولة عينك حمر ؟! (أيا كانت سلطة أو قوة أو حاكم).

- الملك من هيبته بينشتم فى غيبته (وتقال أيضا درءا للفتنة عن النمام).

- آه يا بلد من غير عمدة (تعبيراً عن الحاجة الدائمة إلى السلطة منعاً للتسيب).

- إللى مالوش كبير يشترى له كبير (تعبيرا عن ضرورة وجود كبير أو حاكم).

والمصرى الذى يحترم السلطة فى العلن .. لا يلبث أن يسخر منها فى السر أو فى أمثاله ، وكنموذج لذلك قوله :

- جبناك يا حكومة تحمينا .. حميتى النار وكويتينا.

هذا وإن كنا لا نجد كثيراً من الأمثال الشعبية التى تواجه الحكومة هكذا وبصراحة .. وترد فيها كلمة حكومة أو عمدة أو ملك .. بل نجد أن المصرى ينفس عن شعوره بالقهر من الحكام بالنكتة أكثر من المثل .. وإذا ما نفس بالأمثال فغالبا ما يستعيض بتشبيهات مثل :

قوله «الغولة».. وهو يستنكر أن يجابهها أحد بالنقد، حتي ولو كان عيبا فيها بالفعل «عينها حمرة».. ولعل هذه السمة الطيبة وهي الاحترام والولاء الظاهري للحاكم، قد أوصل المصري المهذب إلي حد النفاق والمراءاة للسلطة، أو للغير بوجه عام، كهروب من المواجهة، رغم أن كثيرا من الأمثال تستنكر النفاق والمراءاة أو المداهنة، فأي الجانبين يرجح المثل الشعبي المصري؟! تقول الأمثال الرافضة لهذه السمة المعيبة:

- في الوش مراية وفي القفا سلاية.
- أبو وشين يلعب علي الحبلين (أي كالبهلوان).
- بوس الأيادي ضحك علي الدقون (أي لاتصدقه).
- ده كله مسح جوخ (أي لاتصدقه).
- لما تقع البقرة تكتر سكاكينها (يقال للكبير إذا وقع وهاجمه الجميع).
- ضلالي وعامل إمام، والله حرام.
- يأدي (أو يصلي) الفرض وينقب الأرض.
- زي المش كل ساعة بوش.
- تحت البراقع سم ناقع.
- زي القط يسبح ويسرق (وتقال أيضا في التناقض).

وإذا كانت الأمثال التي تسخر من النفاق والمنافقين تصفهم

«بالضلال» و«السم الناقع» وأنهم «بوشـين» ومثل «القطط والمش» (عشرة فقط) نجد أن الأمثال المحبّذة للمراءة والنفاق، والاستسلام والكلمة الطيبة، تحسبا من البطش والقوي الغامشة، او مايسمي «المطاطية» إي إحناء الرأس للريح، ودرء الشر بكلمة طيبة ، فهي كثيرة، نذكر منها علي سبيل المثال لا الحصر مما تبقي علي اللسان المصري من أمثال:

- إن كان لك عند الكلب حاجة قوله ياسيدي (نفاق أم مرونة؟!)
- اتمسكن لحد ماتتمكن (دعوة للاستضعاف ولو لحين).
- الأيد اللي متقدرش تقطعها بوسها.
- اللي متقدرش توافقه نافقه.
- إن لقيت بلد بتعبد عجل حش واديله.
- أرقص للقرد في دولته (أي زمان حكمه).
- إلعب مع القرد لما توفي أيامه (أي إلي حين).
- من طاطا لها فاتت.
- علشان ما نعلي لازم نطاطي.
- طاطي رأسك مابين الروس الا الماشي عليك يدوس.
- كلمة باطل تجبر الخاطر (فهو يراها مجاملة وليست نفاقا).
- إن قابلك السفيه داريه بما فيه. وهات كحكة بسكر وهاديه.

- اتوصوا علينا ياللي حكمتوا جديد، إحنا عبيدكم وأنتم علينا سيد.

- معاهم معاهم.. عليهم عليهم (أي موافقة إلي حد المداهنة).

- لأجل الضرورة أروح للندل البيت، وأقول له، العفو يا سيدي، أشيل مداسه وأمسح تراب رجليه (قمة النفاق للضرورة .. حكمة!!).

وإذا كانت نسبة تحبيذ المثل الشعبي للمداهنة والنفاق أكبر بنسبة ١٥ : ١٠ قياسا بالرافضة له، فإننا من سياق المثل الشعبي، ومن تحليل مضمونه، والوقوف عند كل لفظة فيه تفسر أسباب ما يدعو له، نجد أنه يعكس ما لدي المصري «الطيب» المجامل الودود من مكر وحيلة ودهاء، فهو يستكين أو «يتمسكن» الي حين أن «يتمكن».. وهو يداري السفهاء تحسبا من سفههم، ويطأطيء رأسه، حتي لاتداس، وحتي تمر العاصفة.. طالما هو ضعيف إلي أن يعلو قدره.. وهو في إطار دعوته للانحناء للقوة والسلطة، يسبها ويسخر منها، ويشبهها مرة بالكلب، ومرة بالقرد، ومرة بالعجل.. فهو كعادته وفقا لسمته الأولي «ساخر» حتى وهو مستكين وداعٍ للمداهنة والنفاق، وإخفاء مايبطن من رفض أو احتقار، وهناك أمثلة أخري تؤكد ذلك وتقول:

- ياكنيسة الرب إللي في القلب في القلب (قاله المسيحيون حينما أسلموا).

- قالوا ياكنيسة اسلمي قالت: اللي في القلب في القلب.

- صباح الخير ياكنيسة واللي في القلب فيَّ القلب (يقولها المسلمون).

- إن فعلت ما تقول إن قلت ما تفعل (أي أظهر عكس ما تبطن).

- دي نقرة ودي نقرة (ويقال أيضا لمن يفعل الشر والخير معا).

والمصري من محصلة ما سبق نجده يضطر للنفاق، أو يمارسه وكأنه مجبر عليه - رغم أن أمثاله الشعبية تحبذه كحل لما يلاقيه - فهو غالبا محتاج أو فقير، أو ليس أمامه اختيار، فهو مجبر، ومسير، وغريق وجائع، وواقع تحت ضغوط، أو بين نارين، وتأكيدا لذلك تقول الأمثال في الاضطرار الذي يقود إلي تصرف لا ترضاه نفس المصري الأبية:

- المضطر يركب الصعب.

- قال إيه رماك علي المر.. قال إللي أمر منه.

- الضرورة لها أحكام (للضرورة أحكام).

- الضرورات تبيح المحظورات (قاعدة فقهية متداولة).

- الجوع كافر.

- ما باليد حيلة.

- الغريق بيتعلق بقشاية.

- علشان بطنه حلقوا دقنه (أي أهين ورضي لفقره).

- آدي السماء وآدي الأرض.

- اللوح قال للمسمار، انت قلقتني، قال المسمار، لو كنت تعرف الدق اللي علي راسي كنت عذرتني!

- قال : ياللي أبوك مات من الجوع، قال: هو كان لقي أكل ولا أكلش (اضطرارا فلا داعي للشماتة).

- ماله الدست بيغلي؟ قال: من كثرة ناره.

- يرضي ورجله فوق رقبته.

والمصري الذي يعترف باضطراره الذي يلجئه إلي مايكره، وإلي الصعب، وإلي الرضوخ للإهانة، أو ممارسة النفاق، أو الإلحاح، أو التعلق بالواهي من الأمور، نجده يسخر في أمثال أخري ممن يتحايلون علي اضطرارهم بالصلاة والصوم كشكل من أشكال النفاق الي أن يزول العوز، أو اللجوء إلي الله وقت الضيق والغرق فقط:

- زي المراكبية مايفتكروش ربنا إلا وقت الغرق.

- مايعرفش ربنا إلا وقت زنقة.

- من صلي وصام لأمر كان. فإذا قضي الأمر لاصلي ولا صام (عربي متداول).

والمصري الذي يصبر ويداهن وينافق أمام الاضطرار أحيانا، تجده نادرا مايثور.. بل ويعبر عما يقع عليه من قهر بالكلام، أو بالبكاء، أو

بالتحسر أو الشكوي قائلا:

- حاجة تخلي الأخرس ينطق.
- طفح الكيل (أي بلغ السيل الزبي).
- كتر الحزن يعلم البكا.
- هم يضحك.. وهم يبكي.
- اشكي لي وأنا أبكي لك.
- الأيام الزفت فايدتها نوم (كوسيلة هروب من القهر).
- انسي الهم ينساك (التسرية والنسيان كحل).
- بعد الكثير وبعد ما كنا صار القليل يجبر خواطرنا (تحسر).

هذا ويدخل في إطار «طيبة» المصري واستسلامه لمقاديره، ورضاه بالمقسوم له، انه غالبا لايحاول تغيير واقعه، أو الثورة عليه، بل يعتبره نوعا من الهم والحزن والكدر الذي يصيبه، فيستسلم له متحسرا، ومكتفيا بالقبول الخانع بالهم والغم، واتخاذ ذرائع هروبية كالتحسر أو الضحك أو التشاكي، أو التصبر بأن ما أصابه مصاب عام، أو الاكتفاء بأن «يدق الهم وينخله» أو «يقلب ويعاير» أو يسلي الهم «بزبيبة» أو بنوع من المخدر - المشتق من زهرة الأفيون - ومن الأمثلة علي ذلك القبول للهموم:

- بجملة الهم ياعم (استزادة وتقبل).

- يدق الهم وينخله.

- قاعد يقلب ويعاير.

- هم مايتلم (مجرد توصيف لكثرة الهم).

- إللي فينا مكفينا.

- شر البلية مايضحك (عربي متدأول).

- هم يضحك وهم يبكّي.

- ضيع الهم بزبيبة.

- إن كترت عليك الهموم أرقد نوم.

- أترك الهم ينساك، تلقي سعدك وتنسي اساك.

- أشكي لمين وكل الناس مجاريح.

- الهم في الدنيا كتير بس مفرق.

- الضحك علي الشفاتير والقلب يصبغ مناديل.

- الوش مزين ، والقلب حزين .

- متعيطوش علي فخاركم ده له زي أعماركم.

- وقوع البلا ولا انتظاره.

- قضيت العمر في قهر، قال، هو العمر فيه كام شهر (دعوة للفرح).

- ما شيلتك يادمعتي الا لشدتي (اللجوء للبكاء كحل).

هذا ويتصور المصري - كما يتضح من أمثاله - أن الهم أو القهر والكدر مكتوب عليه، يسعي له، ويختاره دون سواه، وكعادته يسخر من ذلك سخرية لاذعة، ويصور ذلك بصور غاية في البلاغة ودقة التصوير.. واستشهادا علي ذلك بالأمثال يقول المصري:

- جت الحزينة تفرح .. مالقيتلهاش مطرح.
- قلوب عليها دروب، وقلوب من الهم تدوب.
- من يوم ما ولدوني في الهم حطوني.
- مشفتش يوم أحكي عليه (أي يوم سعيد في العمر كله).
- رضينا بالهم، والهم مرضيش بينا.
- يافرحة ما تمت.. خدها الغراب وطار.
- نص الفطره خروب (أي حتي الشيء المفرح نصفه لا قيمة له).
- كل هم في البلد بيجي عندي ويتسند.
- بيدور علي النكد بمنكاش (يقال عن الشخص النكدي).

والمصري الذي لم تفسده النعمة، والذي طالما عاني الفقر واليتم، وعدم الاستطاعة والعجز والعوز، أو ما يسميه العذر والضيق، نجده يتخذ من هذه الأمور المذلة القاهرة مادة لسخريته المعتادة.. بوصفها أول سماته النفسية - فهو رغم غلبة الفقر - يسخر في أمثاله من الفقراء، ويقرر لهم نصيبهم من الدنيا، الذي يجب ألا يتطاولوا ويطمحوا

إلي أكثر منه.. بل وضع صورا لتعجب الناس من الفقراء، إذا ما كانت يدهم العليا، أو حاولوا التشبه بالأغنياء، أو التمثيل بهم، وفي كل ذلك تقول الأمثال في الفقر واليتم:

- الفقير ريحته وحشة.

- لو كان الاسم بيتشري كان الفلاح سمي ابنه (خري).

- طول ما أنا علي الحصيرة لا شايف طويلة ولاقصيرة (أي طالما فقير فلن يجد عروسا).

- إذا دخل الفقر من الباب خرج الحب من الشباك (فالفقر طارد للحب).

- اللي مايكون سعده من جدوده يالطمه علي خدوده (اي الغني يأتي بالإرث وليس بالسعي).

- طلب الغني شقفه، كسر الفقير زيره، جته داهية ما أقل تدبيره.

- علشان كبابك، أكب انا عدسي.

- إذا شفت الفقير بيجري اعرف انه بيقضي حاجة للغني.

- العايز أهبل.

- دلع الفقاري يفقع المرارة.

- الغني شكته شوكة بقت البلد في دوكة، والفقير قرصه تعبان قالوا اسكتوا بلا كلام.

- الغني غنوا له، والفقير منين تروحوا له.

- غني مات جروا الحبر (★) . فقير مات مافيش خير.

- الفقير لا يتهادي ولا يدادي ، ولاتقوم له في الشرع شهادة.

- الكرشة عند المقلين زفر.

- الكسبة عند الفقراء حلاوة.

- قال مامزكي حالك يبكي.

- إن عاشوا كلوا الديدان، وإن ماتوا مايلاقوا أكفان.

- حلم القطط كله فيران (يقال عن المحرومين).

- خنوا من فقرهم حطوا علي غناهم.

- أنضف من الصيني بعد غسيله (كناية عن الفلس).

- قالوا ، ياجحا عد غنماتك، قال، واحدة قايمة وواحدة نايمة.

- الجعان بيحلم بسوق العيش.

- سألوا الجعان، واحد × واحد بكام، قال ، برغيف عيش.

- محدش بيموت من الجوع.

- محدش بيبات جعان (أو من غير عشا.. وتلك حقيقة في مصر نظرا للتكافل).

- ابن مين اللي محمول؟! ابن اللي عندها ماكول، وابن مين اللي ماشي؟! ابن اللى معندهاشي.

(★) جمع حبرة أى ملاءة أو عباية.

– غني كل حية قالوا، من حكمته، واذا أكلها الفقير قالوا، من حموريته.

– الفقير قال للفار كل الورق، قالوا كداب ده كلام! الغني قال، للفار كل الذهب، قالوا، تمام أو ده الكلام.

– يتعلم الحجامة في روس اليتامي.

– متعلمش اليتيم بكي.

– الكحكة في أيد اليتيم عجبه.

ومن خلاصة ما سبق من أمثال (٣٢ مثلا) يتضح لها مدي سخرية المصري من المجتمع الذي يحابي الغني علي الفقير، وينصره ، ويصدقه في مقابل تكذيب الفقير ، وعدم مبادلته الهدايا ، وعدم الاعتراف بشهادته ، والتهكم علي مجرد تشبهه بالغني في التصدق والزكاة والتدلل، فدلالهم غير مقبول ، ومحاولتهم المساعدة تفسر علي أنه قلة تدبير وسفه ، فليس من حق الفقير وفقا للمثل الشعبي المصري التطلع، أو حتي التسمي بأسماء جميلة .. وهو محتقر في كل أحواله ، إذا عاش، وإذا مات ، وإذا طلب الزواج بطويلة أو قصيرة ، وهو موضع سخرية حتي في أحلامه، وحتي الكحكة في يده عجبه، وإذا أكل كرشة أو حتي كسبه فهو موضع سخرية، اذا مارضي بها وفرح.

كل ذلك رغم ان الغالبية العظمي من الشعب المصري فقراء، نظرا

لما عاشه المجتمع المصري من عصور اقطاع طويلة.. ولما يتنادى به الناس من أن الله خلقهم طبقات - وقد تعرضنا سلفا لنظرة المصري للطبقات والمقامات وسخريته ممن يتطاول ويتطلع إلي غير طبقته - وهذا أمر ليس بمستغرب علي المصري ذي الشخصية المركبة، التي تتضمن النقيضين معا.. فالمصري الأسمر الجميل الأصيل يسخر من سمرته ويتنكر لها - وهذا ماسنتعرض له فيما بعد حينما نتناول نظرة المصري للقيم الجمالية، وتقويمه للجمال والقبح وهو ليس موضوعنا الآن علي أي حال.. لكننا نذكره فقط للتشبيه الي أن يأتي أوان الحديث عنه - المهم ان المصري يحاول من خلال عدد ضئيل من أمثاله الشعبية أن يعرف الفقر تعريفا لا يقصره علي مجرد الفقر في المال.. بل يسمو بنفس الفقير، ويري أنها نفس غنية، وأن الفقر غربة، ويري أنه حشمة، حيث لايحرض الناس علي الترف ومايجره من تبذل.. وأن الفقير دائما حمله أخف، ولا يوجد ما ينغص عليه عيشته أو يقلقه، وتقول هذه القلة من الأمثال:

- سيدي ما أخفه لا في ايده ولا في طرفه.
- العريان في القافلة مرتاح.
- فقر بلا دين هو الغني الكامل.
- الفقر حشمة والعز بهدلة.

- الفقر مش عيب، ما عيب الا العيب.
- فقر المرء في وطنه غربة.
- غني المرء في الغربة وطن.
- الغني غني النفس (غني النفس هو الغني الكامل).
- الله الغني (تقال في الاستغناء والقناعة).
- إن مال عليك الزمان ميل علي دراعك.

وبذلك نري ان المثل الشعبي يرسم للفقير طريق الخلاص من الفقر بالعمل ، لكن ذلك يأتي في مثل واحد فقط.. ويري أن غني النفس والاستغناء سبيل أخر للخلاص من الفقر، ويري المثل العامي ان «الفقر مش عيب» وان الاكتفاء غني، طالما غير مصحوب بدين يذل بالنهار ويهم بالليل .. ومع ذلك يتواتر علي ألسنة العامة في مصر المأثور العربي القائل:

- لو كان الفقر رجلا لقتلته.

ويدعو المصري الله أن يعطيه ويغنيه بعبارة دراجة علي ألسنة العامة تقول:

- إللي عطاك يعطينا يابا.

وحول عدم الاستطاعة والعذر والعوز يواسي المثل المصري.

إذا ما وصل أمر العجز عن الوفاء إلي حد الاستحالة - يواسي المحتاجين وغير القادرين قائلا:

- العين بصيرة والايد قصيرة.

- حيلة العاجز دموعه.

- العاجز في التدبير يحيل علي المقادير.

- يعني أضرب الأرض تطلع بطيخ.

- نقول، تور، يقولوا احلبوه (كناية عن الاستحالة).

- عشم ابليس في الجنة (كناية عن الاستحالة).

ويقال أيضا في عدم الاستطاعة (أو العجز) من حيث قلة الحيلة، أو قلة القدرة والمهارة.

- هو أنا مكفن وضامن جنة (أي أعمل ما علي والنتائج علي الله).

- قالوا للجمل زمر قال: ياربيت، لاصوابعي مبرومة ولا شفايفي مضمومة (ويقولها الفقير عند عدم الاستطاعة).

هذا ويتفكه المثل المصري علي العذر والعوز فيقول:

- ما كانش انعذر ولاباع جزر.

- ماكانش ينعز (إن وجد).

- قال، إيش غرض الأعمي. قال،، قفة عيون.

- الحوجة مرة.

- المحتاجة غناجة (أي مضطرة).

- إيش ياخد الريح من البلاط (كناية عن الافلاس).

- كلمة بكرة زرعوها مطلعتش (وتقال عند تسويف المدين).
- شدة وتزول (وتقال كتسرية عند الضائقة وفي المرض).
- الشكوي لأهل بصيره عيب.
- علي لساني ولا تنساني (تقال في السؤال وفي الضيافة أيضا)!
- شحات يكره شحات، وصاحب البيت يكره الاتنين.
- شحات يشحت من شحات تطلع له في.. حسنة.
- التاجر لما يفلس يدور في دفاتره القديمة (ويقال الخواجة لما..)!

وبعيدا عن هذا المفهوم للطيبة بمعني الاستكانة، والفقر والمسكنة، والعوز، والحاجة التي تجبر المرء علي أن يكون طيبا، لاحتياجه للآخرين، نجد أن «الطيبة» المصرية لها مفاهيم أخري ترتبط بسلوك المواطن المصري، من حيث تعاونه وتكافله مع الآخرين. ومن حيث كرمه وحسن ضيافته، ومن حيث كراهيته للانسان السيء الخلق، ونبذة السخرية منه، والتمسك بعادات وخصال حسنة في مقدمتها الصدق والأمانة وعدم التدخل فيما لايخصه، وهنا سنورد ما أطلق المصري من أمثال تؤكد ما ذهبنا اليه.. وفي مقدمة ذلك ما قالته الأمثال عن العمل الطيب والاحسان.. وكراهة الشر كوجه من أوجه الطيبة المصرية :

- الطيب أحسن.
- اعمل خير وارميه البحر (وتقال اعمل المعروف أو الطيب..).

- اصنع (أو اعمل) المعروف في أهله وغير أهله.
- الساعي فى الخير كفاعله (أو الجاري).
- الباني طالع والفاحت نازل.
- الحلم سيد الأخلاق.
- سلامة الانسان في حلاوة اللسان.
- ان عملت خير ماتشاور.
- خير البر عاجله.
- الخير يخير والشر يغير.
- زيادة الخير خيرين.
- سلامة في خير وخير في سلامة (تقال كبداية للحديث أيضا).
- مابين الخيرين حساب.
- الدنيا لسه بخير.
- اللي عند الله مايضعش (من العمل الطيب والاحسان).
- اللي تزرعه تقعله أو تضمه (لان الطيب جزاؤه الطيب).
- كل واحد بياخذ علي قد نيته (لأن الطيب جزاؤه الطيب).
- إنما الاعمال بالنيات (فمجرد نية الخير تحسب).
- ربك رب قلوب.
- بير تشرب منه ماترميش فيه حجر.

- اصلح (أو اخلص) النية، ونام في البرية (يقابله لقد حكمت فعدلت فنمت آمنا ياعمر).

وإذا كانت هذه هي حصيلة الأمثال الداعية الي الخير (٢٠ مثلا) وعمل الطيب والاحسان، وخلوص النوايا، وذلك مايطالب به المثل ويحبذه، ويؤكد انه بالضرورة مردود علي فاعله بالخير والطمأنينة، وأن الخير عند الله ولن يضيع، وسيجازي الله عنه.. وحتي وإن كان مجرد نية وسعي وليس فعلا حقيقيا ، ويري المثل ضرورة الاستزادة من الخير، وعدم المشورة فيه بل التعجيل به، كما يري انه ليس بين الخيرين حساب، وأن علي المرء فعل الخير وعدم انتظار الأجر والثواب.. بل إلقاؤه في البحر.. وإن علي الانسان فعل الخير في أهله وغير أهله.. وإن كانت بعض الأمثال علي قلتها (٥ أمثال فقط) تحذر ممن نحسن اليهم، وتؤكد علي فعل الخير فيمن يستحقونه فقط، وكنموذج لذلك الأمثال القائلة:

- اتق شر من أحسنت اليه (مما جاء في الأثر).

- اطعم مطعوم ولاتطعم محروم.

- إن أنت أكرمت الكريم ملكته وان اكرمت اللئيم تمرد (عربي متداول).

- خير ماعملنا والشر جانا منين؟! (خير تعمل شر تلقي).

واستكمالا لحديث الخير والشر، ورؤية المصري لهما من خلال أمثاله.. نتعرض كوجه آخر لحب المصري «الطيب» للخير وفعله، ونبذه للشر وتصويره هو وفاعليه بصور كريهة غير محببة، تحبذ عمل الخير أيضا، وتؤكد ما ذهبنا اليه سلفا عن طيبة المصريين، فالأمثال تقول عن «الشر»:

– ابعد عن الشر وغني له (ويقال قنى له.. اي اجعل بينك وبينه قناية).

– إن كان بينك وبين الشر جسر اقطعه قبل مايعدي لك.

– الجاري في الشر ندمان (أو فاعل الشر ندمان).

– طباخ السم لابد يدوقه.

– يافاحت البير ومغطيه لابد من وقوعك فيه.

– من حفر حفرة لأخيه وقع فيها (عربي متدأول).

– من شاف الشر ودخل عليه يستاهل ما يجري عليه.

– اللي يعفر تعافير بتيجي علي دماغه.

– شرارة تحرق الحارة.

– طوبة علي طوبلة تخلي العركة منصوبة.

– كل واحد له شيطان.

– اللي ما فيه الخير تركه أخير.

- تضرب القطة تخربشك (وتقال كلم القط أو دوس علي ديل القط..).

- دارت الدورة عليك ياعورة.

- وقع في شر أعماله.

- الشر إن بات فات (فيه دعوة لعدم إذكاء الشر).

- قالوا للغراب، ليه بتسرق الصابون؟ قال: الأزية طبع.

- مات قتيل، وساب فتيل (أي عواقب الشر تبقي حتي بعد انقضائه.

- أبوك ما هو أبوك، أخوك ما هو أخوك (أي وقت الشر لا حرمة ولا أبوة ولا أخوة).

- صباح الخير ياعورة.. قالت: ده شر بايت.

- قال: صباح الخير ياعورة.. ده باب شر.

- فضي ابليس لقلع الديس (أي النبات).

- لامنه ولا كفاية شره (تقال عن المؤذي).

- ما اسخم من ستي الا سيدي (أي كلاهما أسوأ من الآخر).

- قال: اديني تقأوي البلأوي، قال كلمتين فارغين.

- الباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح.

- باب مردود شر مطرود.

وعلي كثرة هذه الأمثال (٢٦ مثلا) النابذة للشر وفاعليه، نجد بعض الأمثال التي تعرف الشر وتوصفه، وتراه في اشياء أخري كثيرة غير الأذي المباشر، مثل تعطيل مصالح الناس أو تعقيد الأمور، وتري الأمثال صورا مختلفة لما يمكن ادراجه تحت بند الأعمال الشريرة مثل:

- شنق ولا خنق.. قال.. كله في الرقبة.
- حطوا العقدة في المنشار (لتعقيد الأمور).
- يوقف المراكب السايرة (اي يعطل المصالح).
- زي عفاريت القيالة ميتهدوش (استمرار الشر).
- ولاد الحرام كتير (كناية عن كثرة الأشرار).
- لايرحم ولايسيب رحمة ربنا تنزل (أي أن منع الخير لون من الشر)
- خربها وقعد علي تلها.
- يحجج الجمل والبردعة، ويروح بذنب ويبجي بأربعة (أي لايتوب عن الشر).
- إبليس ما يخربش بيته.

هذا ويستعيذ المصري من الشر وفاعليه بالعديد من العبارات الشعبية التي صارت مثلا، وتواترت علي الألسنة مثل:

- حوالينا ولا علينا (وتقال أيضا لا حوالينا.. درءا للشر).

- فالكوا في داركوا (حينما يتلفظ بوقوع الشر).
- يادار ما دخلك شر.
- ياقاعدين يكفيكوا شر الجايين.

وبين الشر والأذي وفاعليه وبين سوء الخلق بوجوهه المختلفة ارتباط وثيق، قالت عنه الأمثال الشعبية المصرية الكثير.. مما يعكس مفهوم المصري غير القاصر للشر وسوء الخلق، إذ يري ذلك في طول اللسان أو مايسميه «القباحة» أو العيب ويراه في النذالة والفتنة، والنميمة، والعار، والزنا، والهروب من الحق، والرزالة وسوء الحديث، وسب الآخرين أو ضربهم، وعمل السحر والأعمال، كل ذلك يري فيه المثل المصري سوء خلق، لابد من البعد عنه واجتنابه، مما يدل علي مدي «طيبة» المصري وحبه للخير.. كما يتضح مما يلي:

- زي الفجر يقبح ويصبح.
- يارايح كتر من القبايح.
- العيب لو طلع من أهل العيب ميبقاش عيب.
- كل إناء بما فيه ينضح (عربي متدأول).
- لا إحسان ولا حلاوة لسان.
- لا ود، ولا حديث بلد.
- ياكل ويشرب ووقت الحاجة (أو الدفع) يهرب.

- الندالة لها ناس.

- عند الضيق لا أخ ولا صديق.

- عويل شتم أصيل نهار نادي!! (إذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الدليل علي أني كامل).

- ضربني وبكي وسبقني واشتكي.

- الاسم لطوبة والفعل لأمشير.

- ان عضنى الكلب ماليش ناب أعضه، وان سبني الندل ماليش لسان اسبه.

- الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها (عربي متدأول).

- الفتنة أشد من القتل (حديث متدأول).

- زي مايقول لك يقول عليك (يقال عن النمام).

- العار أطول من العمر.

- الزاني ما يأمن علي مراته.

- الجيد ينتخي، والندل لا.

- تفوا علي وش الرزيل قال دي مطره.

- قال ياأبويا علمني الرزالة، قال ، ياابني اللي تقوله عيده.

- قال ياأبويا علمني الرزالة، قال تعال في الهايفة واتصدر.

- روحي ياساحرة لا نابيك دنيا ولا آخرة.

- البحر ماينفد فيه السحر.

- أول الرقص حنجلة.

- زي حداد الكفار حياته وموته في النار.

- زي اليهود وش نضيف . وجبه زي الكنيف (تقال أيضا في المراءة).

- زي ترب اليهود بياض علي قلة (تقال أيضا في المراءة).

- زي فقر اليهود لا دنيا ولا آخرة.

- دموع الفواجر حواضر (تقال عن الكهانة لدي سيء الخلق).

- أقل بصلة تنزل الدمعة.

- إيش افتكر لك يابصلة مع كل عضة دمعة.

- الحداية الشكاية، النعاقة البكاية، الرغاية النمامة، العيابة الفتانة قطع لسانها من اللغلوغ.

هذا ومن المسالب والمعايب التي ينبذها المثل المصري «الكذب والادعاء» والحنث في الوعد وعدم الحفاظ علي الكلمة، خاصة كلام الرجال، اذ يكفي المصري أن يقول: «كلام رجاله» حتي يكون ما يعد به كلمة صدق لا رجعة فيها.

ويفرق المثل المصري بين ألوان الكذب المختلفة ويسميها «الفشر» و«النتش» و«الجخ» ويضع ضوابط لمعرفة كل نوع من أنواع الكذب،

ويصور ذلك بأسلوب غاية في الدقة وخفة الظل معا، كما يعد الكذاب بأشد العقاب، حينما يكتشف كذبه، ومن أمثلة ذلك:

- الكذب خيبة.
- الصدق منجي (أو منجي).
- بيت النتاش مايعلاش.
- كلام الليل مدهون بزبدة يطلع عليه النهار يسيح.
- الحداية مبتحدفش كتاكيت.
- «علوق»» عمنول عملوا غفرة السنة.
- تحلف لي أصدقك، أشوف أمورك استعجب.
- علي وشك يبان يا مدا غ اللبان.
- قالوا للحرامي، احلف، قال، جالك الفرج.
- حلفوا القاتل، قال «جالك الفرج ياقليط.» .
- قالوا لحرامي الدقيق، احلف ، قال ، يامري انخلي.
- الراجل (أو بني آدم) يتربط من لسانه، والبهيم من ودانه.
- البهيم من ودنه وبني آدم من لسانه.
- المايه تكذب الغطاس.
- خليك وراء الكداب لحد الباب.
- قالوا، الجمل طلع النخلة.. آدي الجمل وآدي الجمال (أو وآدي النخلة).

- إيش عرفك إنها كدبة، قال، كبرها.

- البطيخة القرعة لبها كثير.

- اللي علي البر عوام (أي له أن يدعي أي شيء).

- الكذب مالوش رجلين.

- كدب مسأوي ولاصدق مبعزق.

- قاعد علي نخ وعمال يبخ (أي قاعد علي حصير ويتفاخر كذبا).

- فين عزمك يافشار آدي السيف وأدي صاحب التار.

- لولا شالوني من تحته كنت قتلته.

- صاحب بالين كداب، وصاحب ثلاثة منافق.

- إن قال لك، الحرامي علي الباب، نام وطرطر رجليك (لأنه كاذب).

- عشـمتني بالحلق خرمت أنا وداني، لاجبت انت الحلق ولا نبني أنا وداني.

- حبر علي ورق (أي وعد كاذب واتفاق لاقيمة له).

- وعد الحر دين عليه.

- إذا كنت كذوبا فكن ذكورا (عربي متدأول).

- إن كنت كداب افتكر.

- اللي يكدب نهار الوقفة يسود وشه نهار العيد (أي لابد أن ينفضح امره).

- ماينوب الكداب الا سواد وشه (جزاء الكذب).
- زى قاية اليهود تلتينها كدب .
- أكذب من مسيلمة (عربي متدأول).
- أفلح إن صدق (حديث متدأول).
- عينك ماتغشك (أي أصدق من الكلام).
- شفت بعيني محدش قال لي (أي صدق وليس شائعة).
- ربك وصاحبك لاتكذب.

كل ما سبق ذكره من أمثال (٣٨ مثلا) يتضح لنا مدي احتقار المصري للكذب بكل أنواعه - الجخ والنتش والفشر والكذب الصريح وخلف الوعد - وكيف يضع أسلوبا لكشف الكذب بالمواجهة «أدي الجمل وأدي الجمال»، وبالوصول بالكداب الي باب الدار.. الي غير ذلك من تشبيهات وصور بليغة ودقيقة في التصوير ومتنوعة أيضا.. كما يؤكد أن مصير الكذاب دائما افتضاح امره، واحراجه الي حد إلي أن يسود وجهه، وليس فقط أن يحمر خجلا..

ومن الأمور الأخري التي تؤكد سمة «طيب» بمعني طيبة القلب وعدم المكر أو الخبث والتخابث، ما تقوله الأمثال الشعبية المصرية عن الخبثاء ومن يظهرون غير ما يبطنون، ويكسبون سمعة طيبة بالإدعاء والكذب و«الخبث» الذي تصوره الأمثال قائلة:

- يقتل القتيل ويمشي في جنازته.
- ضربني وبكي وسبقني واشتكي.
- يخانقني في زفة ويصالحني في عطفة.
- اللي تحسبه موسي يطلع فرعون.
- زي العقربة يقرص ويلبد (قرصتها والقبر).
- يعرف ألكفت فين!
- يبلعب بالبيضة والحجر.
- يوديك البحر ويرجعك عطشان.
- يعرف من أين تؤكل الكتف (عربي متدأول).
- من دقنه ويفتل له حبل (من دقنه وافتل له).
- تحت الدفة قرود ملتفة (شامي متدأول).
- ياما تحت السواهي دواهي.
- ياما في الجراب ياحاوي.
- فم يسبح ويد تدبح.
- ماية من تحت تبن (اي غير ظاهرة).
- يدي باليمين وياخد بالشمال.
- راح يخطبها له اتجوزها.
- زي ولاد بلبيس يبيعوا العيش ويشحتوه.

– يلهي الوز بالغرق.

– يلهي الكلب بعضمة.

– الفار وقع من السقف، القط قاله ، اسم الله عليك.

وكما توصف الأمثال «المكر والخبث» تحذر منهما أيضا، وتضع صفات كي نعرف صاحبهما، أو من يتصف بهما.. وتضع لنا قواعد وعبارات مأثورة نقولها لكشف الماكرين، وايقافهم عن التخابث، وفي التحذير قالت الأمثال:

– كل قصير مكير وكل طويل هبيل.

– احذروا كل من اقترب من الأرض (أي قصار القامة).

– قبطي بلا مكر سجرة بلا طرح (أو بلا تمر).

أما عن أساليب مواجهة الخبث فتقول فيها الأمثال:

– مبروم علي مبروم ميفتلش.

– بهلوان علي بهلوان ميلعبش.

– اتغذي بيه قبل مايتعشي بيك.

– بتبيع الماية في حارة السقايين (يقال للخبيث حينما يتذاكي علي الأذكياء).

– ستي لئيمة، وانا ألأم منها.. تعد اللحمة وانا اقطع منها (أو اقطم منها).

والمصري «الطيب» خجول ، يتستر اذا أخطأ، وهو حذر يخاف ويحذر أمور كثيرة - ستتضح فيما يلي - ويتأرجح المثل المصري بين تحبيذ الخجل والتستر. واعتبار الستر من عند الله - فهو الستار - وبين تحفيز الناس علي عدم الخجل، وتتأرجح الأمثال المصرية ، التي سنذكرها لنوضح ميل المصري الي أي الجانبين، إذ تقول الأمثال المحبذة للخجل والتستر أو طلب الستر:

- إذا بليتم فاستتروا (عربى متداول) .
- ربنا أمر بالستر .
- إن الله حليم ستار (تقال لمن يفضح الآخرين حتى يسكت) .
- الليل ستار (ويستكمل أحيانا والنهار له عينين) .
- اللى ما يستحى يفعل ما يشتهى (ذا لم تستح فافعل ما شئت) .
- اللى يستره ربه ما يفضحوش مخلوق .
- خلى الطابق مستور !
- الستار موجود (أو ربنا ستار) .
- دارى يا سترة عارى .

وعن طلب الستر أو الدعوة بالستر يقول المصرى فى أمثاله أو مأثوراته أو أدعيته :

- يا أرض انشقى وابلعينى .
- قول يا حيط دارينى .

- عينى منكم فى الأرض .

- يارب استرها دنيا وآخره .

أما عن توصيف الخجل والستر ومن يخجلون فيقول فيهم المثل المصرى :

- إطعم الفم تستحى العين

- بقيت فى نص هدومى (كناية عن الخجل)

- اسود وشة (من الخجل) .

- قلعت برقع الحيا ! (أى أصبحت لا تخجل) .

- ماله رايح وعرضه فايح (أى غير مستور)

- ناس تخاف ما تختشيش !! (تعجب ممن لا يخجلون) .

كل ذلك (٢٠ مثلا) يحسب للمصرى كإنسان خجول مهذب ، يسعى لستر أخطاءه . أما الأمثال الداعية لعكس ذلك ، تمثل لونا من الاستهتار والمجون ، أو ما يسميه المصرى «الاستبياع» ، وكنموذج لها :

- اللى ينكسف من بنت عمه ميجبش منها عيال .

- اللى اختشوا ماتوا (وتقال أيضا فى التعجب ممن لا يخجلون) .

- المكسوفة تغطى وشها بمنخل .

- اللى بيزمر ميخبيش دقنه (أو ميغطيش دقنه) .

- البلد إللى محدش يعرفك فيها شلح وإجرى فيها .

والمصرى الخجول مهذب ، يخجل أن تمتد له يد فيردها خالية ، ويلجأ إلى الاعذار والحجج ؛ حتى لا يواجه أحد بالرفض ؛ وحتى لو كان ذلك للصلاة ، وحتى لو أتى اعتذاره أحيانا أقبح من الذنب الذى اقترفه أو العذر الذى يبديه لسائله .. وكنموذج لذلك ولما ورد فى هـذا الصدد من أمثال :

– بركة يا جامع اللى جت منك ولا جتش منى (قالها من وجد المسجد مغلقا) .

– اللى مش عايزة تسلف جارتها الحـبل تقول ، ناشرة عليه الدقيـق .

– عذر أقبح من ذنب .

– إيش حآيشك عن الرقص قال : قصر الاكمام .

– من قلة مفيش .

– احتاجوا اليهودى قال : اليوم عيدى .

وسيتضح تهذيب المصرى وطيبته أكثر حينما نتناول قضية الكرم والضيافة ، والتعاون والتكافل المصرى ذو الطابع الخاص جدا .

هذا ويعتبر المصرى «طيب» بمفهوم آخر هو أنه «مستكين» يخاف من أشياء كثيرة ، ويحذر فى كل خطوة يخطوها ، ومن كل شئ يقدم عليه ؛ ويرى فى ذلك سلامته وقد يرى البعض أن سمة الحذر والخوف

نوع من عدم الإقدام والجبن ، وأنه أمر لا علاقة له بالطيبة .. لكنى أرى أنها سمة فرعية تنبثق أيضا عن سمة «طيب» بوصفها نوع من عدم التجبر أو الشعور المتضخم بالقدرة والقوة ، تجعل المصرى حذر فى كل شئ ، وإن عبر المثل الشعبى - كالعادة - عن وجهتى نظر فيما يختص «بالحذر والخوف» ، إذ تقول الأمثال المحبذة لهما والتى تحرض على عدم المجازفة . والحفاظ على العمر وعلى السلامة :

- امشى سنة ولا تخطى قنا .
- امشى يوم ولا تطلع كوم .
- من خاف سلم .
- العمر مش بعزقة .
- لا تلقى بنفسك إلى التهلكة (عربى متداول)
- اللى يتلسع من الشوربة ينفخ فى الزبادى .
- اللى تلدعة الحية يخاف من الحبل (وتقال اللى مقروص من التعبان يخاف من الحبل) .
- اللى تقرصه الحية من ديلها يخاف .
- الاحتياط (أو الاحتراس) واجب .
- اللى ما يخاف من الله خاف منه .
- الباب المقفول يرد القضا المستعجل (تقال أيضا الباب المترجل يحوش ..)

- الباب اللى يجى لك منه الريح سده واستريح (مكرر ويقال فى معنى الحذر والبعد عن مواطنْ الحظر) .

- جحا طلع النخلة خد بلغته معاه (على سبيل الاحتياط والحذر).

- مش كل مرة تسلم الجرة .

- لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (عربى متداول) .

- دخول الحمام مش زى خروجه (أو طلوعه) .

- أربط الحمار مطرح ما يقول صاحبه (ليس طاعة ولكن حيطة وحذر من تحمل المسئولية) .

- قبل ما تفصل قيس (أى اعمل حسابك واحتاط) .

- حرص ولا تخون .

- حط رأسك بين الروس تسـلم (دعـوة للتجمع وعدم الانفراد تحسبا) .

- اشـترى وما تبيعش (فى الكلام اسمع ولا تقول حذرا كى لا تلام) .

- ماتبيعش رخيص ، قال : متوصيش حريص

- قال «مالك مرعوبة ؟ قالت : من ديك النوبة .

- يبقى ابنى على كتفى ، وأجرى أدور عليه (يقولها الحذر لكى لا يفرط فى شئ) .

- اضرب المربوط يخاف السايب .

- اضرب البرئ يخاف الفاعل .

- حطها حلقة فى ودنك (أى احذر وتعلم الدرس) .

- أكنس بيتك ورشه ، ما تعرف مين يخشه (أى احذر واستعد) .

- اللى تقول عليه موسى تلتقيه فرعون (ضرورة الحيطة ورفض لحسن الظن بالناس) .

- احذر عدوك مرة ، واحذر صديقك ألف مرة .

- ابن الحرام مخلاش لابن الحلال حاجة (أى لابد من الحذر حتى من الطيبين) .

- اتقى شر من أحسنت إليه (مأثور متداول)

- اللى علــى رأسه بطحة بيحسس عليــها (خوفا من اكتشاف أمره) .

- مش كل الوقعات زلابية (أى احذر ولا تغتر) .

- متأمنش لأبو راس سوبة (أى الانسان) .

ويصف المثل الخوف والخائفين والحذرين قائلا :

- الخوف يرج الجوف .

- بيخاف من خياله .

- يكاد المريب يقول خذونى (عربى متداول)

- بيشك فى صوابعه (وصف أو تعبير وليس مثلا) .

ويؤكد ما ذهبت اليه .. وما ذهبت إليه الأمثال عن خوف المصريين قول عادل حمودة :

«وفى مخزون المصريين الحضارى خوف وحذر لا نهاية لهما من السلطة » .

«فهم أقدم محكومين على وجه الأرض وبهذه الأقدمية أصبح الحكام آلهة ، وفى عصور الانفراجة الديمقراطية كانوا أنصاف آلهة .. قالوا ، يا فرعون إيه فرعنك ؟ قال : ملقيتش حد يردنى » (١) .

أما عن الأمثال التى تحض على نبذ الخوف والحذر ، وتشجع المصرى على الإقدام والشجاعة ، والمواجهة ، خاصة إذا كان ما نخافه رئيس أو قوة أعلى ، أو ربما شخص لا نعرفه ، وقد يكون طيب لا خوف منه ، فسنجد هذه الأمثال تؤكد بأن الخوف لن يمنع القدر ، وأن من يخاف من شئ يستجلبه ، وأننا مهما تحسبنا لأمور فلن نتحسب لكل شئ ، فقد يظهر لنا ما لم يكن فى الحسبان ، وأنه لا داعى للخوف من أشياء مجهولة أو غيبية ، فالإنسان أولى أن يخشى من الإنسان ، وأنه كلما توكلنا ، وتصرفنا دون تدبير وحذر ، كلما كانت النتائج أفضل ، وكنموذج للأمثال التى تحمل هذه المعانى :

---

(١) النكتة السياسية .. كيف يسخر المصريون من حكامهم ، ص ٩٠ .

- إن غاب القط ألعب يا فار .
- إن قلت متخافش ، وإن خفت متقولش (أى واجه) .
- زى ما تكون لى أكون لك .. مانتش رب أخاف منك .
- اللى يخاف من العفريت يطلع له (أو من الديب) .
- ما عفريت إلا بنى أدم .
- اللى تخاف منه .. متلقاش أحسن منه .
- الحذر ما يمنعش قدر .
- حسبنا حساب الحية ، والعقربة ما كانت على البال .
- ابن الهبلة يعيش أكثر
- ابن الكبة طلع القبة ، ولاد اسم الله خدهم الله (نبذ للحذر) .

ومما سبق يتضح لنا أن الأمثال المصرية تحض على الحذر واتخاذ الحيطة بنسبة كبيرة (٣٤ : ١٠) قياسا بالأمثال التى تحرض على المواجهة ، وعدم الخوف ، أو توخى الحذر .. ذلك فيما عدا الأمثال المحايدة ، التى تصف الخوف والخوافين .. دون أن تميل إلى تحبيذ أو رفض كاتجاه .. وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من أن المصرى كاتجاه عام ميال إلى الحذر والخوف منه إلى الشجاعة والاقدام .. وهى سمة تحسب كجزء مكمل لطبيته ، وليست كسلبية فى شخصيته ، لأنه بحكم ظروفه شبه الدائمة ، المتراوحة بين فقر وقهر وتسلط مضطر للحذر .

ويرى دكتور يوسف ادريس أن المصرى من أكثر شعوب الأرض تعقلا ليس عن حكمة :

« إعمال عميق للتفكير ومقارنة بين الاحتمالات الكثيرة والحلول، ثم اختيار قائم على تفضيل الأحسن بالنسبة للشخص أو للشعب .. فنحن نتعقل أولا وبادئ ذى بدء معنى أننا بالتلقاء والسليقة نختار أقرب الحلول للسلامة وحفظ الذات والإفلات من الموقف ، ولو كان هذا على حساب النتيجة على المدى الطويل » (١) .

ويختلف د. إدريس مع ما ذهبت اليه استخلاصا من فلسفة المصرى الواضحة من خلال أمثاله ،، فهو يرى المصرى غير حذر .. لكنه يتصرف أمام الخطر بالتعامى عنه ، وكأنه يلغيه من الحقيقة دون ادراك له ، أو اتخاذ الاحتياطات اللازمة والكافية لتجنبه .. بل يرى أننا غالبا ما نلجأ «بفهلوة غريبة ، وباعتماد على ثقة مجهولة أن شيئا لن يمسنا ، نعرض أنفسنا للخطر . ونستغرب بعد هذا إذا أصابنا وكأن تلك القوى المجهولة نوع من الهروب من مواجهة الواقع » (٢) .. ورغم الخلاف فى وجهتى النظر فأنا أرى وفقا لما خلصت إليه من استقراء الأمثال أن المصرى حذر ولكن ليس جبانا .. فالخوف ليس سمة أصيلة فيه ، إذ نجده بالنسبة للأمور الايمانية لا يخاف ولا يحذر ، ولا يحطات .. بل غالبا ما

(١) د. يوسف ادريس عن عمد اسمع تسمع ص ٨٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٨٦ .

يتوكل على الله – كما سبق القول حينما تحدثنا عن السمة الأولى له وهى «متدين» – وكما سيأتى تفصيله ، حينما نتحدث عن الجوانب الاقتصادية من حياة المصرى المسرف الذى يميل إلى عدم الحذر فى الانفاق ، بل ويميل إلى التبذير والمبالغة ، إذ سنجده «يصرف ما فى الجيب» دون تحسب للأيام ، أو خوف من انقطاع الرزق الذى – قلنا أنه – يؤمن بأنه من عند الله .

هذا ونذكر استكمالا لسمة «طيب» ما ورد فى الامثال المصرية حول «القدرة والاقتدار » بكل معانيها ، لنوضح أن المصرى قد عبر عن فلسفته الخاصة – من خلال ما أطلق من أمثال – حيال أمور توضح طيبته ، وأنه إذا قدر عفى وتسامح ، وأن القادر بالنسبة له هو الله . وأن «العفو عند المقدرة» ... وأن الضعف أحيانا يكون مصدر قوة أو شكل من أشكالها .. وأن علامات الرجولة تبدو أحيانا فى النخوة والخضوع ، وسنجد بوجه عام أن الأمثال المتحدثة فى هذا الصدد قد انقسمت إلى مؤيد ومعارض لاستخدام القوة والاقتدار ، أو تجنب استخدامهما ، وهو ما سيتضح مما يلى من أمثال تحث على نبذ العنف أو استخدام القوة .. حتى لمن يملكها :

– يا بخت من قدر وعفى .

– العفو عند المقدرة .

- الضرب فى الميت حرام (أى الضعيف لأننا أقوى منه) .

- ما قوى إلا الله .

- إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس ، فتذكر قدرة الله عليك (عربى متداول) .

- حكم القوى على الضعيف (تقال كاستسلام للأقوى) .

- يوضع سره فى أضعف خلقه .

- الخضوع عندد الحاجة رجولية .

- اللى ما تقدر عليه حيل ربنا عليه .

- سلاح الضعيف الشكية (أو دموعه) .

- السبع سبع ولو فى قفص (يقولها المصرى اعتزازا بقوته وهو مقهور) .

- البحر ما يتعكرش من ترعة (يقولها المصرى استعلاء) .

- أسد علىَّ ، وفى الحروب نعامة (عربى متداول)

- حكمك غريمك إن ما طعته يضيمك .

- ما يقدر على القدرة الا الله (إلا الا اللى خلقها ، وتقال أيضا فى الاحتياج) .

وقبل الولوج إلى الامثال الداعية لاستخدام القوة .. والرد على الجبارين بالمثل ، ومقابلة القوة بالقوة .. نورد الامثال المحايدة ، التى

وصفت القوة ، دون أن تحبذها ، أو تحرض عليها . وإن ظهرت فيها الروح الساخرة للمصرى .. واستهزائه من الأقوياء احيانا ، أو وصفهم بالفجر ، والادعاء ، والاستقواء على الضعفاء فقط ، وهم فى حقيقة الأمر يخشون ويخافون من الأقوى منهم .. وفى كل ذلك تقول الأمثال :

– قادر وفاجر (وصف وتشبيه) .

– يقدر علي كل كبيرة ..

– قال يا فرعون مين فرعنك ؟ قال : ملقيتش اللى يرجعنى .

(فيه دعوة لمواجهة القوى حتى لا يطغى) .

– مقدرش على الحمار اتشطر عل البردعة .

– كل ذى عاهة جبار (مثل فيه تحذير منهم رغم ضعفهم البادى) .

– الفرس الهادية ينتف ديلها (فيه دعوة أيضا لنبذ الضعف) .

– اللى يربط فى رقبته حبل ألف من يسحبه (نبذ للاستضعاف) .

- اللى يوطى راسه يتركب (نبذ للاستضعاف) .

– الحيطة الواطية ينطوا عليها الكلاب .

– دبور زن على حجر مسن ، قال ، عايز إيه ؟ قال : عايز أحشك ، قال : أنا الحس الحديد (أى لا تواجه القوى) ،

– اللى يعمل ريس يجيب الريح من قرونه (أى من يتصدر للقيادة لابد أن يكون قادرا) .

- كلب ينبح ما يعضش .

- اللى له ظهر مينضربش على بطنه (أى المقتدر بعزوته لا يقدر عليه أحد) .

أما الامثال الداعية للمواجهة والقوة ، والتحايل بكل وسيلة للحصول على الغلبة ، والداعية للتعاون فيما بين الضعفاء ، لمواجهة القوة الغاشمة ، والمطالبة بعدم الرأفة أو الرحمة ، وتخليص الحق باليد ، وبإراقة الدم . فيقول :

- اللى تغلب به ألعب به .

- اللى ما يقدر عليه القدوم يقدر عليه المنشار (أى لابد من وسيلة لغلبة القوى) .

- القوى مالوش الا اللى أقوى منه .

- ونما على الأرض القوى مسيطر (عربى متداول)

- الكترة تغلب الشـجاعة (دعوة لتعاون الضعفاء لمواجهة الأقـوياء).

- اضرب الأعمى ، واكسر عصاه ، ما أنتش أعدل من ربه اللي عماه (بلا رحمة بأحد) .

- خلص حقك بايدك .

- اللى يرشك بالماية رشه بالدم (الانتقام وتخليص الحق) .

- اللى يدى لك كتفه أدى له ظهرك .

- اللى يحاديك حادية واجعل عيالك عبيده ، واللى يعاديك عادية ولو كانت روحك فى أيدو .

- العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم .

- الأيد اللى تتمد ولا تضربش تستاهل قطعها (أى أن الشروع والتهديد لا يكفيان) .

من كل ما سبق يتضح لنا أن المثل المصرى يحبذ عدم مواجهة القوى بالقوة بنسبة (١٥ : ١٢) والاستعانة بالله القوى ، للرد وتخليص الحق .. وإن كانت الامثال المحايدة يتضح من معناها أيضا رفض الاستضعاف والاستكانة مما يمكن اعتباره أيضا اسلوبا مصريا لمواجهة القوى الغاشمة بكل أشكالها ..سواء بالسخرية ، أو بالرد المباشر ، أو بالحيلة ، أو بالتعاون لغلبتها .. لكن المحصلة تقول : أن المصرى لا يميل لمواجهة القوة بالقوة والعنف كاتجاه عام .. حتى وإن قال : «طاطى لها تفــوت» فهــو تســويف إلى حين .. وذلك ما قالت به د. نعمات فؤاد من أن المصرى يتقوقع على نفسه ليعيد صياغتها ، ويعد نفسه ليثب من كبوته ، دون أن يسلم بها .. لكن فلسفته فى الصبر وإعادة الصياغة ، التى قد تطول ، لا نستطيع تفسيرها أو تبريرها بسهولة ، ولذلك نميل إلى القول بأن المصرى غير عنيف أو ثورى فى رده

على من هم أقوى منه ، أو على ظالميه .. بل له أسلوب خاص فى ذلك ، يتضح أيضا من تقويمه لكل موقف على حده .. وهو ما تفسره أمثاله الشعبية التى تتناول مفهوم «الظلم والعدل» لدى المصرى وتعريفه لهما .. وتحسره على وضعه كمظلوم .. وإن كان يرى أنه من حسن الحظ أن يبيت المرء مظلوما وليس ظالما !! ورؤيته لأوجه الظلم الواقعة عليها ومصادرها ، التى يراها دائما مصادر غيبية ، من ميراث معتقداته فى : البخت والحظ ، والمقدر والمكتوب ، والنصيب والقسمة .. إلى آخر هذه السلسلة من الأسباب ، التى يبتعد بها عن ظالمه الحقيقى ليواجهه .. وأيضا نتيجة لسمته الأولى وهى «متدين» والتى انبثقت عنها سمات فرعية مثل «صبور» وذلك ما سيتضح من الأمثال التالية :

- يا ظالم لك يوم (إيمانا بأن الله سيرد عنه) .
- دولة الظلم ساعة ، ودولة الحق حتى قيام الساعة (إيمانا بأن الظلم حتما سينتهى)
- يا بخت من بات مظلوم ، ولا بتش ظالم .
- نوم الظالم عبادة (فهو يكتفى بهجوع الظالم ولو لحين) .
- المساواة فى الظلم عدل (فهو لا يجد كراهة فى عمومية الظلم) .
- الرحمة تخص والنقمة تعم .
- جور الغز ولا عدل العرب .

- الرحمة فوق العدل (من قول الله سبقت رحمتى عدلى) .

ويوصف المثل المصرى «الظلم والعدل» ويعرفهما ، ويصورهما بعدة صور بليغة ، تتضح فى مجموعة من الأمثال والتشبيهات ، والعبارات المكناة التى يتضح منها مدى تحسر المصرى على حاله مما يقع عليه من ظلم .. إذ يقول :

- ياما فى الحبس مظاليم .
- واحد واخد وعشرة متهومين .
- البيت بيت أبونا ، والغرب بيطردونا .
- من ماله ولا يهنا له .
- ارحموا عزيز قوم ذل .
- برىء براءة الذئب من دم ابن يعقوب (عربي متداول) .
- حرام علينا وحلال علي الغريب .
- وراه النجوم فى عز الضهر .
- وراه الأمرين (أى الفقر والعجز) .
- قفل فى وشه باب الرحمة (شكل من أشكال الظلم) .
- السمك الكبير بياكل الصغير (تقرير واقع)
- القاضى مالوش الا اللى قدامه .
- الناس لها الظاهر .

- ربنا ميرضاش بكده (أو بالظلم) .

- قاتل بلا بينة سلطان .

- كلمة الحق تقف فى الحلق (سخرية من الظالمين بحبس الشهادة أو قول الحق) .

- عايز الحق ولا ابن عمه (مناورة هروبا من قول الحق ؟) .

- معندوش يامه ارحميني (أى ظالم وقاسى) .

- قاضى العيال اشتكى روحه (لاستحالة العدل بينهم) .

وإذا كانت الامثال والتعبيرات الشائعة السالفة توضح الرؤية المصرية للظلم ، والرضا والاستسلام له والاكتفاء بالوصف الساخر منه .. فإن عددا آخر من الأمثال يحض المصرى على رفض الظلم ومواجهته .. وإن كان يمثلها عدد قليل (٨ أمثال فقط) تقول :

- الساكت فى الحق زى الناطق فى الباطل (دعوة للشهادة بالحق وعدم كتمانها) .

- صاحب الحق عينه قوية (فواجه إذا كنت صاحب حق) .

- الحق صوته عالى .

- كلمة الحق لازم تتقال .

- الساكت عن الحق شيطان اخرس (عربى متداول) .

- المتهم برئ حتى تثبت ادانته (قاعدة شرطية متداولة وإن كانت غير معمول بها) .

- بين حقك واتركه (احقاقا للحق) .

- خد بحقك حلفه واحرقه (أى خلصه من ظالميك) .

وعن استخلاص الحق أو اثباته على الطريقة المصرية أو كما يقول د. يوسف ادريس تحت عنوان «الخناقة على الطريقة المصرية » . يقول: «لا يتساءل المصرى المتخانق من سيوقع هذا العقاب - إن وجد الانصاف - وإنما المهم أن يثبت للعالم أنه مظلوم وأنه يستحق الانصاف وأنه - لولا التعقل - لارتكب القتل والضرب والجنايات » (١) أى أنه يشهد العالم على قدرته وقوته .. ويحاول إثبات حقه .. لمجرد احقاق الحق .. واظهار الحقيقة ولوم الظالم .. حتى وإن لم يفعل بهذا الحق شيئا أو كما يقول المثل : « خذ بحقك حلفة واحرقه » . والمعروف أن نبات الحلفة غير ذى قيمة ، لكنه يتمسك بأخذ حقه منه حتى ولو احرقه .

أما عن السلوك المصرى «الطيب» المتعلق بالحنو على الآخرين ، واكرام وفادتهم ، وحسن استقبالهم ، والتعاون معهم فى مصابهم ، وشتى أشكال التكافل الاجتماعى ، التى بدأنا نفتقدها مؤخرا - مع الهجمة المادية التى اجتاحت مصر والعالم خلال العقود الثلاث الأخيرة - فتتناولها الأمثال الشعبية التى تعبر عن القيم الأصيلة فى الشعب

(١) د يوسف ادريس ، عن عمد اسمع تسمع ، ص ٨٢ .

المصرى ، وليس ما آل إليه حاله اليوم ، أو المستحدث من سماته ، التى ستعبر عنها أقوال مستحدثة ، قد تصير مثلا فى مستقبل الأيام ، لتعبر عن فلسفة المصرى المعاصر ، وعن فلسفة العصر المادى الذى يعيشه .. لكننا هنا نؤكد على سمة «متعاون» كسمة فرعية تعد أيضا دليلا على الطيبة ، وحب الغير والتكافل مع الآخرين ، وهو ما عبرت عنه الأمثال المصرية قائلة :

- الايد لوحدها متسقفش .

- القفة أم ودنين يشيلوها اثنين .

- من قدم السبت يلقى الحد قدامه .. ومن يخدم الناس صارت الناس خدامه .

- زى قواديس الساقية المليان يكب على الفارغ (يكتفى الان بالنصف الأخير من المثل) .

- الكثرة تغلب الشجاعة (تقال فى التعاون وفى القدرة لذلك أكرره).

- الناس لبعضها .

- النواية تسـند الزير (أى مهما كانت المسـاندة ضعيفة فلها فائدتها) .

- غالى والطلب رخيص (تقال فى الاستجابة للسائل) .

– أنصر أخاك ظالما أو مظلوما (حديث متداول) .

– أنا وأخويا على ابن عمي وأنا وابن عمى على الغريب .

– أيد على أيد يكبر ويزيد (تقال عن التعاون فى البناء والزرع) .

– البركة فى كتر الايادى .

– أيد على أيد تساعد أو تقرب البعيد .

– البركة فى اللامة .

– اللى ماله خير فى أخاه ، الغريب ما يسترجاه (أى لا تأمل فى تعاون من لا يعاون أهله) .

– اللى قيدنى بيفتل لك (ضرورة التعاون لأن المصير واحد) .

– بعد ما طارت ساعدها بقوة هش (سخرية ممن لا يقدمون عونا حقيقيا وفى الوقت المناسب) .

– البقرة بتطلق والعجل بيحزق ليه ؟! قال : تحميل جمايل .

– عمر الشبعان ما يفت للجعان (تحسر لانعدام التكافل) .

وأيا ما كان ما ذهبت اليه الأمثال المتحدثة عن التعاون والتكافل ، فى صيغ مباشرة ، أو تشبيهية ، أو سخرية ممن يحملون الاخرين جمايل ، دون عون حقيقى ، أو يقدمون على التعاون بعد فوات الأوان ، وبعد أن ينقضى الأمر المطلوب التعاون فيه .. أيا ما كانت الصيغ فإنها تفوق كثيرا الأمثال المصرية التى تبرز عنصر الانانية ، وتغلبه على

مساعدة الآخرين . بل ولا أكون مبالغة إذا ما قلت : إننى لم أجد مثلا مصريا واحدا يحض على الأنانية ، وعدم مساعدة الغير إلا ذا اعتبرنا أن المثل القائل :

- اللى يحتاجه البيت يحرم على الجامع (أو الزيت إن عازه البيت يحرم على الجامع) .

شكلا من أشكال تفضيل الذات على الغير ، أو الأنانية فى مقابل معاونة الآخرين .. وأغلب ظنى أنه ليس دعوة لعدم البر بالآخرين ، طالما هناك مستلزمات ضرورية لأهل الدار .. فهذا المثل مردود عليه بمثل آخر، يوضح الرؤية السليمة للمصرى فى موضوع البر ، ومساعدة المحتاجين إذ يقول المثل :

- كل لقمة فى بطن جايع أخير من بناية جامع .

وهذا يؤكد أن قيمة الإحساس ، ومساعدة الفقراء تعلو لدى المصرى على ما تحتاجه حتى بيوت الله ، لعمارتها أو بنائها .. رغم أنه عمل يعتبره المصرى شراء لقصر فى الجنة ، ويرى أن له ثوابه الكبير ، الذى فضلت عليه الحكمة المصرية الشعبية مساعدة المحتاجين والجياع .. وهو مثل يعكس أيضا الفطرة السليمة للمصرى وفهمه السديد لمتطلبات دينه ولمساعدة قومه ومجتمعه .. بأسلوب يوضح وعى سليم بمعنى التدين وأولويات الخير والعمل الطيب .

وقد أجرت د. فاطمة المصرى (★) استبيانا على بعض الأمثال ، التى تؤكد أو تضحد بعض السمات المصرية، كان من بينها المثل القائل: « أردب ما هو لك ما تحضر كيله» ، فوافقت عليه نسبة ٣٥٪ من العينة.. بينما ٦٥٪ قالوا : لا رافضين له ، مما يعنى أن صفة «متعاون» مازالت تغلب على الشعب المصرى .. رغم ما يطفوا على السطح من سلوك سلبى أو أنانى .

كما كانت نتيجة الاستبيان بالنسبة للمثل القائل : « إن جاك الطوفان حط ولدك تحت رجليك» ، ٣٠٪ نعم ، ٧٠ ٪ لا ، وذلك يعنى أن المصرى يرفض الأنانية ، وتفضيل النجاة من الخطر بالتضحية بأقرب الناس ، وذلك يعنى أن الغيرية والمحبة مازالت من السمات السائدة .. هذا وسنتعرض للأمثال الداعية للأنانية حينما نتناول سمة «ذكى» التى ترتبط لدى المصرى بمعنى تغليب مصلحته الخاصة على مصلحة الغير .

أما عن قواعد «الكرم والضيافة» المصرية كما سنستخلصها مما تطرحه فلسفة المثل الشعبى .. فيمكن أن نخلص منها إلى أن المصرى كريم مضياف - كسمة سائدة - حتى وإن عبرت أمثاله عن وجهتى نظر، في هذا الأمر أيضا .. فالمصرى «الطيب» كريم ، والمصرى «المتدين» كريم ، والمصرى «الساخر» كريم ، يسخر من البخلاء ، ويتندر

(★) د. فاطمة المصرى ، مرجع سبق ذكره .

ببخلهم ، ويصورهم بأبشع الصور ، ويصفهم بأسوأ الصفات «يخافو يشخوا يجوعوا» أو القول : «وجع البطن ولا كب الطبيخ» إلى غير ذلك كثير .. ولتأكيد كرم المصرى نورد فيما يلى الأمثال القائلة :

- لقمة هنية تكفى مية (اذا صفت النية اللقمة تكفى مية) .
- جحر ديب يساع ميت حبيب .
- بيت المحسنين عمار .
- الجودة من الموجودة .
- الفضلة للفضيل .
- تكلوه يروح ، تفرقوه يفوح .
- الخير على قدوم الواردين .
- ألف طق طق .. ولا سلام عليكم (أى مرحبا بالقادمين أفضل من وداعهم) .
- ده وشك ولا وش القمر (تقال لمن يزور كل شهر مرة كالقمر) .
- الرجل تدب مطرح ما تحب
- لجل عين تكرم ألف عين .
- لجل الورد ينسقى العليق .
- ضيف يستاهل الدبح (تقال كدعابة) .
- اللى ياكل لوحدة يزور .

- اللقمة بتنادى أكالها (تقال للدعوة على الطعام) .
- اللقم تمنع النقم .
- الخير يبان على الضبة .
- إن أطعمت اشبع ، وإن ضربت اوجع (تقال أيضا فى الحسم) .
- رب صدفة خير من ألف ميعاد (تقال فى الضيافة) .
- يارب ضيف عزيز وناكل من جاره .

وإذا كانت هذه الأمثال (٢٠ مثلا) تتحدث عن وجوب اكرام الضيف بإطعامه، فإن الكرم والضيافة المصرية لاتقف عند هذا الحد (مجرد الأكل) .. بل تتعداه إلى أمور أخرى مثل : حسن الاستقبال ، ومعاتبة الضيف على إقلاله من الزيارة ، وترديد عبارات مصطلحية تعبر عن الاشتياق والوحشة له ، والرغبة فى استبقائه بعد الطعام ولو بالمداعبة بأقوال مأثورة نذكر منها :

- الضيف المجنون ياكل ويقوم .
- هو خالتى عندكم؟ مجتش (تقال لاستبقاء الضيف).
- جاى تزور الطريق؟ أو السكة.
- هى رجل البواب اتكسرت (تقال للضيف الذى طال غيابه)..
- لاقينى ولاتغدينى.
- إذا حضرت الملائكة ذهبت الشياطين (يتبادلها من يستأذن فى الخروج مع غيره من الضيوف).

ـ كل وبحلق عنيك أكلة واتحسبت عليك (تقال للاستزادة فى الطعام).

ـ راح وأدى وش الضيف (تقال لمن أطال الغيبة).

ـ راح وقال عدو لى.

ـ على رجليك نقش الحنة؟! (أى ماذا يمنعك من الزِّيارة).

وبنفس قدر ترحيب المصرى بضيوفه، واستبقائه لهم بأقوال ومجاملات كثيرة مثل: آنستونا وشرفتونا، وخطوة عزيزة، وزارنا النبى، وما هو بدرى.... إلخ... نجده يستاء من الضيف الثقيل، الذى يأتى دون موعد و«يطب فجأة» ويطيل الجلسة، ويزور يوميا.. أو الذى ينهمك فى الطعام فلا يتبادل الحديث مع مضيفيه، أو الضيف غير النظيف.. إلى آخر هذه المسالب التى تقول عنها الأمثال:

ـ يابخت من زار وخفف.

ـ زر غبا تزداد حبا (عربى متداول).

ـ المركب اللى تودى أحسن من اللى تجيب.

ـ إكسروا وراه قلة (كى لايعود).

ـ باب الشقة يقول لباب السطوح، إللى يجى، يجى، وإللى يروح يروح.

ـ جبنا سيرة القط جه ينقط (تقال على سبيل الدعابة مع الضيف).

– افتكرنا القط جانا ينط.

– ياريتنا افتكرنا حاجة عدلة.

– ياريتنا افتكرنا مليون جنيه (أو عزبة – قول مستحدث).

– داخل لا إحم ولا دستور (تقال لمن يتطاول ويدخل دون استئذان).

– مايضايق الزريبة إلا الحمارة الغريبة.

– ساعة البطون تتوه العقول!.

– إضرب الطاسة تيجى لك ألف لحاسة.

– كل مع الكافر ولا تاكل مع أبوضوافر.

– يابخت من يأكل قرصة ويأنس الناس بحسه (أى يزور ولا ياكل).

– يادخلتى على اللى ما يريدونى. لا سلامات ولا وحشتونى.

– بلاش توكلنى فرخة سمينة وتبيتنى حزينة (عن المن الذى يتبع الكرم).

– طعمتنى وذكرت ماعشت يوم كلت.

– يتمزرط فى بيت الزبون (أى يطلب المزيد فى بيت غيره).

– زى العوالم يتبغددوا فى بيت الزبون.

– عينه فى الطبق وودنه لمن زعق (أى يتصنت وهو يبدو منهمك فى الأكل).

ـ لولاك ياكمى ما كلت يافمى (أى لولا الوجاهة مادعيت لوليمة).

ـ آهى أكلة والودا ع.

ـ أكلنا إيه نشرب عليه؟! (يقولها الضيف إذا قدم له شراب دون طعام).

ـ الغايب مالوش نايب (تقال كإعتذار للضيف المتأخر).

ـ اللى إيدى ماهى فى مرجونته، ولا على بالى منه، ولا من جودته (تقال أيضا فى الاستغناء).

لعل ماسبق يؤكد لنا معنى أو كيف كرم المصرى، وحبه لضيوفه، وحسن استقباله لهم، وحرصه على استبقائهم، وذلك فى (٢٠ مثلا و١٠ تعبيرات) تقال للأضياف على سبيل الدعابة والتفكه، فإذا ما قسنا ذلك كما بالأمثال التى لاترحب بالضيف سنجد الكم متقاربا .. لكن رفض المصرى للضيف له مبرراته، التى سبق ذكرها ووضحت من الأمثال المذكورة أخيرا، والتى توضح آداب الضيافة المصرية، وما تضمه التعبيرات المصرية الشائعة فى هذا الصدد من حسن استقبال المصرى للضيف، خاصة إذا كان غريبا... فالعامية المصرية غنية بعبارات المجاملة للضيوف... ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر «يادى النور، نورت مصر، البيت بيتك، إن ما شاليتكش الأرض نشيلك فى عنينا أو فوق رءوسنا، وحلت البركة و...... و...... إلخ».

أما عن المصرى «الطيب» من منطلق آخر للطيبة وهو التهذيب، بمعنى عدم التدخل فى أمور الغير، فهناك كم هائل من الأمثال يتناولها... سيوضح لنا مدى ما يتصف به المصرى من طيبة، قد تصل أحيانا إلى حد السلبية، التى تصل إلى حد عدم الخوض فى الأمور التى تحتمل الصواب والخطأ... أو التى تجلب عليه المشكلات، أو تضعه فى موقف متناقض أمام الغير، إذ الأولى به أن يهتم بذاته وشئونه.. بدلا من مساعدة الآخرين فى إصلاح أمورهم وتدبيرها.. ويسخر المثل من هؤلاء الناس، ويعيب سلوكهم بعدة أساليب... وفى هذا الصدد لا ينقسم المثل المصرى إلى اتجاهين... بل سنجد كما كبيرا من الأمثال (٢٤ مثلا) تؤكد كلها على نبذ التدخل فيما لايعنينا... إلى درجة تدعو أحيانا إلى السلبية والانطواء، أو التقوقع على الذات، وعلى ما يخص المرء وحده.. ولعل لذلك أسبابه، التى أعتقد أن فى مقدمتها أن المصرى بفطرته وطبيعته اجتماعى ودود، يتكافل مع الآخرين، ويحاول أن يتدخل لإصلاح ذات البين والمساعدة.. وقد يناله من الأذى الكثير، ولذلك نجد أن المثل الشعبى يحاول تبنى فكرة إقصاء المصريين عن هذا السلوك، خاصة أنه مصدر لجلب المتاعب... وأحيانا يكون مصدرا للسخرية ممن يتدخل فيما لايعنيه، لأنه يعانى بنفسه وفى بيته من العيب نفسه، الذى يحاول بإيجابية فاعلة التدخل لإصلاحه.. وسنجد أن بعض هذه الأمثال قد

ذكرناها سلفا ـ فى معرض الحديث عن الصلح وعن الإبتعاد عن الشر وفى أمور أخرى ـ لكنى أعيد تكرارها هنا، لأنها تضرب أيضا فى هذا الموضع، ولأنها تساعدنا فى النهاية على استخلاص النتيجة القائلة: بأن المثل المصرى بوجه عام يحذر من التدخل فيما لا يعنينا.... كما يتضح مما يلى:

ـ من يتدخل فيما لايعنيه.. يسمع مالا يرضيه (عربى متداول).

ـ من راقب الناس مات هما (عربى متداول).

ـ ياداخل بين البصلة وقشرتها،ماينوبك إلا صنانتها.

ـ ياداخل بين المسك والريحة، ماينوبك إلا الفضيحة (منعا للقيل والقال).

ـ ياداخل بلا مشورة.. إن ما مسخرك الراجل تمسخرك المرة (فيمن يتدخل بين زوجين).

ـ واحد شايل دقنه والتانى تعبان ليه؟! (أو زعلان ليه).

ـ أردب ماهو لك ماتحضر كيله.. تتعفر دقنك.. وتتعب فى شيله.

ـ إللى يحضر تعافير بتيجى على دماغه.

ـ ماينوب المخلص إلا تقطيع هدومه.

ـ ضربوا بتاع الكمون(خرى) بتاع الكسبرة !

ـ مالك ومال «الخناث» يا أبو «صرم» ضيق؟!

- إللى مالكش فيه ماتنحشرش فيه.

- لا لك فى الطور ولا فى الطحين!! (فلماذا تتدخل؟).

- إكفى خيرك شرك (أصلها، خلينا على قدنا، نكفى خيرنا شرنا).

- ياعين إن شفتى ماريتى، وإن شهدوكى قولى، كنت فى بيتى (دعوة لكتم الشهادة).

- جم ينعلوا خيل الباشا قدمت أم قويق رجلها !.

- فاتت ابنها يعيط ، وراحت تسكت إبن الجيران !.

- يا مداوى عماص الناس ، داوى عماصك.

- يا مداوى خيل الناس ، حصانك من عند زره خايب.

- عليل وعامل مداوى!.

- بدال ماتعدل على الناس عدل على روحك (أول المثل يقول، يا سيدنا الدموية تقدد لوحك....).

- أبوها راضى وأنا راضى... مالك إنت ومالنا ياقاضى؟!

- أنا وحبيبى راضى.. وأنت مالك يا قاضى؟!.

- عيوبى لا أراها... وعيوب الناس أجرى وراها!

من كل ماتقدم يتضح، لنا بكل الصيغ والأساليب والصور، أن المثل المصرى ينبذ التدخل فى شئون الغير.. بل إن هناك من التشبيهات ما ينفر ممن يقومون بذلك، ويصفهم بأنهم «زى الملح داخل فى كل حاجة..

أو محشور فى كل طعام». أو أن هذه النوعية من الناس «تدس أنفها فى كل حاجة»، وكثير ماتدعو الأقوال والتعبيرات إلى نبذ هذه الخصلة أو السمة، بالدعوة إلى السلبيَة المطلقة كالقول: «مالكش دعوة... خليك فى حالك»، بل ونجد المصرى الآن إلى حد كبير يميل إلى السلبية والقول «وأنا مالى»، طالما أن التدخل فى أمر ما لن يقع عليه بضرر مباشر.. أو أن الأمر لا يعنيه.. فلم تعد الإيجابية سمة مصرية.. يتسم بها المصرى المعاصر.. رغم أنها كانت سمة أصيلة لقرون مضت.. خاصة فى الريف المصرى وفى الأحياء الشعبية، التى كان المصرى فيها يرى أن من واجبه التدخل لإصلاح الأمور، أو إصلاح ذات البين، كواجب اجتماعى ملزم.. ولكن هل ظلت هذه السمة سائدة؟! أم أن المصرى الآن «عامل ودن من طين وودن من عجين»، فهو كما تقول العبارات المستحدثة «ضاربها طناش... أو مطنش»... ويرد على هذا التساؤل الحائر ـ الذى لا أستطيع حسمه بالنسبة لحالنا اليوم ـ دكتور يوسف إدريس بأن الناس فى مصر مازالوا شديدو الاهتمام بالآخرين بل إن كلا منا ولى أمر الآخر وناصحه.. ويذهب إلى أكثر من ذلك أن مهمتنا حيال بعضنا البعض تكسير المقاديف (*).

أما عن آداب السلوك الأخرى التى تبرز سمة الطيبة المصرية الأصيلة، وتبرزها الأمثال الشعبية المتحدثة عن «الكلام» والأخبار

(*) د. يوسف إدريس، عن عمد إسمع تسمع، ص ٢١.

والأسرار»، فكما سبق وقلنا، أن المثل المصرى يعتبر الكلام مصدرا للشر أحيانا، كما اتضح من المثل القائل: «تقاوى البلاوى كلمتين فارغين» فإن كثير من الأمثال والتعبيرات تتناول الكلام بوصفه نميمة، أو بوصفه عاملا مؤثرا قد يفوق أثره مفعول السحر، وأنه قد يكون شائعة تدمر من تصيبه، وأنه قد يكون ثرثرة لاداعى لها، تدمر من تصيبه، وأنه قد يكون ثرثرة لا داعيا لها، وأن خيره أقله، وقد يكون لا قيمة له.. بل سيتحسر قائلينه، وأن السكوت عن الكلام أفضل.. وكنموذج لهذه المعانى ما قالته الأمثال:

- الكلام بيجى عند صاحبه ويقف (إذا كان نميمة).
- العيار إللى ما يصبش يدوش (إذا كان الكلام شائعة).
- خير الكلام ما قل ودل (عربى متداول).
- كلمة ورد غطاها.
- كلام بحسرة قايلينه.
- كلام مش جايب همه.
- الدوى على الودان أمر من السحر.
- الدى على الودان يقلب القفدان (أى يؤثر فى العقل والرأى).
- إن كان المتكلم مجنون يكون المستمع عاقل (إذا كانت الشائعة مبالغا فيها).

- إسمع من هنا وسيب من هنا (أى طناش... وهو تعبير دارج الآن).

- ما كل ما يعرف يقال (عربى متداول).

- الكلام أخذ وعطاء.

- الكلام بيجيب بعضه.

- إشترى وما تبيعش (فى الكلام).

- هو الكلام عليه جمرك (إذا كان كذبا).

- من كتر كلامه إتقل مقامه (إذا كان مجرد ثرثرة).

- إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب (عربى متداول).

- قصر الكلام منفعة (ويكتفى بالقول، «قصر الكلام» أى اختصر).

- ما طق إلا حق (أى أن الكلام لابد له من أصل).

- مفيش دخان من غير نار (يقال كميل لتصديق الشائعات).

- زى سيرة الثعابين (أى كلام لا ينتهى).

- ما تأكل إلا القملة، ولا توجع إلا الكلمة (الإيلام بالكلام).

- بيدن فى مالطا (أى لا فائدة من كلامه).

- يدخل من هنا ويخرج من هنا (أو يسمع بودن ويخرج من الثانية).

- سكت دهرا ونطق كفرا (عربى متداول).

ـ خدوهم بالصوت قبل ما يغلبوكم (فالصوت العالى قد يغلب).

ـ فضوها سيرة.

مما سبق يتضح لنا فلسفة المثل المصرى حيال الكلام وأنواعه: نميمة، شائعة، كلام فارغ، كلام مؤلم، سيرة، ثرثرة، كلام أمر من السحر، كذب.... إلى آخر أنواع الكلام كتوصيف دقيق، ينبذ بعضه، ويحض على تركه والابتعاد عنه، أو عدم تصديقه.. وينبه لبعضه، ويوجهنا إلى التصرف السليم حياله.. ومن أنواع الكلام التى تعرضت لها الأمثال بما يوضح موقف السلوك المصرى منها «الأخبار» و«الأسرار» فالمثل المصرى يحضنا على عدم التكالب لسماع الأخبار، فقد تأتينا من جراء نفسها دون السعى لها.. ومجانا دون تكبد عناء أو نفقات، وأن كثيرا من الأخبار لايمكن إخفاؤها.. بل سيحملها الركبان مهما بعدت المسافة.. وأن الإنسان فى حالة اتصال وتواصل دائم، وهو ما تعبر عنه السياسات الإتصالية أو الإعلامية الحديثة قائلة أن العالم أصبح «قرية إعلامية»، لايمكن إخفاء أى خبر فيها.. وأن التكرار لابد سيؤتى أثره، أو تأثيره وكأنه سحر ـ كما وضح من مثل سبق ذكره ـ هذا وعوضا عن الإسترسال فى الحديث، نستعرض الأمثال الشعبية التى ورد فيها ذكر كلمة خبر أو أخبار:

ـ ياودن طنى خبر جديد.

- قال يا خبر بفلوس.. بكره يبقى ببلاش.

- بكره نقعد على الحيطة ، ونسمع الظيطة (أو العيطة).

- مين يسمع، ومين يقرا (أى من يتعلم ويستفيد).

- الحيطان لها ودان (أى الأخبار والأسرار ستسمع).

- مفيش حاجة بتستخبى (وما يخفى إلا ويستعلن) كما جاء فى الإنجيل).

- بكره المستخبى يبان.

- إللى تولد فى مكة تجيب أخبارها الحجاج.

- الخبر الشؤم يوصل بالعجل.

- سارت به الركبان (يقال عن شيوع الخبر).

- إللى يطلع من الراس يوصل للناس (أى الأفكار حينما تقال).

- أم عبر جلابة الخبر (أى المرأة التى تنقل الأخبار).

- اللى تحبل فى الفرن تولد فى الجرن (فهو أمر لاسبيل لإخفائه).

- جاب الخبر من عند خاله، قال، كل إنسان ملهى بحاله.

- جاب الخبر من عند عمه، كل واحد ملهى بهمه.

- بيشم على ظهر إيده (أى يعرف الغيب).

- يحب يرسى علي البير وغطاه (أى الخبر الظاهر والباطن بكل التفاصيل).

- إكفى على الخبر ماجور (أى إخفيه).

- ماخفى كان أعظم.

- جابوا الخبر من أبوزعبل، إن العجايز تحبل (اى حبر كاذب، ومصدره لايدعمه).

- عيش نهار تسمع أخبار.

- اللى يعيش ياما يسمع!! (أو ياما يشوف.. للتعجب).

- ماسك أفادانه (أى يطيل ذكره وسيرته).

- إقطع خبره (أى ذكره وسيرته أى اقتله).

- زى ساعى اليهود ما يودى خبر ولا يجيب خبر (يكتفى بالقول لا يودى خبر ولا يجيب أثر).

- ماعلى الرسول إلا البلاغ (آية ٩٩ من سورة المائدة).

- لاحس ولا خبر (أى لا جديد).

تلك إذن السياسة الإخبارية - إن صح التعبير - للمثل المصرى أو للإنسان المصرى.. ولكن ماذا عن الأسرار وإفشائها؟ أو الحض على كتمانها؟ لما لذلك من علاقة بآداب السلوك المصرى المهذب.. وهل المصرى «الطيب العفوى» الثرثار، الدائم التدخل فى أمور الغير ونشر أخبارهم يكتم السر؟! أم أن إفشاء السر أمر شائع بين المصريين؟!... ولذلك جاءت الأمثال الشعبية القديمة، لتضع دستورا للتعامل بشأن هذا

الموضوع.. بعد أن أكدت الحصيلة السابقة من الأمثال (١٥ مثلا) أن هناك أمورا لايمكن إخفاؤها.. بل لابد ستشيع وتذاع، ويعرفها الناس، هذا ما ستؤكده.. أو تضحده الأمثال المتحدثة عن الأسرار:

- السر لو خرج ما بين اثنين ميبقاش سر (أو ينعرف).
- السر بين اثنين درج، وبين ثلاثة فتح الباب وخرج.
- إدى سرك للى يصونه.
- إكتم سرك تملك أمرك.
- الراجل ومراته زى القبر وأفعاله (أى أن ما بينهما سر دفين).
- البيوت أسرار.
- بيوت مقفلة على بلاوى متلتلة.
- دارى على شمعتك تقيد (إخفاء الأمور خوفا من الحسد).
- حاجة الست فى الصندوق، وحاجة الجارية فى السوق.
- خليها فى القلب تدبح، ولا تطلع لبره تفضح.
- السر فى بير (تقال تأكيدا على حفظ السر).
- ماتتبلش فى بقه فولة (وصف لمن لا يستطيع حفظ السر).

ومما سبق يتضح لنا أن الأمثال المصرية متوازنة، بشأن الأخبار والأسرار.. فهى شبه متساوية، من حيث تحبيذ كتم السر، أو القول بأن كل شىء لابد سيذيع، ولن يظل خافيا طويلا.. لكن الأمثال توضح

وتشرح وتفسر ما لا يمكن إخفاؤه من أمور، وما هو واجب وضرورى إخفائه ، كالعلاقة بين الرجل والمرأة، التى شبهها بأنها مثل مايحدث فى القبر، دفين لا يطلع عليه أو يجب ألا يطلع عليه أحد.. كذلك مشكلات البيوت، والكلمات التى قد تسىء للسمعة كتمها أفضل.. كما أن كتم السر من عادات السادة، بينما العبيد أو الجوارى أسرارهم مفضوحة، وأن إخفاء بعض الأمور يدرأ الحسد ـ وهو أمر يخشاه المصريون كثيرا ومازالوا ـ وإمعانا فى إخفاء الأمور، يتبادل المصريون عبارات مصطلحية، يتفاهمون بها بخصوص قضاء بعض الحاجات، مثل القول: «سبع ولا ضبع» أو «قمح ولا شعير» وتقال استفسارا عن الأخبار أمام الغير، بأسلوب يحمل معنى التكتم.. وهو أسلوب شائع الاستعمال فى مصر.

ويجرنا الحديث إلى تناول ما قالته الأمثال الشعبية عن «الحسد»، كأمر غيبى يؤمن به المصرى «الطيب» ويفسر به الكثير من الأمور والملمات غير المبررة، التى قد تصيبه، ويشعر حيال تفسيرها بالعجز، فيرجعها للحسد، و«العين» التى أصابته، والتى «تفلق الحجر».. ورغم ما قد يبدو من استطراد أو إقحام للإيمان بالحسد كمظهر من مظاهر الطيبة المصرية.. إلا أننى أرى أن لجوء المصرى قديما، وحتى الآن إلى التفكير والتفسير غير الواقعى.. بل والإكثار من الإعتقاد فى أمور غيبية،

مثل الحسد، وتبرير كل الأمور (الفقر والمرض والمصاب الفادح، والشجار.. إلخ) على أنها بسبب «العين».. واتخاذ التمائم والأحراز، والخرز الأزرق والفاسوخة، والخمسة وخميسة.. وما إلى ذلك، كعوامل درأ للحسد.. رغم عدم معقوليتها، ورغم أن الإسلام يقول بأن: «من ارتدى تميمة لا أتم الله عليه»، فالإعتقاد بأن مجرد «التخميس» أو ارتداء التمائم، سيمنع الحسد أمر غير مقبول علميا، كما أن المرض مثلا لايمكن أن يكون سببه الحسد.. بل الميكروب والفيروس، والعدوى، والقذارة... إلى آخر هذه المسببات الواقعية الملموسة، والتى يتعامى غالبية المصريين عنها، ويرجعون أسباب المرض للحسد وحده.. وكذلك نجد أن الشجار قد يأتى من الخلاف فى وجهات النظر، أو القهر، أو الظلم، أو طولة اللسان، ومع ذلك يرجعه المصرى غالبا إلى الحسد و«العين».. والقياس على ذلك كثير.. ولكن إلى أى مدى يؤمن المصرى «الطيب» ذو التفكير الغيبى الساذج فى الحسد؟! هذا ما توضحه الأمثال والعبارات الشعبية التالية:

- خزانة من غير باب، ويقولوا، يا الله إكفينا شر الحساد.
- دارى على شمعتك تقيد.
- من قروا عليه عزوه (من حسده الناس عزوه).
- إمسكوا الخشب (إعتقادا فى أنه يدر الحسد).

ـ خمسة وخميسة (قول لدرء الحسد).

ـ عين الحسود فيها عود (دعاء على الحاسد).

ـ حصوة فى عين اللى ما يصلى على النبى.

ـ العين فلقت الحجر.

ـ السم فى اللسان (أى قد يأتى الحسد من مجرد ذكر المحاسن).

ـ مايحسد المال إلا أصحابه (بمعنى أن المرء قد يحسد نفسه).

ـ الحسد عند الجيران، والبغض عند القرايب.

ـ عمر الحسود ما يسود.

ـ عينك الصافية ما خلت عافية.

ـ عينك الصافية تجيب الكافية.

ـ الحسود تعبان.

ـ غير من جارك ولا تحسده.

كل ذلك (١٦ مثلا) فى مقابل مثل واحد يعلى قيمة الحظ والبخت أو من رزقه الله فى مواجهة الحسد، وفيه قول استنكارى:

ـ إيش يعمل الحسود فى المرزوق؟!

وكما هى عادة المصرى ساخر دائما، حتى وهو متخوف من الحسد، ويحاول بأمثاله درء الحسد، بإدعاء أن ما لديه قليل، وأن حاسده أحسن حالا منه، فلا داعٍ أن ينظر لما لديه، كما وأن الأمثال التالية تخلق مقابلة

لفظية بليغة.. وتعطى صورا وتشبيهات كثيرة، للمقارنة بين الحاسد والمحسود، موضحة أن الحاسدين يمكن أن ينظروا لما فى أيدى الآخرين، ويغبطوهم عليه، أو يستكثروه عليهم.. حتى ولو كان «موتة الجمعة» أو «الموت» أو مجرد «شراية الصابون»، أو «كبر الشوارب» أو «ظل الشجر» أو.... إلى آخر ما سيتضح من صياغة هذه الأمثال:

- أبو جمل حسد أبومعزة!
- أبو ميه حسد أبو تنية! (التنية شاة صغيرة عمرها سنتان).
- أبو ألف حسد أبو ميه!.
- حسدوا البين على كبر شواربه! (أو حسدنى البين أى الزمن على كبر شواربى).
- حسدوا الغجر على ضل الشجر!
- حسدوا الميت على موتة الجمعة!
- حتى على الموت لا أخلوا من الحسد! (عربى متداول).
- حسدوا القرد على حمار «طيزه»!
- حسدوا الأقرع على شعر حواجبه!
- يحسدوا العريان على شراية الصابون.

ويتضح مما سبق أن المصرى يعجب ويستنكر من استكثار البشر لما فى أيدى غيرهم.. رغم أنهم يملكون أكثر منه.. كما يستنكر الحسد على مالا يستحق أن يحسد المرء عليه!!.

واستكمالا للسمات الفرعية لسمة «طيب وعفوى» نستعرض فيما يلى الأمثال التى تصف وتسخر من مبالغة المصرى، وعدم الاعتدال والتعقل والتدبر فى تصرفاته، التى تتسم من فرط عفويتها بأنها هوجاء، فيها كثير من التهويل، والإسراف، والمبالغة فى الفرح والحزن والإنفاق، مما يتضح منه أنه من فرط طيبته لا يتحسب للأمور، ويأخذها على أعنتها دون تدبير.. وكمثال لذلك المبالغة فى القول، والفعل وفى تقدير الأمور.. وهنا تنقسم الأمثال ما بين توصيف وتشبيه «المبالغة» بأسلوب ساخر.. وبين توجيه مباشر للناس بضرورة الاعتدال واختيار الأمور الوسط، دون مغالاة .. ففى التوصيف تقول الأمثال:

- يعمل من الحبة قبة !.
- يعمل البحر طحينة ويصطاد قلقاس!.
- عايز جنازة ويشبع فيها لطم!.
- يزود الطين بلة! (أو يزود المبلة طين!).
- ما يعجبوش العجب ولا الصيام فى رجب!.
- جارية وزبدية على بتنجانة مقلية!.
- الست والجارية على صحن بسارية!
- يا واخدة كله يا فايتة كله!.
- قطه جمل!.

ـ عملوه فارس خيل! (مبالغة فى التقدير اختصارا للمثل القائل : يموت الجبان يبقى فارس خيل).

ـ يلبسوا لما يقرفوا!.

ـ يا يحراقة يا غراقة!.

ـ ياقنديلين وشمعة يا فى الضلمة جمعة!

ـ تفانينوا عجب! (أى مبالغ).

أما الأمثال الداعية للإعتدال فى كل شىء فتقول مباشرة:

ـ خير الأمور الوسط (قول للحسن البصرى يضرب فى نبذ المبالغة).

ـ ساعة لقلبك وساعة لربك (تقال نبذا للمبالغة حتى فى التدين).

ـ الشىء إن زاد عن حده ينقلب لضده.

ـ لا تشد ولا ترخى.

ـ إمسك العصايا من النص.

ذلك عن المبالغة بوجه عام.. ولكن ماذا عن مبالغة المصرى فى «الفرح والتفاؤل»؟ ـ فقد استعرضنا سلفا مبالغة المصرى فى الحزن عندما تناولنا نظرته للمرض، والموت، وتصاريف الزمن والأيام.. سنجدأن الأمثال صوت عاقل يمثل ضمير هذا الشعب... الذى يلجمه إذا بالغ، أو تزيد، وهو فى الوقت نفسه يعكس فلسفته ورؤيته للأمور..

فكلنا يعرف أن المصرى «الخفيف الظل»... «الساخر»، «المرح» بداخله قدر من الحزن والشجن، الذى يرجعه البعض لما يعترض المصرى من ظروف فقر وقهر.. و.... إلخ... لكنه أحيانا شجن غير مبرر: لأنه يطفو أحيانا فى غير أوانه... إذ فى عز الفرح نجد المصرى يتحسر... بل نجده أحيانا يخشى الفرح والضحك، ويتحسب ويحذر مما يليهما.. ويفترض بالضرورة أنه نكد... بل ويرحب ـ كما تقول أمثاله ـ بالنوم... أو بإخفاء الفرح، وكتم الضحك، ويتضح ذلك من الأمثال التالية:

ـ كل نومة وتمطيطة أحسن من فرح طيطة.

ـ الضحك من غير سبب قلة أدب.

ـ أخرة الضحك نكد.

ـ زغرتى فى عبك (إخفاءً للفرح).

ـ ما تفرحش للى رايح.. قبل ماتشوف اللى جاى.

ـ إن الله لايحب الفرحين.

ـ فى فرحكم منسية، وفى حزنكم مدعية.

ـ الثقل ورى يا قبانى (أى لا تتفاءل... إنتظر ما سيأتى).

ـ دقوا الطبل على التلة، جربت كل مختلة.

ـ جات الحزينة تفرح ملقتلهاش مطرح (تقال تحسرا أيضا).

ـ يدلوقوا القهوة من عماهم ، ويقولوا، خير من الله جاهم.

تلك هى الأمثال الخائفة من الفرح والتفاؤل .. والمتحسبة مما سيعقبهما .. ولكن ماذا عن الأمثال الداعية للفرح، والضحك، والتفاؤل؟!:

ـ زغرتى يا للى مانتيش غرمانة (أى أن الفرح الحقيقى، يكون لغير المسئولين).

ـ يوم النصر مافيهش تعب (أى يوم الفرح).

ـ فال الله ولا فالكم (للفأل السيىء).

ـ خدوا فالكم من عيالكم (الفأل الحسن).

ـ الحزن يعلم البكا، والفرح يعلم الزغاريط (أى تعود).

ـ إضحك والضحك رخيص.. قبل ما يغلى، ويتعبى فى قراطيس.

ـ الذهب يفرح القلب (حديث متداول).

ـ الشؤم عند التشاؤم.

ـ ساعة الحظ ما تتعوضش.

ـ الفرح مليح ولو بصفيح.

ـ إن جالك الفرح إنهبه نهيبة.

ـ ريحة الفرحة تبان زى السمنة السايحة تمام (أى رائحة محببة)..

- خد الشر وراح (تقال عند كسر شيء درءا للتشاؤم والإحساس بالخسارة).

- بتيجى على أهون سبب (أى الميسرة والخير).

- فرحان فرحة مجنون (كناية عن صدق الفرحة وخلوها من الشجن).

- إللى يقرصها فى ركبتها يحصلها فى جمعتها (تفاؤلا بالعروس).

- إللى يقرصها فى وسطها يحصلها فى شهرها.

- وأيا ما كان أمر المصرى، وما تعبر عنه أمثاله فالسمعة الغالبة هى المبالغة فى الحزن والفرح.. كما اتضح مما أوردت من أمثال ويتفق ذلك مع ماذهب إليه الكاتب أحمد بهجت واصفا الإنسان العربى فى إحدى مقالاته من «أن المبالغة فى التشاؤم أو التفاؤل من عيوب العقل العربى وهذه المبالغة تطمس عادة وجه الحقيقة وتخفى ملامحها، فلا نرى سوى هواجسنا ومخاوفنا، أو آمالنا الوردية دون مخاوف» (١).

ذلك عن المبالغة فى الفرح أو خشيته، التى تبدو واضحة كما، فى جانب التفاؤل والفرح.. وإن شابته شوائب الحزن المصرى الدفين، وخشية العواقب بنسب متقاربة.. ولكن ماذا عن «المبالغة» فى الإنفاق أو الإسراف بالمعنى المادى، وهل المثل المصرى يدعو لترشيد السلوك فى

(١) جريدة الاتحاد الظبيانية - فى العدد ٦٢٥٧ - الصادر ١٩٩١/١١/١٦ - ص ٧، مقال بعنوان «مكاسبنا فى مؤتمر السلام وخسائرنا».

هذا الصدد؟ أم يدعو للإستهلاك والإسراف؟ مع الوضع فى الإعتبار أن المبالغة فى المعنويات كالفرح أو الحزن لا ضرر منهما ـ عدا ما يختبىء فى المصرى نفسه من شجن دفين ـ فى حين أن المبالغة فى الإنفاق والإستهلاك لهما عواقبهما الوخيمة فى مجتمع لا يتسم بالثراء... بقدر معاناته من الفقر... فإلى ما يدعو المثل المصرى فى هذا الصدد؟!.

– إن حلى لك زادك كله كله.

– إن طاب لك عيشك كله كله.

– هين قرشك ولا تهين نفسك.

– إللى معاه حنة يحنى فلس جحشه (تقال أحيانا سخرية من المسرف).

– إللى معاه قرش محيره يجيب حمام ويطيره.

– الحساب يوم الحساب (أى أسرف على نفسك).

– الحساب يجمع.

– الزائد أخو الناقص (أى كله واحد فإنفق).

– كل وإشرب، وخلى الدنيا تخرب.

– هاتى يا سدرة، ودى يامدرة.

– قال، ياجارية إطبخى، قالت، ياسيدى كلف (تقال فى طلب المزيد من الإنفاق).

ـ اللى يجى بالسهل يروح بالسهل.

ـ شرى العبد ولا أنيته (الأخذ بالأسهل ولو كان مكلفا).

ـ أصرف ما فى الجيب يأتيك مافى الغيب.

ـ دقى ياخايبة للغايبة!

ورغم وجود كل هذا الكم من الأمثال الرافضة للإدخار كقيمة .. والقائلة بأن كله زائل، فلننفق ونهنأ.. نجد بعض الأمثال تسخر من المسرفين وإن كانت قليلة (٣ أمثال فقط)، وفيها مواربة وتحتمل معنيين كالقول:

ـ داق الطعمية، وباع الطاقية.

ـ اللى تجمعه النملة فى سنة ياخده الجمل فى خفه.

ـ اللى تخلفه الجدود تفنيه القرود.

كذلك هناك أمثال تحض على عدم المبالغة فى الإنفاق بل تشجع على الإدخار، وعمل حساب للزمن.. وكنموذج عليها الأمثال التى نادت بالإقتصاد والتدبير.. والقائلة:

ـ جوع سنة تغتنى العمر.

ـ إللى معهوش مايلزموش.

ـ يامستكثر الزمن أكثر (أى حتى لو كان لديك الكثير لا تغالى).

ـ جبال الكحل تفنيها المراود، وكتر المال تفنيه السنين.

ـ بدال اللحمة والبدنجان، هات لك قميص ياعريان (أى ضع أولويات للإنفاق).

ـ القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود.

ـ إللى تسكر به إفطر به.

ـ من وفر غداه لعشاه إلتقاه (أو ماشمت فيه عداه).

ـ دبر غداك تلقى عشاك.

ـ على قد لحافك مد رجليك.

ـ خد من التل يختل (نبذا للتبذير).

ـ القوت ليموت (أى القليل يكفى حتى لايموت المرء).

ـ إللى يرقع مايدوبش تياب (ما يدوبش دايب وراه مرقع).

ـ التدبير نص المعيشة.

ـ إن كنت على بير أصرف بتدبير.

ـ شعرة من هنا وشعرة من هنا يعملوا دقن.

ـ قال، يا نعمة رايحة فين؟ قالت، عند إللى يصونى (أى أن النعمة تزول عن المسرف).

ـ عصفور فى اليد خير من عشرة على الشجر (أو فى الغد).

ـ لايغرك رخصه ترمى نصه (لو اقتصدنا فيه).

ـ البركة فى القليل.

- خلى حبة لبكرة (أو خلى شربة لبكرة).

- بقرش قهوة يرد الشهوة (أى قليل من الشىء كفاية).

- الطباخة الشاطرة تكفى الفرح بوزة.

- غطى خدك، وإمشى على قدك.

- ما توصيش حريص.

- شـربة من يدة توفر الجرة (رغم مافى ذلك من استغلال للآخرين).

- شعرة من خنزير خير منه (عربى متداول... وفيه معنى الاستغلال أيضا).

- لبس طاقية ده لده.

ورغم هذا الكم من الأمثال الداعية للاقتصاد (٢٨ مثلا) إلا أن المثل المصرى يسخر أحيانا من المقتِّرين على أنفسهم والبخلاء، ومدعى الفقر، وفى ذلك يقول المثل:

- وجع البطن ولا كب الطبيخ.

- يخافوا يشخوا يجوعوا.

- إللى يفنجر من جيبه (لمن يبخل ويبذِّر من جيب غيره).

- الشحاته كيميا (أى فن).

وكما يحرص المصرى على ماله .. يحرص على مال الآخرين ..

فالمصرى «الطيب» أمين لا يخون من يأتمنه.. ويحرص أن يكون رزقه حلالا.. ويرى أن ما يكتسبه عنوة أو خيانة سيضيع البركة، وسيضيع حتما، ولذلك لا يحترم المصرى - كما يتضح من أمثاله - من يخون، ومن يسرق، ويسخر منهم .. وتنقسم الفلسفة المصرية الشعبية فى هذا الصدد إلى توصيف وتحذير، فلا يوجد مثل واحد يحبذ خيانة الأمانة، أو السرقة.. إلا على سبيل السخرية أو التحامق كالقول باستنكار: «إسرق وصدق يا عبدالله !!» وهو قول يوصف المرائين، الذين يتصدقون وكأنهم يمارسون ما نسميه الآن: «غسيل الأموال» وقد انتشرت الأمثال التى تتحدث عن «الأمانة» فى العصور التى انتشرت فيها الأوقاف الخيرية، التى كان يعين لها حارس غالبا ما ينهبها .. ولذلك سخرت الأمثال المصرية من حماة الأموال الذين يسرقونها، ووصفتهم كى نعرفهم.. وقيل فى هذا الصدد:

- سلموا القط مفتاح الكرار (والقط معروف بالخيانة والسرقة).
- حاميها حراميها!!
- حلال كلنا .. حرام كلنا!!
- عويل قال لكفه إللى تفرقه سفه.
- يسرق الكحل من العين.

أما عن التفريق الدقيق بين الحلال والحرام.. والتحذير من أن المال

الحرام لا يربى على سارقه، والحض المباشر على الأمانة وضرورة حفظها، وأيضا السخرية ممن يؤمنون من لا يؤتمن.. وكأنهم يحرضونه ويعلمونه السرقة.. عن كل ذلك قالت الأمثال:

- سرقوا الصندوق يا محمد لكن مفتاحه معايا (عن الغفلة).
- المال السايب يعلم السرقة (عن التهاون).
- إللى يسرق البيضة يسرق الفرخة (فهو غير مؤتمن).
- إللى يسرق البيضة يسرق الجمل.
- المال إللى ما يشبه اصحابه حرام (لأنه شبهه).
- مال تجيبه الريح تأخذه الزوابع.
- مال الوقف يهد السقف.
- الحرام يتاكل بإيه؟!.
- بتاع الناس كناس (مال أو متاع).
- عمر الحرام ما يربى.
- من آمنك لم تخونه.. ولو كنت خاين.
- الحرامى يا قاتل يامقتول (كمصير حتمى).

وعن المثل القائل: «مال الناس كناس» استطلعت د. فاطمة المصرى اتجاهات عينة من المصريين، وافق منها ٩٠٪ على معنى المثل، ورفضه ١٠٪ فقط، ويتضح من ذلك أن الاتجاه العام هو رفض مال الغير،

والتمسك «بالقرش الحلال» مما يؤكد أمانة الإنسان المصرى «الطيب» و«المتدين» معا .

وكما يصف المثل المصرى ويحذر من السرقة والخيانة يطمئن إلى أن:

– عمر المال الحلال ما يضيع.

بينما يرى أن المال الحرام يضيع ، ويقول عنه «ضاع سلقط فى ملقط».

ويعتبر المثل المصرى الندر شكل من أشكال الأمانة التى يجب الوفاء بها، وهو شكل آخر من الوفاء بالوعد، والصدق ، ولذا يقول :

– قل من الندر واوفى.

كل ما سبق تناولنا فيه سمة المصرى «الطيب العفوى» بكل ما تفرع عنها من سمات الصدق ، والأمانة وحب الخير والإحسان للآخرين والتعاون والكرم ، والخوف أو الحذر .. إلى آخره .. ولكن ماذا عن المصرى المنتمى ، المحب لوطنه وبلده وأسرته وبيئته؟؟ .

وكيف عبرت الأمثال الشعبية عن ذلك؟ وهل مازال المصرى الأصيل هو عاشق ترابه ، الرافض للغربة «المحب للاستقرار»؟!! .

عاشق للاستقرار

المصرى محب لبلاده بوجه عام، يرتبط بها كوطن.. ولا يرحب بتركها أو البعد عنها.. ولديه كراهة شبه فطرية للغربة والاغتراب، والوطن لدى المصرى ليس مصر ككل .. ولكن مدينته أو قريته أو الشارع أو الحارة، بل والبيت الذى يسكنه.. فالمصرى الأصيل ينتمى للمكان .. ولا يرحب بسهولة بتركه.. وإذا اضطر لذلك يداخله شجن خفى.. وحنين وشوق للمكان الذى تركه.. ويرجع البعض هذه السمة إلى طابع الاستقرار الذى صبغ به النهر والمجتمع الزراعى سلوك المصرى، الذى استقر على ضفتى النيل.. وزرع الشريط الموازى له.. وبنى بيته، وأنشأ مجتمعه الصغير، كفور ونجوع وقرى، ثم مدن ومحافظات، وكل ينتمى للمكان الذى ولد ونشأ وتربى فيه، يحرص على البقاء فيه، ويعتبر نفسه تغرب لو انتقل من مدينة لأخرى للدرس أو العمل.. ويحن للرجوع إلى مسقط رأسه بشوق المغترب، هذا ويشبه البعض هذه السمة – وهى الاشتياق إلى الديار– بما يشعر به العربى من حنين للمضارب السابقة، التى يعود للبكاء على أطلالها، بعد أن تضطره ظروفه لتركها، ولقد ظل المصرى على هذا الحال حتى عقود ثلاثة ماضية، إلى أن أجبرت الظروف الاقتصادية المصرى على الهجرة إلى دول النفط، فبعد أن كانت

قلة قليلة من المعلمين والأطباء ترسلهم مصر فى بعثات إلى البلدان العربية الخليجية فى الخمسينيات والستينيات .. شهد عقد السبعينيات بداية هجرة واسعة إلى الدول العربية، وشهد عقدا الثمانينيات والتسعينيات هجرة إلى بلدان المهجر (أمريكا وكندا وأستراليا) . فهل يمكن أن نقول بعد كل هذه الموجات من الهجرة - التى بلغ تعدادها الملايين - أن المصرى المعاصر مازال هذا الإنسان المنتمى لترابه، المحب لوطنه العاشق للاستقرار الرافض للهجرة والغربة أو الاغتراب؟!.

هذا ما ستجيب عليه نتائج تحليل المضمون الكمى والكيفى للأمثال الشعبية المصرية، التى صيغت قبل قرون، لتعبر عن نفسية ونهج المصرى آنذاك، ومازال الوجدان المصرى محتفظا بها، ومازال اللسان المصرى يرددها، ويستشهد بها.. وهل اقتصر مفهوم الوطن لدى المصرى على البيت الصغير، أو الأسرة الصغيرة - ولا أقول العائلة - التى يحافظ على تماسكها ويرحل بها؟! أم أن هذه الأسرة الصغيرة أيضا تمزقت بسبب الهجمة المادية التى جعلت المصرى يرحب بالهجرة؟!.

قبل أن نقفز إلى النتائج.. لابد أن نفسد مفهوم المصرى للاستقرار، واهتمامه بأسرته، وتعلقه بها، بوصفها أول نواة للانتماء، واهتمامه بالأصل والتأصيل، كشكل من أشكال الانتماء، ورجوعه

بجذوره إلى أجداده الفراعنة، واعتزازه بهم، وفخره بنفسه، لأنه من سلالتهم - رغم الهوة الساحقة بينه وبينهم - وتمسكه بالقديم والموروث، بما له من ذاكرة حافظة لكل القيم والموروثات الشعبية، وحبه للاقتناء، وسيجرنا كل ذلك للحديث عن تمسك المصرى بالقيم، وهل مازال مستقرا؟! أم حدث انقلاب قيمى، قدم بعض القيم، ونحى أخرى، وغير ترتيب السلم القيمى المصرى وأولوياته.. حيث سنستعرض رؤية المصرى للعلم والجمال والحب والعمل، والحرية والمسئولية ، والمال استكمالا لما أوضحناه سلفا لرؤية المصرى للخير والحق كقيم مطلقة مازال يتمسك بها تعبيرا عن ذاته الطيبة وسلوكه العفوى وعن تدينه الشديد.

قلنا إن المصرى يكره السفر والبعد، ولا يترك دياره بسهولة وقد عبرت الأمثال عن ذلك قائلة:

- من خرج من داره ينقل مقداره.
- الغربة طربة تقل الأصول.
- البعد جفا.
- البعيد عن العين بعيد عن القلب.
- اللى ما تصبحه وتمسيه ما تعرف إيه جرى ليه .
- الغريب أعمى ولو كان بصير.
- ما نابنا من غربتنا إلا عوجة ضبتنا.

- خليك فى عشك لما الدبور يهشك.
- الحجر الداير لابد عن لطه (أو ما ينوبه غير لطه).
- البلد دى أحسن من غيرها.
- البطيخة ما تكبرش إلا فى لبشتها (الوطن والأرض).
- زى السمك إن طلع من المايه يموت.
- عزال يوم خراب سنه.
- طول الغيبة وجه بالخيبة.
- الشيخ البعيد مقطوع ندره (رغم القول بأن سره باتع).
- رايح يحج جاور.
- الغايب حجته معاه (تقال درءا للقلق على الغائب).
- المراسلة نصف المشاهدة (تقال حثا على المراسلة لمن سيغيب).
- متقطعوش الجوابات.
- الغايب مالوش نايب.
- اللقا نصيب (تقال تحسبا من الموت فى السفر).
- الغريب لابد يكون أديب.
- بلد تشيلنا وبلد تحطنا (عن مشقة السفر).
- رب هنا رب هناك (أصلها يا رايح الشام لأجل الغنى ، رب هناك رب هنا).

- مسير الغريب يروَّح بلده (المصرى يعيش على هذا الأمل).
- راح وقال عدو لى (أى أطال الغياب).

كل هذه الأمثال (٢٦ مثلا) تقول بصيغة أو بأخرى: أن السفر والبعد والغربة لها مساوئها، فهى تقل المقدار وتضيع الأصول، أنها «طربة»، ولن تفيد منها شيئا عدا عن «عوجة ضبتنا» أو الضرر «لابد من لطه» و«الخيبة»، والخراب والمشقة، وأن الغريب «أعمى ولو كان بصير»، وأن من يبعد سنجفوه، ولن يعد قريبا من قلوبنا، و«مالوش نايب» وسيقطع ندره حتى ولو كان شيخا وسره باتع، والمصرى قلق على من يسافر، ويرجوه ألا يقطع المراسلة، والجوابات، ولا يطيل الغياب، وحتى من يسافر هربا من شئ ، أو سعيا وراء رزق أو طمعا فى غنى ، فالمثل يؤكد له أن «رب هنا رب هناك».

وبالمقابل نجد بعض الأمثال (٥ أمثال فقط) تحبذ السفر وترى فيه فوائد، وتحث على الترحال فى بلاد الله، وترى فى البعد اشتياقا محببا، فماذا تقول هذه الأمثال على قلتها؟ :

- فى الأسفار سبع فوائد (عربى متداول).
- المركب إللى تودى أحسن من إللى تجيب (يقال أيضا عن الضيوف أو الشر).
- سكة أبو زيد كلها مسالك.

- بلاد الله لخلق الله (يحث على الترحال).

- الشيخ البعيد سره باتع (يقال أيضا لمن يستهين بالقريب).

ومن ملامح حب المصرى للاستقرار، تمسكه بالقديم والموروث، وتمسكه الشديد بعاداته.. بل نظرته للثبات والاستقرار فى الأمور.. وعدم اقتناعه بسهولة بالتغيير، فى ذاته أو فى عاداته، أو فى عادات الآخرين وتصرفاتهم.. فحول «التمسك بالقديم» تقول الأمثال المصرية:

- من فات قديمه تاه.

- قطع الوراید ولا قطع العواید.

- إللى مالوش قديم مالوش جديد (فالتمسك بالقديم يعنى الأصالة).

- ربنا ما يقطع لنا عادة (دعاء).

وعن «التعود والنكوص» ترى الأمثال أن من يتعود على شئ لابد راجع إليه.. ولا يمكن التخلص منه.. وبقدر ما يرى فى التمسك بالقديم من قيمة، بقدر ما يسخر أحيانا من أصحاب العادات الذميمة، الذين لا يمكنهم التخلص منها، ولا يصدق المصرى أنهم قد تابوا عنها، وتقول الأمثال فى ذلك:

- تموت الرقاصة ووسطها بيلعب.

- يموت الزمار وصباعه بيلعب.

- تموت الحدادى وعينها فى الصيد.

- من شب على شئ شاب عليه (عربى متداول).
- رجعت ريمه لعادتها القديمة.
- ناهيتك ما انتهيت، وبالطبع فيك غالب، وعمر ديل الكلب ما ينعدل، ولو علقوا فيه قالب.
- الطبع يغلب التطبع.
- الطبع غلاب.
- عادتهم ولا هايشتروها؟! (أصله ده طبعه فين يوديه؟ هو كان طبعه ولا هايشتريه؟!).
- الطبع والروح فى الجسد ما يطلعش إلا لما تطلع.
- كل إنسان يحكم بطبعه.
- الناس طبايع.
- إللى فينا فينا ولو حجينا وجينا.
- طول عمرك يا رضا وانت كده (أى هذا طبعك).
- من يومك يا خالة وإنت على دى الحالة.
من يومك يا دبيبه وفيك ده العود.
رجع لعنب ديبو.
- اللى فيه خصلة مايبطلهاش.
- إللى نبات فيه نصبح فيه (العودة والتكرار).

- إللى مش واخد على البخور تنحرق «طيزه».
- الدناوة طبع.
- يرجع أخوك عندك أبوك (أى يعود لسابق عهده).
- خذ متعود على اللطم.
- الحمام الغيطى عمره ما يبقى بيتى (ويضرب أيضا فى المرأة).
- إن كانت الماية تروب تبقى الفاجرة تتوب.
- إن تابت «القحبة» عرصت وإن عميت «....»(★).

هذا ويهتم المثل المصرى بالقديم والعادات، فيطلق عليها كثيرا من الأمثال (٣٠ مثلا) ، فى حين لانجد إلا مثلا واحدا عن الجديد .. يسخر منه ، ويرى أنه غير دائم وأنه قد تكون له زهوته لكنها إلى زوال فيقول المثل:

- الغربال الجديد له شدة.

ذلك يعنى أنه يرى أن الدوام للقديم، لأنه الأصيل .. ومن لا يتمسك به يتوه.. وأيضا لن يتمسك بالجديد، بمعنى أنه غير مخلص، ولا يتميز بالأصالة، ولذلك نجد أن المصرى أطلق كثيرا من الأمثال عن «الأصل والأصول» التى يعتز بها كثيرا فيقول:

- ابن الأصول عمره ما يعيب.

(★) يلاحظ على بعض الأمثال استعمال الفاظ بذيئة بعضها عربى فصيح وبعضها عامى.

- على الأصل دور (أغنية صارت مثلا أو العكس).
- إللى ما يكون سعده من جدوده يالطمه على خدوده.
- التنا ولا الغنى (أى الأصل الطيب ولا المال).
- تناه على ظهر إيده (أى غير أصيل ولا يصون جميل).
- كل واحد بيعمل بأصله.
- كل شئ بيرجع لأصله.
- الأصل الردى بيردى على صاحبه.
- الزيت من الزيتونه.
- دود المش منه فيه.
- الفرس الأصيلة ما يعيبها جلالها.
- العلامة إنكبت والنخالة قبت (تحسر على مما أصاب أبناء الأصول).
- إذا لبسنا عوايدنا.. وإن ما لبسنا عين وصابتنا.
- أكل فول ورجع لأصوله.
- إللى فى الدست تطلعه المغرفة.
- كل إناء بما فيه ينضح (عربى متداول).
- إن طلع العيب من أهل العيب .. مايبقاش عيب.

ورغم اعتزاز المصرى بأصله، وإرجاعه للأمور بحسنها وسيئها إلى

الأصول، ومحاولته ربط أعمال المرء بأصله وجذوره.. نجد بعض الأمثال - بالأسلوب المصرى الساخر المعتاد- تتهكم علىَ من يحاولون تأصيل أنفسهم، والفخر بمن ينتسبون لهم.. حتى لو كانوا فروعا بعيدة ، وفى ذلك قالت الأمثال:

- قالوا للحمار، أبوك مين؟ قال خالى الحصان.

- أسأله عن أبوه يقول خالى شعيب.

- القرعة تتباهى بشعر أختها.

- قال يا أبويا شرفنى قال لما يموت إللى يعرفنى.

- يا دودة تتمطعى تتقطعى.

ومن ذلك نرى أن المثل الشعبى يعتز بالأصول بشكل مباشر (١٥ مثلا)، وسخر ممن لا أصل لهم.. ومع ذلك يتمسحون فى أصحاب الأصول (٥ أمثال) بما يعكس أيضا اهتمام المصرى بالأصل والتأصيل.. وذلك الوضع يؤكد عنصر الثبات واستقرار الأوضاع الاجتماعية فى المجتمع المصرى.. لكن الأمر لم يخل من بعض الأمثال التى تؤكد أن الأصل ليس بالمال، وليس بالجدود.. ولكنه بسلوك المرء، وأفضاله، وأعماله الخيرة أو الحسنة، وذلك لتحفيز الناس على العمل الطيب.. والقول بأنه - أى العمل الطيب - كفيل أن يغير من وضع الفرد وطبقته.. ويدخله فى زمرة من يسميهم المصرى: «ولاد الأصول»، الذين

يرى أنهم لا يعيبون ولا يخطئون، لأن أصلهم «يردى» عليهم.. كما ترى الأمثال أن البعض دون أن نعرف أصولهم يمكن أن نحكم عليهم بمجرد رؤيتهم، أو الإطلاع على سلوكهم.. فنذر يسير من التصرفات أو السمات يمكننا بها الحكم على الشخص، إن كان أصيلا أو «عويل»، كما يسمى المصرى من يصنفهم عديمى الأصول.. وفى هذا الصدد تقول الأمثال على قلتها نسبيا.

- أصلك عملك (أى إعمل طيب تدرج بين أبناء الأصول).
- الشاب بسعده.. لا لأبوه ولا لجده.
- فخر المرء بفضله أولى من فخره بأصله.
- إنما أصل المرء ما قد حصل (عربى متداول).
- سيماهم على وجوههم (عربى متداول).
- العيّنه بينه.
- الكتاب يتعرف من عنوانه (أو الجواب ينقرى من عنوانه).

ومن اعتزاز المصرى بأصله نجده دائما يستشعر عدم تقدير الغير له.. ولما يقدم من خير.. ولذلك نجد العديد من الأمثال التى تتحدث عن «نكران الجميل» كوجه من أوجه «قلة الأصل» كما يقيمها المصرى، فرغم اعتقاده فى أن «الجزاء من جنس العمل»- كما سيأتى بيانه فيما بعد - نجده يصف نكران الجميل بأسلوب دقيق، وتشبيهات غاية فى البلاغة،

ويربط بينه وبين الأصل الخسيس.. وعدم صيانة ما يسميه «العيش والملح»، وهو ما يتعتز به المصرى ويجعل له حقا مصانا .. فهو يقول عن ناكرى الجميل:

– أكله لحم ورماه عضم.

– ما راعاش العيش والملح.

– العيش والملح ما يهونش إلا على ولاد الحرام.

– عض الأيد إللى اتمدّت له.

– إللى «يخريه» زى إللى يوضيه.

– تزرعه يقلعك (كل شئ تزرعه تقلعه إلا أبو راس سودة تزرعه يقلعك).

– زى القطط يأكلوا وينكروا.

– زى العرسة يأكل وينسى.

– لما يطيب العليل ينسى جميل المداوى.

– أكلوا الهدية وكسروا الزبدية.

– لحم كتافه من خيرى (تقال عن ناكر الجميل).

– زى عواجيز الفرح يأكلوا وينتقوروا.

– بعد ما كل واتكى قال ده ريحته مستكه.

– جزاء سنمار (عربى متداول).

- ربيت كلب إندار عقرنى.

- لو قيدت له صوابعى العشرة شمع (تبسيط لمثل عربى يقول، لو أوقدت لك العشرة ما رأيتهم إلا ظلاما).

- أنا فيك بدادى وأنت بتقطع أوتادى.

- خير عملنا.. والشر جانا منين؟!.

- آخر المعروف ينضرب بالكفوف (أو جزاء المعروف ضرب الكفوف!!).

- آخر خدمة الغز علقة.

- خير تعمل شر تلقى.

- يا شاكر غيرى يا ناكر خيرى.

- ربيت فلان مطمرش فيه.

وتتوعد الأمثال ناكرى الجميل بأمور من جنس عملهم وأسوأ، فتقول موجهة الخطاب لهم:

- ماتعرف مقدار أمك إلا لما تعاشر مرات أبوك.

- يا ناكر خيرى بكره تعرف زمانى من زمن غيرى.

هذا ويتبنى الوجدان المصرى ترديد المأثور العربى المتداول، والمحذر للخيرين والمحسنين، مما قد ينالهم من عديمى الأصل وناكرى الجميل والقائل:

– إتق شر من أحسنت إليه.

هذا ونجد المصرى « المحب للاستقرار»، والمتمسك بالقديم والموروث، والميال لإرجاع الأمور إلى جذورها وأصولها، نجده يضع دستورا محكما من أمثاله الشعبية، ليحكم به صيرورة الحياة مستقرة، وذلك نجد للحب والمحبة دستورها وقوانينها، التى تحفظ استقرارها ودوامها.. كما نجد للأسرة الصغيرة، متمثلة فى العلاقة بين الرجل والمرأة والأبناء قوانينها الملزمة من خلال الأمثال الشعبية، التى لم تترك شاردة أو واردة إلا وناقشتها، ووضعت لها الحدود التى تضمن لها الاستقرار، كذلك علاقات القربى والروابط بين الأهل، التى تضمن تنظيم العلاقات العائلية واستقرارها بل وأكثر من ذلك اهتمت الأمثال بأمور «الحب والمشاعر» بوصفهما النواة التى تقوم عليها شتى العلاقات الاجتماعية المستقرة، وفى ذلك تناولت الأمثال كل ما يتعلق بهذه المشاعر من علاقات شد وجذب، وغيرة، وألفة ، ودلال أو «تقل» وغواية، وتحمل من المحبين لكل من يأتى من أحبائهم ليصل أحيانا إلى حد الذل و«البهدلة».

وفى هذا الصدد أيضا انقسمت الأمثال ما بين التوصيف والتقنين للأمور رفضا أو قبولا .. ففى مجال التوصيف تقول الأمثال عن «الحب والمشاعر»، وما يرتبط بهما:

– الحب خايلة بنار هايلة عوج السليم وعدل المايله.

- الحب بهدلة.
- العين وما تهوي والقلب وما يريد (أى لا مبرررات ولا أسباب).
- النفس وما تشتهى، والقلب وما يريد.
- مراية الحب عامية (الحب أعمى).
- التقل صنعه.
- القلب له أحكام.
- الحب مش بالعافيه (لا إجبار فيه).
- حبنى وخد لك زعبوط، قال هى المحبة بالنبوت؟!.
- الغرض مرض.
- كل من جانا يحب مرجانة.
- وقعت وللا الهوى رماك؟!.
- حبيبك إلى تحب.. ولو كان دب (ولو كان عبد نوبى).
- ما تعب إلا تعب القلب.
- القلب له واحد (عن الوحدانية فى الحب).
- قد الودعة وله فى القلب لدعه (وتقال أيضا فى معنى جنسى).

هذا ويؤمن المثل المصرى بالوحدانية فى الحب، وأنه يأتى دون مبررات أو أسباب ، ولا يكون بالإكراه .. أو حتى بالإغراء المادى ، وهو أعمى .. بل ويقلب الأمور وفقا لما يشتهى ، والحب كما يرى المثل

المصرى علاقـة تبـادلية ، تعتمد على العطاء والبذل المتبادل ، وفى ذلك يقول المثل:

- إللى يبص لى بعين أبص له باتنين.
- تراعينى قيراط اراعيك قراطين.
- من القلب للقلب رسول.
- من رادك ريده، ومن طلب بعدك زيده.
- من فاتك فوته.
- من حبنا حبناه وصار متاعنا متاعه .. ومن كرهنا كرهناه يحرم علينا اجتماعه.

وإذا كانت الأمثال ترى ضرورة التبادلية فى العطاء فى هذا العدد من الأمثال (٦ أمثال فقط) ، فهى ترى الحب عطاء وبذلاً دون مقابل فى كثير من الأمثال ، نذكر منها :

- الغاوى ينقط بطاقيته (أى بأى شىء أو آخر ما يملك) .
- من حبه فى القلقاس حلقوا له ظلبطه (أى رضى بأى شىء) .
- إللى يحب الكمون يتمرغ فى ترابه .
- إن كان حبيبك تعبان إتلفح به .
- إن حبتك حية إتلفح بيها (أو إطوق بيها) .
- غالى والطلب رخيص (أى يرخص كل شىء من أجل الحبيب) .

- خلى حبيبك على هواه لما ييجى ديله على قفاه (أى تحمل إلى آخر مدى) .

- الرجل تدب مطرح ما تحب .

- قلوب عليها دروب وقلوب من الهم تدوب (أو من الهوى تدوب) .

- نموت ونحيا فى حب يحيى .

- عيش ياحبيبى ولو تبكينى ، حسك فى الدنيا يكفينى (منتهى الأثرة) .

- من لقى أحبابه نسى أصحابه (ترك كل عزيز من أجل الأحباب) .

- ياعينى على اللى حب ولا طالشى !! .

هذا ويسخر المثل المصرى أحيانا من تدله المحبين ، ومن أنهم لا ينتظرون مقابل لحبهم وعطائهم .. بل يحبون دون منطق ، ودون مبرر مفهوم ، ويرون فى الحبيب ما لا يراه غيرهم ، ويرضون بالقليل من عطائه بل يرون فيه الكثير .. وفى ذلك تقول الأمثال :

- بصلة المحب خروف .

- ضرب الحبيب زى أكل الزبيب .

- القط ما يحبش إلا خناقه .

- البوسة فى إيده رطل (أى الحبيب) .

- إللى يلاقى دلع ولا يتدلعش ربنا يحاسبه !! .

- إن كان حبيبك عسل متلحسوش كله (منعاً للعشم الزائد) .

- لما يحب «يخرى» !! .

- يا نعيش سوا يا نموت سوا !! .

- المحبة تقلل شروط الأدب (إذ تسمح بالتطاول) .

- شدة الألفة تسقط الكلفة .

- إللي موش في القلب همه صعب .

أما عن الدلال والتمنع ، والمراوغة في الوصال والحب فلها قواعدها التي وضعها المثل الشعبي المصري قائلاً :

- نفسي فيه .. إخي عليه !! .

- عبنا فيه ونقول إخيه !! .

- نفسها بس خايفة من الحبل .

- من ده أكش ، ومن ده أخاف ، ومن ده أخرج حبلة من تحت اللحاف .

- يتمنعن وهن الراغبات (عربي متداول) .

- تماحيكو عجب !! .

- لا باحبك ولا أقدر على بعدك ! .

- إذا رأيته يسبه إعرف إنه يحبه (ولكن يتدلل) .

أما عن «الغيرة» كسلوك مرتبط بالحب ، فلها أيضاً قواعدها ، التي

يرسمها المثل المصرى ترحيبا ، أو رفضاً ، أو إقراراً ؛ لأنها ملمح من ملامح الحب وضروراته .. وفيها يقول المثل :

- الغيرة مرة ، والصبر على الله .

- إللى ما يغير ولا من الحمير .

وترى الأمثـال أن الحـب لا يخـفى أمره ، ويظهر للجميع وتقول فى ذلك :

- الحب والحبل ، والركوب على الجمل ما يختفى .

- مادام تحب بتنكر ليه ؟!! (تساؤل إستنكارى) .

- هو الحب بيستخبى ؟!! .

- إذا حبيت دارى ، وإذا كـرهت وارى (توجيه صـريح بالكراهة) .

وتضع الأمثال قواعد أخرى مختلفة للحب ، ومتطلبات تراها ضرورية لاستمراره ودوامه واستقراره ، إذ تقول :

- إن عشـقت إعشـق قمر ، وإن سرقت إسـرق جمل (شرط الجمال) .

- قـرد مـوالف ولا غـزال شـارد (شـرط الوفاق .. وهو عكس المثل السابق) .

- الحب عاوز كلفه ، علشان تدوم الألفة (شرط المال) .

– إذا دخل الفقر من الشباك خرج الحب من الباب (فى نفس المعنى، الغنى) .

– أقرب طريق لقلب الراجل معدته (شرط المهارة فى الطهى) .

– الحب من أول نظرة .

– الأذن تعشق قبل العين أحياناً (حلاوة الصوت) .

– كتر الأسية تقطع عروق المحبة .

– كتر العتاب يفرق الأحباب .

والمصرى يرى فى الحب ذاته ضرورة للحياة .. ويرى أن من لا يحب ولا يعشق لا يستحق أن يوصف بأنه إنسان ، وفى ذلك يقول المثل :

– – إيش تقولوا فى جدع لا عشق ولا إتمعشق ؟ قالوا ، يعيش حمار ، ويموت حمار .

فالحب ضرورة يمارسها المصرى ، ويعتز بها .. حتى ولو قتلته .. فعنده أن «حب الدبة قتل صاحبها !» وأنه «ومن الحب ما قتل !» ، وأن «إللى تكرهه إنت يحبه غيرك» . لكن الحب دائما هو محور حياة المصرى ؛ كعنصر مكمل لتدينه وطيبته ، وأيضاً كمحرك لحياته الاجتماعية ، والأسرية ، وعنصر فاعل فى بقائها واستمرارها ، وسيتضح ذلك أيضاً من تحليلنا للأمثال الشعبية المصرية التى تتناول «الزواج والأزواج» وهو ما يوضح لنا تمسك المصــرى بالحب كرباط

أســـاسى لاســـتقرار الزواج ، وترحيبه بالزواج كضـــرورة اجتماعية – حتى ولو كانت شرا – وحتى لو كان الرجل مجرد «ظل» .. وفى ذلك تقول الأمثال :

– يا بخت من وفق راسين فى الحلال (تحبيذ للسعى فى التزويج) .

– ما جمع إلا أما وفق (أى تشابه أو توافق إجتماعى) .

– جوزوا زقزوق لظريفة .

– يا واخدة القرد على ماله ، يروح المال ويفضل القرد على حاله .

– خدوهم فقرا يغنيكم ربنا .

– تغور العورة بفدانها .

– خد الأصيلة ولو كانت على حصيرة .

– قلة الذكر تاسى على النظر(أى أن الرجل ضرورة) .

– ضل راجل ولا ضل حيطة (ضرورة الزواج) .

– بلدك فين ياجحا ؟ قال ، إللى فيها مراتى (فالمرأة وطن) .

– ربنا يهنى سعيد بسعيدة (عن الوفاق) .

– إن كان بدك تصون العرض وتلمه جوز البنت للى عينها منه (أى من تحبه) .

– أقعد على البساط وإختار ست الستات .

– تقعد فى المجال وتاخد سيد الرجال .

- يحرم على بيت الأهلية .. أحسن يقولوا ، العاوزة جاية .

- قعدتى بين أعتابى ، ولا قعدتى بين أحبابى (تفضيل لبيت الزوج عن بيت الأهل) .

- جهنم جوزى ولا جنة أبويا .

- إن ماكنش لك أهل ناسب (فى الحض على الزواج طلباً للعزوة) .

- الجواز نص الدين .

- عريس الهنا يارتنى كنت أنا .

- أخطب لبنتك .. ولا تخطبش لابنك .

- كل شىء ييجى بالخناق .. إلا الجواز بالإتفاق .

- الجواز شر .. لابد منه .

- دور الحق على غطاه لما إلتقاة (عن التوافق الإجتماعى) .

مين يشهد للعروس إلا العريس .

- إيش طبخت العمشة لجوزها يتعشى (نوع من الرضا والوفاق) .

- قبل ما تناسب حاسب (أى دقق) .

- إسأل قبل ما تناسب يبان لك الردى والمناسب .

- أقل الرجال يغنى النسا (عن ضرورة الزواج) .

- لا بمالك ترغبني ، ولا بحلاوتك تعجبني (أى لا أحبك) .

- جوزوها له مالها إلا له (من فرط التشابه والوفاق) .

ذلك كله عن تحبيذ الزواج ، والترغيب فيه ، ووضع الوفق والتوافق الاجتماعي والحب كأحد شروطه وأولوياته ، وضحت كثرتها (٣١ مثلا) في مقابل عدد من الأمثال التي لا تحبذ الزواج ، ولا تحض عليه ، وتفضل العزوبية عليه .. ولكن إذا كان غير مناسب .. فالمثل الشعبي هو خلاصة الحكمة المقطرة .. بعد طول تجارب .. فقد تكون العزوبية أفضل إذا كانت الزيجة يتوقع لها الفشل ، أو لا تحقق السعادة والاستقرار المنشود ، وفي ذلك تقول الأمثال :

- الجواز دفع مهر ، وفرح شهر ، وغم دهر .

- العروسة أول أسبوع فانوس منور ، وثاني أسبوع قرد مصور .

- ما كان ناقص على ستى إلا طرطور سيدى (فالزواج لم يضف لها جديداً) .

- متجوزة عدس وعازبة عدس .

- ما تحسبوش يا بنات إن الجواز راحة .

- العزوبية ولا الجوازة الردية (وتقال أيضاً الجوازة العرة) .

- قعاد الخزانة ولا الجوازة الندامة .

- إمشى في جنازة ولا تمشيش في جوازة (عكس يابخت من وفق راسين) .

- ألف رفيقة ولا لزيقة (يقال تهرباً من مسئولية الزواج) .

ومما سبق يتضح مدى تحبيذ المثل المصرى للزواج وتكوين الأسرة بنسبة (٣١ : ٩) ، وذلك كمدعاة لاستقرار المجتمع : باستقرار نواته الأولى ، وهى الأسرة .

ورغم أن «تعدد الزوجات» حق للرجل .. فإن المثل المصرى تناول هذا الحق بحكمة شديدة ؛ لما له من مضار تهدد أمن الأسرة وتهدد الاستقرار الذى ينشده للمجتمع ككل .. فسخر بشدة من الرجل المزواج، كما سخر وتهكم على المرأة التى تقبل الزواج من متزوج - بوصفها عنصراً فاعلاً فى إتمام مثل هذا الزواج وممارسة ما يهدد الاستقرار .. وعن ذلك قالت الأمثال :

- من كتـرت ماليته هانت عليه وليته (كثرة المال كعامل من العوامل) .

- إللى يتجوز اثنين ياقادر يا فاجر .

- من عمل النسوان تجارته باخسارته .

- عقربتين فى الحيط ولا ستتين فى البيت

- الضرة مرة .

- يا واخدة جوز المرة يامسخرة .

- تاخدى جوزى وتغيرى .. ما تخيلى (تقوله الزوجة الأولى لضرتها).

- جنازته ولا جوازته (تدعو به الزوجة الأولى على زوجها) .

- أدينى حيـة لما أشـوف إللى جـاية !! (إذا كانت أحسن منها أم لا ؟) .

- زى الفريك ميحبش شريك (تقال رفضاً للضرة) .

- القديمة تحلى .. ولو كانت وحلة (تقال تأكيداً لندم الزوج وعودته لبيته الأول) .

- هو عايز نقرة ، وللا مصطبة يقرا (تقال لمن يعيب زوجته كحجة للزواج من أخرى) .

- يا مأمنة للرجال يا مأمنة للماية فى الغربال (تأكيداً لخيانة الرجل وعدم إخلاصه) .

- قصقصى طيرك لا يلوف بغيرك (نصيحة للمرأة) .

- برة فرشت لك . وجوة فرشت لك ، وإنت مايل مين يعدلك .

- الأم تعشش والأب يطفش (اتهام للرجل الذى يهدم بيته) .

- الأب عاشق ، والأم غيرانة ، والبت حيرانة (نموذج للعلاقات الأسرية غير القويمة) .

وكما هى عادة المثل الشعبى المصرى يعبر عن وجهتى النظر .. حتى وإن مثلت إحداهمـا رأى الأقلية ، ويعود فيحبذ تعدد الزوجات قائلاً :

- جوز الاثنين عريس كل ليلة .

- الضرة تعدل العصية (أى دواء للزوجة المهملة) .

ولما كانت المرأة هى «حاملة الثقافة» على حد قول أبـو الاجتماعيين د. سيد عويس .. فإن المرأة - كما أتصور - هى من أطلقت هذا الكم الكبير (١٧ مثلا) من الأمثال المنددة بالزواج الثانى .. وبمن يتزوج عدة مرات ، وهى التى حفظت هذا التراث من الأمثال ، ورددته حتى استقر فى وجدان الشعب المصرى ، ومازال يتداوله حتى الآن .. فى مقابل مثلين فقط قد يكون الرجل هو من أطلقهما ، أو أطلق أولهما ؛ كترغيب لأمثاله من الرجال فى الزواج من أكثر من واحدة ؛ حتى يسعد كل ليلة بلقاء جديد .. أو ليتباهى على أقرانه بأنه «عريس كل ليلة» ، فى حين أن المثل الثانى قد تكون أطلقته إمرأة حكيمة أو «حمـاه» كعقاب لزوجة ابنها ذات العصبة المعوجة ، ناصحة به ابنهـا ؛ كى يتزوج ثانية ، ويأتى بضرة للزوجة الأولى .. ولكن أياً ما كان الأمر فهم مثلان فقط ؛ يحبذان عادة تهدد استقرار المجتمع المحب للاستقرار والديمومة ؛ لأنهما مظهر من مظاهر الأمان والطمأنينة ، فى الأسرة نواة استقرار المجتمع كله .

وإذا كان المثل المصرى لا يحبذ التعدد كماً .. فهو يرى فى الطلاق حلاً للحياة الزوجية الفاشلة .. إذا استحالت العشرة ، ولم يطرح التعدد

كبديل .. ومع ذلك فالأمثال القائلة بالطلاق أيضا ليست كثيرة ، قياساً بالداعية للزواج (٣١ : ١٤) ، وهو ما سيتضح من استعراضها وتحليلها .. وهى تقول :

- هى جيزة نصارة ؟! (أى أن الطلاق أمر ممكن كحل) .

- جوازة نصرانية .. لا فراق إلا بالخناق .

- الراجل فى السوق بينباع وبينشرى (أى ممكن تركه) .

- زى ما دخلنا بالمعروف نخرج بالمعروف (تبسيط للطلاق بسلام) .

- عريس الغفلة والباب بلا أفلة (أى يمكن رده أو طرده) .

- إنت تاخدى سيد سيده (يضرب للأزواج عند الطلاق) .

- أنت تاخد ست ستها (يضرب للأزواج عند الطلاق) .

- بفلوسك بنت السلطان عروسك (ويقال تحبيذا للمال عند الزيجة الأولى وأيضاً إذا ما رفض العريس) .

- الزمان ده ياالله يهده .. لما الراجل يغضب والست ترده (يقال فى الخلافات الزوجية) .

- لا إتجوزت ولا خلى بالى .. ولا أنا فضلت على حالى .

- زى الحرمة المفارقة .. لا هى مطلقة . ولا هى معلقة .

- خالتى وخالتك وإتفرقت الخالات (يقال عند التطليق بمعنى انقطاع الصلة) .

– لا طلاق ولا عتاق (عن الخلاف الزوجى) .

– عشيقك ما تاخديه ، وطليقك ما ترديه (لأنه سيظل يعايرك) .

وعن جانب التحبيذ للطلاق فيما سبق ذكره من أمثال (١٤ مثلا) سنجد ستة أمثال – أو أقوال – فقط ، هى التى تقال فى تشجيع الطلاق ، والباقى مجرد توصيف لحالات الخلاف الزوجى .. وفى حالات رفض العريس .

هذا وتضع الأمثال المصرية قواعد عامة للعلاقات الزوجية ، تحبذ فيها بعض الأمور ، وترفض بعضهـا .. فعن زواج الأقارب قالت الأمثال :

– ناسب من الزرايب ، ولا تناسب من القرايب .

– إن كان لك قريب لا تشاركه ولا تناسبه .

– الدخان القريب يعمى .

– بارك الله فى المرة الغريبة ، والزرعة القريبة .

وكأن الوجدان المصرى قد أدرك بالفطرة ما فى زواج الأقارب من مشاكل .. وتعكير صفو الأهل وأمراض وراثية ، وفى مقابل ذلك نجد مثلين فقط يحبذان زواج الأقارب .. وإن كانت تعبيراً عن صوت فردى ، إذ تقول الفتاة :

– أخد ابن عمى .. وأتغطى بكمى (أى حتى لو كـان لا يملك شيئاً) .

- نار القريب ولا جنة الغريب .

وعن البوار .. وكراهة المرأة له .. وتصور استحالة الزواج بعد طول بوار ، بل وعدم رغبة الرجل المصرى فى الفتاة العانس .. فهو أحياناً يفضل عليها الأرملة ، أو المطلقة ، عالجت الأمثال هذا الأمر قائلة :

- قالوا للبايرة ، جالك عريس ، قال مش حصدق إلا لما أعنق (ويضرب أيضا لإستحالة شىء بعيد المنال) .

- لا مال ولا جمال ، منين ييجى الفال (استبعد الجزء الأخير ويقال الأول تحسراً) .

- من كتر خطابها بارت . مسى عليها الليل واحتارت .

- خطبوها إتعززت . وفاتوها إتندمت .

- البايرة أولى ببيت أبوها .

- البنات مربطهم خالى .

- دور مع الأيام إذا دارت ، وخد بنت الأجاويد إذا بارت .

وعن قواعد السلوك .. والتعامل بين الزوج والزوجة قالت الأمثال الكثير ، والمتراوح بين المطالبة بالشدة والإرهاب ، وبين الاحترام والتقدير خاصة أمام الآخرين . وضرورة أن يكون الزوج - بوصفه رب البيت - قدوة لزوجته وأبنائه .. وأن يقوم الزوج بواجباته كى يعجب مراته ويعجب الناس ، وأن يتخير الرجل الزوجة المناسبة من البداية ،

وألا يثقل على أهل زوجته بكثرة الزيارة ، أو بالإقامة معهم ، عن كل ذلك وغيره قالت الأمثال :

- جوزناها تتاخر ، راحت وجابته راخر .

- إذا كان رب البيت بالدف ضارب فشيمة الصبيان كلهم الرقص (عربى متداول) .

- إللى يقول لمراته ياعورة ، تلعب بيها الناس الكورة ، واللى يقول لها يا هانم ، تقف لها الناس على السلالم .

- من همه خد واحدة قد أمه .

- إلبس تعجب مراتك ، ولبس مراتك تعجب الناس .

- إدبح بسك ليلة عرسك (أى إرهبها من أول ليلة) .

- أبويا وطانى وجوزى علانى (تقوله الزوجة إعزازاً لزوجها) .

- إن درى جوزك بغيبتك كملى يومك وليلتك (فى حالة عدم استئذان الزوج فى الخروج) .

- الراجل ومراته زى القبر وأفعاله (سر دفين) .

هذا ويسخر المصرى كعادته ، ويتفكه على مدى الوفاق بين الأزواج خاصة إذا كانت سماتهم مما يدعو للسخرية ، وأيضاً إذا كانا يتميزان بالقبح ونبالغ فى الفرح بهما .. كما يصف من يسعون فى الفرح بمبالغة بأنهم «متاعيس» ، وكنموذج لذلك الأمثال القائلة :

- العروسة للعريس والجرى للمتاعيس .

- الحمارة النكدة تقع فى أردى التلاليس .

- تبقى عورة وبنت عبد ، ودخلتها ليلة الحد . ومشتهية الحب .

- العرس بزوبعة والعروسة ضفدعة (عن المبالغة) .

- أم العروسة فاضية ومشغولة أو مشبوكة (عن المبالغة فى الانشغال) .

- جوزوا مشكاح لريمة .. الأثنين ما عليهم قيمة .

وهناك الكثير من الأمثال التى تتحدث عن أن «الزواج قسمة ونصيب» و «أن السكوت علامة الرضا» فى الزواج ، وأن من واجب الأب على بناته أن يتخير لهم ، ومن ذلك القول :

- جوزها بايديك .. وناديها تجيك .

- قيدها بقيد حديد ، وجوزها فى بيت سعيد (تحبيذ للغنى وإجبار الفتاة على الزواج به كبعد نظر من الأب) .

- أخطب لبنتك ولا تخطبش لابنك .

- جوز ابنك لدمياطية ، ولا تجوز بنتك لدمياطى (لشهرتهم بالحرص) .

- جوز بنتك لصايغ ، ولا تجوز ابنك لبنته .

وهذه فلسفة خاصة بالمال وعلاقته بالزواج ، وضرورة مراعاة الابنة

بتزويجها من الغنى السعيد ، والاختيار لها .. بل وإجبارها أحياناً من أجل مصلحتها ، ولن تفتقد ، فحين تناديها ستأتيك ؛ لأن الابنة لا تفتقد بالزواج .

ورغم إعلاء الأمثال الشعبية لقيمة الزواج .. وقيمة الزوج ، نجدها تضع قيمة الاخ قبله ؛ لأنه كما سبق القول «ينباع وينشرى» . أو كما يقول المثل :

– الجوز موجود ، والابن مولود ، والأخ مفقود .

واستكمالا لقوانين العلاقات الأسرية نستعرض الأمثال الشعبية المتحدثة عن «الأبناء» ثم عن «الوراثة والشبه» .. وكنموذج لها ما قيل فى تحبيذ الإنجـاب ، بوصفه نعمة ، وسنداً ، وعزوة ، وذخيرة ضد الأيام ، فالأمثال ترى فى الأبناء امتداداً للحياة ، خاصة إذا كان المولود ولداً .. والمثل الشعبى يعكس حب المصرى والمصرية ، وتفضيلهما للأبناء الصبية على البنات ؛ ولذلك يقول :

– العيال عزوة .

– البطن متجيبش عدو .

– من خلف ما ماتش (أو . الأولاد ذكرى) .

– الصغار أحباب الله .

– هننونى ومننونى ، معرفش غير إللى ولدونى (فالولاء دائما للوالدين) .

- كلمة ولد تهز البلد .

- يأم الولد حطى الولد فى الجيب ، الواد زخيرة للعجز والشيب .

- إللى مالوش ولد عديم الظهر والسند .

- إياك على ده الطلق يكون المولود غلام .. ولا تكنش بنية وتشمت الجيران .

- الكتكوت الفصيح من البيضة يصيح .

- آخر العنقود سكر معقود .

- الضنا إن لف ودار .. ما يلقاش غير حضن أمه دار .

- سيب العجل يعرف أمه (أو عند الرضاع العجل يعرف أمه) .

- خذوا فالكم من عيالكم (أى تفاءلوا بما يقولون) .

- أعز الذرية ولدين وبنية (الصبية أكثر) .

- لما قالـوا ، دى بنية ، إنهد ضهر البيت على ، ولما قالوا ، ده غلام، إنشد ضهرى واستقام .

ويتضح من ذلك تفضيل انجاب الصبى على الصبية .. وإن كـان هناك استدراك يتضح فى بعض الأمثال .. لكنها كمياً أقل ، وتقول :

- من سعدها زمانها تجيب (جابت) بناتها قبل صبيانها (ليساعدوها فى تربيتهم) .

- إكسر للبنت ضلع يطلع لها اتنين (وتقال للعيل أيضاً) .

- أبو البنات مرزوق .

- الولد فرحة .. ولو كان طرحه (أى بنت) .

- من كترت بناته صارت الكلاب صهراته .

- بنت الكبه قاعدة على القبة ، وابن اسم الله أخذه الله .

ويستدرك المثل الشعبى ، الذى يصور أن مجىء الابنة يهد ظهر البيت حزنا وكمداً ، فيقول :

- لما قالوا ، دى بنية ، قلت ، الحبيبة أهى جية ، تكنس لى ، وتمسح لى وتملى البيت علىّ (لكنه أقل شيوعاً ويظهر نظرة المجتمع للبنت ودورها) .

وحتى فى الأحفاد يؤكد المثل الشعبى أن ابن الابن هو السند ؛ لأنه من العصب .. رغم أن أمه «عدوه» أو غريبة .. فى حين أن ابن البنت لا ولاء له لأهل أمه ، ويصاغ هذا المعنى فى مثل يقول :

- ابن الحبيبة عدى وخلانى ، وابن العدوة عدى وعدانى .

كما ترى الأمثال أيضاً أن الحفيد عن البنت لا حكم لنا عليه ؛ لأنه ابن شخص غريب ، وفى ذلك يقول المثل :

- أحكم بطبعك وطبع غيرك لا ، وأحكم فى ملكك وملك غيرك لا ، وربى ابنك وابن بنتك لا .

هذا ونجد من الأمثال الشعبية ما يظهر رفض كثرة الإنجاب ، بل وإظهاراً لعيوب هذه الظاهرة السائدة فى المجتمع المصرى .. لكن هذه الأمثال من حيث العدد لا تماثل الداعية للإنجاب، والمفندة

لميزاته ، والمحبذة لإنجاب الصبية على البنات .. ومنها نذكر فيما يلى الأمثال التى تحض مباشرة على الإكثار من الأبناء كى تربط المرأة الرجل ، أو «لتكيد الأعادى» .. إلى آخر هذه المسببات الواهية ، التى ذكرتها الأمثال قائلة :

– يغلبك بالمال اغلبيه بالعيال .

– عمر الوحدانى ما يكيد عدو .

– أشوفهم ورايا ولو عرايا .

كل ذلك لأن المصرى يرى فى الأبناء ديمومة لحياته وامتداداً لها .. واستمرارا للحياة والاستقرار .

أما عن الأمثال التى تبين وتفند مساوئ الأبناء .. ومشاكلهم أو متاعبهم ، وما قد يلاقيه الآباء منهم من جحود ومشقة .. وأحياناً فقر .. فنورد منها :

– يا أبو العيال دايما شيال (حمول أو هموم) .

– من يوم ما جبتكم يا أولادى ، ما هنا لى زادى ، ولا بصيت من طاقة ، ولا مضغت لبانة ، ولا نمت فى حضن أبوكم عريانة .

– قلبى على ولدى إنفطر ، وقلب ولدى على حجر .

– إللى يسمع كلام العيال ، ما يسلمش من الخوازيق (★) (لما يجرونه من مشاكل) .

(★) ويقال لفظ بذىء بدلا من خوازيق فى نفس المعنى .

- يعملوها الصغار .. ويقعوا فيها الكبار .

- إللى مالوش خير فى أهله مالوش خير فى حد .

- مش يا بخت من ولدت .. يا بخت من سعدت (فالسعادة ليست دائماً بالإنجاب) .

- قال : يا أبويا ما أنامش حداك ، قال ، يا بنى ريحتنى من فساك (كمواجهة لجحود الأبناء) .

- يمـوتوا فـى قمـايطهم ولا تكبر مصيبتهم (دعاء على العاقين من الأبناء) .

- يقولوا يارب قرش يجيلهم كرش (عن الفقراء) .

- حبلة ومرضعة وقدامها أربعة .. وطالعة الجبل تجيب دوا الحبل .. وتقول : يا عينى عليه يا قلـة الذرية (سخرية من كثرة الإنجاب والتكالب عليه) .

- مسير الابن يبقى جار .

- من كترت أولاده قل زاده (فهم مجلبة للفقر) .

- الولد السو يجيب لأهله النعيله (أو اللعنة) .

- إللى ما يغليها جلدها ما يغليها ولدها .

ومما سبق يتضح لنا مدى تفضيل المصرى للإنجاب ، فى مقابل تبيانه لمساوىء الأبناء ، وما يجرونه على آبائهم (٢٦ : ١٥) ، ونستطيع

أن نضيف إلى ما سبق جانباً آخر من الأمثال ؛ يوضح أن الأبناء موضع فخر من آبائهم .. حتى ولو تميزوا بالقبح .. فالأمثال تقول :

- القرد فى عين أمه غزال .

- الخنفسة تشوف ولادها على الحيط تقول : ده لولى ملضم فى خيط .

- ولد مولدتوش ولاده (لا مثيل له) .

- ولد شارب من لبن أمه (أى شجاع) .

- بنت ولا كل البنات .

وكى تستقيم الحياة والعلاقة بين الآباء والأبناء ؛ تضع الأمثال المصرية قواعد للتربية ، تتراوح بين المطالبة بالشدة وبين المآخاة للأبناء و«المسايسة» ؛ وذلك يتضح من الأمثال التالية :

- إن كبر ابنك خاويه .

- إن كان بدك تعرف ابنك وتسيسه .. إعرف مين جليسه .

- إللى ما يضربه أبوه وأمه على الكخ ، عمره ما يعرف سكة الدح .

- ابن الديب ما يترباش .

- إضرب ابنك وإحسن أدبه ، ما يموت إلا أن فرغ أجله .

- إكسر للعيل ضلع يطلع له اتنين .

- إللى ما يربيه أمه وأبوه ، تربية الأيام والليالى (إللى ما تربية الأهالى ...) .

- المعزة العياطة ما ياكلش ابنها الديب (لأنها تسهر عليه) .

- تربية العز وأكل الوز .

- الخرسة تعرف بلغى ابنها .

وكما وضعت الأمثال قواعد للتربية والسهر على الأبناء وإعزازهم ، والشدة معهم حيناً ، واللين حيناً آخر ، نجد قلة من الأمثال تقول بالإتكال ، وترك الأمور على أعنتها ، وكنموذج لذلك :

- قال : مالك مربى ؟؟ قال . من عند ربى (فالهدى من عند الله) .

- ابن الهبلة يعيش أكتر (بالتوكل) .

وينبه المثل المصرى الذى يحض على التربية ، ويضع قواعدها .. ينبهه إلى قصر ذلك على الأبناء ، دون التدخل فى تربية أبناء الآخرين ، وفى ذلك قالت الأمثال :

- يا مربى فى غير ولدك .. يا بانى فى غير ملكك .

- أدعى على ولدى .. واكره من يقول : آمين .

- هى القطة تاكل أولادها ؟! (أى لا تتدخل بين أم وأولادها) .

- إذا كانت الدايـة أحن من الوالدة .. كـانت تبقى خيبة زايـدة .

هذا ويرى المصرى أن الأبناء «بالوراثة والتشابه» امتداد لحياته واستقرار للحياة بوجه عام ، وفى ذلك تقول الأمثال :

- من شابه أباه فما ظلم (عربى متداول).
- إبن الوز عوام .
- ولد الفار يطلع حفار .
- بنت الحراتة تطلع دراسة .
- إن هذا الشبل من ذاك الأسد (عربى متداول) .
- طالع من عباية أبوه (أو كم أبوه) .
- اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها (أو إكفى القدرة ...) .
- العرق يمد لسابع جد .

وبقدر ما أكدت الأمثال عنصر الوراثة والتشابه بين الوالدين والأبناء ، واستقرار العناصر أو السمات الوراثية ، نجدها تنحى هذه السمات فى أمثال أخرى لكنها قليلة (٣ أمثال فقط) تقول :

- أم «بربور» تجيب الشاب الغندور .
- يخلق من ضهر العالم فاسد (أو جاهل والعكس صحيح) .
- النار بتخلف رماد .

وترجع الأمثال التشابه والوراثة أحياناً للجدود البعيدين ، أو للأخوال والعمات ، فتقول فى ذلك :

– العرق دساس .

– ولدا لخاله (أو الولد لخاله ، والبنت لعمتها) .

– كلهم سلالة ولاد عمه وخالة .

– الطينة من الطينة ، واللتة من العجينة .

وتنطلق الأمثال المتنـــاولة لعلاقات الأبوة والبنوة ؛ لترســـى قواعـد مختلفة ، تعكس حب المصرى لأبنائه ، واعتزازه بهم ، ويمن يعزهم ويحبهم .. كذلك علاقة الجدود بالأبناء كعلاقة إعزاز ومحبة ، فتقول :

– أعز الولد ولد الولد .

– من أطعم صغيرى بلحة ، نزلت حلاوتها فى زورى (أو بطنى) .

وكما هى عادة المثل المصرى بعد أن يقر الأمور ، ويرسى قواعدها ، يسخر من فئات معينة ، ويتهكم عليها .. ومن سخرية المصرى من مسائل الوراثة والتشابه قال :

– أبوك البصل وأمك التوم .. منين لك الريحة الطيبة يا شوم .

– لو ما كناش نعرف أمك وأبوك .. كنا قلنا الغز ولدوك

– اللى فى الدست تطلعه المغرفة (أى كل إناء بما فيه ينضح) .

– أبوك خلف لك إيه ؟! جدى ومات (أى لا شىء) .

– ها يورثونا بالحيا !! .

- كل شيللوا يشبه اللو (أو كل شن له يشبهن له) .

- فولة واتقسمت نصين .

- من حفـرة لطـوبة يا قـلبى لا تحـزن (أى أن كلاهما أسوأ من الآخر) .

هذا ويرى المثل المصرى فى التشابه ديمومة .. وأن الأشخاص والأشياء تسـتمر بالتكرار والتشبه ؛ ولذلك فالشـخص قد يكون «شبهه الخالق الناطق» ، أى فى تماثل تام .. وأن الله «يخلق من الشبه أربعين» .

وكما وضعت الأمثال قواعد الاستقرار الأسرى ، وعلاقات الأبوة والبنوة داخل الأسرة الصغيرة ، وضعتها على نطاق أوسع بين الأهل والأقارب ، واهتمت أكثر بأهل الزوج .. خاصة علاقة الكنة والحماه .. وزوج البنت والحماه .. وسنتدرج فى استطلاع رؤية المصرى لهذه العلاقات ؛ لنخلص فى النهاية إلى نتيجة .. قد تكون غير متوقعة - ولن نسبق الأحداث لنقفز إليها - فلنرى ماذا قالت الأمثال عن نظرة المصرى للأهل والأقارب ، بعد أن حذرت من التزاوج بينهم - كما سلف ذكره - قالت الأمثال :

- الأقارب كالعقارب فاجتنبوهم (عربى متداول) .

- ما تيجى المصايب إلا من القرايب .

- عداوة الأقارب ، زى لسع العقارب .

- دود المش منه فيه .

- سكينة الأهل تلمة (أى تؤلم أكثر) .

- العداوة فى الأهل (لك قريب لك عدو) .

وتستثنى الأمثال من علاقات القربى : الأم والخالة فتقول :

- الخالة والدة .

- الخال والد .

- يا بخت من كان النقيب خاله (سيسانده ويعزه) .

- إللى عند أمه ما تحمل همه .

- مين يشهد للعروسة غير أمها .

- إللى بلا أم حالة يغم .

وفى مقابل ما ورد من أمثال تحذر من الأهل ، وترى فيهم العداوة ، ومن ورائهم المصائب ، نجد أمثالاً أخـرى تقـول : أنهم «منا وفينا» وإذا تركناهم نهـلك ، وإذا آذيـناهم سيصيبنا الأذى وكنموذج لهذه الأمثال :

- ما يحمل همك إلا إللى من دمك (أو ما ينعى همك ..)

- الضفر ما يطلعش من اللحم ، والدم ما يبقاش مية .

- نار القريب ولا جنة الغريب .

- إن تفيت لفوق جت على وشى .. وأن تفيت لتحت جت على حجرى (أى فى بيتها) .

- جحا أولى بلحم طوره (أى بأهله وما لهم) .

- أهلك لا تهلك (توصية بالأهل) .

إذن الأمثال تحذر وتوصى بالأهل بقد متساو (٦:٦) وتستثنى من التحذير الأم والخالة والخال - أى الأم وأهل الأم - فى حين تستثنى من التوصية بالأهل والتمسك بهم الحماه ، أو أهل الزوج بوجه عام .. بل والأدهى أنها تحذر من الأخوة فتقول :

- إذا كنتم إخوات إتحاسبوا (فقد يجور الأخ على أخاه) .

- الأب جلاب والأخ سلاب .

- أخاك من واساك (عربى متداول) .

- رب أخ لم تلده أمك (أى صديق أفضل من الشقيق) .

- الأخ أخ مراته .. والخايبة تحلف بحياته .

- مين أعز من أمى وأختى ! إللى باخدها كل يوم تحتى (تفضيل للزوجة عن الأم والأخت) .

- إللى مالوش خير فى أخاه لا تستنخاه (لا تنتظر منه نخوه أو نجدة) .

- إن إنهدم بيت أخوك خد لك منه قالب .

وحتى الأب لم ينج من المثل المصرى القائل :

– الأم تعشش والأب يطفش .

– جيت بيت أبويا أرتاح قفلوا فى وشى وتوهوا المفتاح .

وعن علاقة الأب بالأبناء أوردنا سلفاً الكثير من الأمثال – فى معرض الحديث عن تحبيذ الزواج – كمظهر من مظاهر الاستقرار والاستمرار الذى ينشده المصرى للحياة وما فيها .

هذا ونستعرض فيما يلى ما قالته الأمثال عن كل فرد على حدة من الأهل والأنساب .. فعن الحماة سواء كانت : أم الزوج ، أو أم الزوجة بالغت الأمثال ، وأن كانت الصورة السيئة والغالبة لأم الزوج ، التى تقول عنها :

– المية والنار ولا حماتى فى الدار (أو الكى بالنار ولا حماتى فى الدار) .

– الحما حمة والعمة غمة (أو الحما حمى ، وأخت الجوز عقربة صمة أو سامة) .

– الحمى عمى .

– عرق جنب ودنهم ما يحبش مرات ابنهم (لا ينتظر منهم حباً) .

– إن كانت الغلة قد التبن .. كانت الحما تحب مرات الابن .

– لو كلام الحما حلاوة طحينية ، برضه فى شئ من الغضوضية (أى الكراهة) .

- خدت ماربيتى ، وكلت ما خبيتى ، والبيت صار بيتى (تقوله الزوجة لحماتها) .

- ده لا غدا .. ولا عشا .. ده فقع الحما .

- مكسور ما تكلى ، وصحيح ما تكسرى ، وكلى يا مرات ابنى لما تشبعى (تخلق الحيرة) .

- مسيرك يا مرات الابن تبقى حماه (تقوله الحماه لكنتها) .

- إن كان لك فى البيت طرحة تخش بفرحة ، وإن كان لك طربوش تخرج مكروش (أو إن كان لك عمامة أخرج بالسلامة) .

- إن كان لك قريبة خشى ، وإن كان لك راجل أخرجى ..

ذلك عن علاقة الحماه بالكنة ، وهى علاقة كراهية متبادلة ، ويؤكد المثل أنها فطرية «عرق جنب ودنهم» وفى نسيج التكوين البشرى .. وتنعكس هـــذه العـــلاقة كما يمثلها المثـــل الأخيـــر فى عدم الترحيب بأهل الزوج وأقـــاربه بوجه عام .. ولكن كيف قنـــنت الأمثال علاقة الرجل (الزوج) بحماته ؟ وهل وصفتها بهذه الصورة من الكراهية والبغض ؟! .

- بوس إيد حماتكم ، ولا تبوس إيد مراتك .

- إللى ما يقدرش على حماته ، يقدر على مراته .

- حماتك مناقرة .. طلق بنتها .

– حماتك بتحبك ، قال ، وأنا باموت فى بنتها (أى لا يحبها لكنها لا تقال صراحة) .

– وفرى كلامك (أو نفسك) يا حماتى .. ما ليه إلا مراتى .

– خذ المجنونة بنت العاقلة .. ولا تاخذ العاقلة بنت المجنونة (أى تخير الحماه قبل الزوجة) .

يتضح مما سبق كما وكيفاً ، اختلاف وضع الحماه كأم للزوج وأم للزوجة .. ولعل مرد ذلك أيضا أن المرأة «حاملة الثقافة والتراث» هى من أطلقت الأمثال تعبيراً عن السائد من الأوضاع والعلاقات الاجتماعية ، وهى التى حفظتها من الزوال بترديدها .

وعن العلاقات الأسرية نجد شخصيات أخرى كريهة ، لم يذكرها المثل الشعبى بخير ، ومنها : زوجة الأب .. ويقابلها زوج الأم ، فكيف تناولت الأمثال هذه العلاقة ؟!

– قالوا لجحا : مرات أبوك بتحبك .. قال : هى كانت اتجننت (أى استحالة أن تحبه) .

– مرات الأب سخطه من الرب (أو : خدها يا رب .. كدعاء) .

– ما تعرف قيمة أمك إلا لما تعاشر مرات أبوك .

هذا وقد تناولنا سلفا ما قيل فيها كضرة مكروهة .. أما عن زوج الأم فالأمر يختلف قليلا إذ تقول عنه الأمثال :

- حـاجة ما تهمـك وصى عليها جـوز أمـك (الشئ إللى ما يهمك ..)

- إللى يتجوز أمى أقول له يا عمى (ويضرب أيضا فى الولاء والطاعة لأولى الأمر) .

ومنه يتضح أن زوج الأم لن يهتم بأمرنا ولن يفيدنا فى شئ .. لكن لم تتحدث الأمثـال عن كرهه .. بل قالت بوجـوب الطـاعة له ، واعتباره فى منزلة العم ، ولعل الشئ بالشئ يذكر .. فماذا قالت الأمثال عن العم ؟؟

-أبوك ما خلف لك ، عمك ما يديك (لا ينتظر منه خير) .

فالعم أخ .. والأخ لم تنصفه الأمثال .. ولعل ذلك خلاصة تجربة اجتـماعية ، أو مـوروث منذ قتـل قابيل هابيل - وأياً ما كان الأمر - فالمثل لم يعتبره والداً أو بديلاً عن الـوالد ، كما هو الحال بالنسبة للخال .

وقبل ترك موضـوع العلاقات الأسـرية ، لابـد مـن الإشـارة إلى نوع مـن العـلاقات التى لا يرجى لهـا اسـتقرار ، فهى تفوق ما وصف به المثل عـلاقة المرأتـين المتصارعتين على زوج واحد .. إذ يقول المثل :

- مركب الضراير سارت ، ومركب السلايف غارت .

فالسلايف دائماً فى حالة صراع وغيرة ، فإذا ما اجتمعوا لابد أن تغرق مركبهم ، وصراعهم أشد وأنكى من صراع الضراير كما يؤكد المثل .

هذا ولابد أيضا قبل الانتقال إلى سمة أخرى من سمات المصرى .. لابد من استعراض وتحليل الأمثال التى تناولت بوجه عام وضع المرأة ، ونظرة المجتمع لها ، بوصفها العنصر الفاعل والأساسى فى الاستقرار المنشود للمجتمع المصرى .. فهل أنصفتها الأمثال ؟؟ أم عبرت ووصفت وضعها المتدنى فى المجتمع وحسب ؟!

سنجد أمثالا كثيرة تناولت المرأة .. البنت ، والزوجة ، والأم ، والأخت .. وسنجد أمثـالا كثيرة تناولت سمات المرأة ، وقدراتها وغيرتها ، وحنوها ، وسنجد أمثالا تحذر من النساء ، وأمثالا توصى بهن .. فكيف نقوم نظرة الأمثال للمرأة ؟ فلنبدأ بالوجه الطيب لها كما ذكرته الأمثال :

- إللى ييجى على الولايا ما يكسبش (أو عمره ما يكسب - تحذير وتوصية برعاية المرأة) .

- إيش يحرر النسا ؟ قال : بعد الرجال عنهم .

- النسا مفصل أعـوج قال : لولاه أعوج ما كانشى يضم (عن حنو المرأة) .

- أخطرى لانظرك ، واتكلمى لأسمعك (يقولها الزوج المحب) .

- اتغندرى وقولى مقدارى (أى إختالى وتدللى) .

- خليلة تجيب الكافية ، وخليلة تلاقى عندها العافية (اعتراف بدور المرأة فى الحالين) .

- إللى تخرج من دارها يتقل مقدارها (يجب أن تصان وتبقى فى دارها) .

- بنت الأكابر غالية ولو تكون جارية .

- هما قالوا : يا نسا وللا قالوا : يا رجال (إلقاء بالمسئولية على الرجل) .

- تطلعوا يا رجالة من المواقع ، وتسيبوها لأمهات خلاخيل براقع .

- خدوا جوز الخرسة إتكلمت (لا تستثيروا غيرتها) .

- زى الشمعة تحرق نفسها ، وتنور على غيرها (يقال عن الأم أو الأخت الكبرى التى تربى) .

- خير الشابة يبان على الضبة .

- هن رحمة لنا (عربى متداول) .

هذه رؤية متوازنة للمرأة ، تعترف لها بالحنو ، وترفع عنها المسئوليات ، ليتحملها الرجل ، وترفض أن نحملها ما لا طاقة لها به أو نستثير غيرتها ، أو نقلل من مقادرها ، وأن نخرجها من دارها ..

ويعطيها حق الغندرة والدلال ، والصيانة والحماية ، ويطالب بألا يجار عليهن (١٤ مثلاً) .. وفى مقـابل ذلك سنجد أمثالاً غير قليلة (٢١ مثلاً) تؤكد جبروت المرأة وغلبتها ، أو قوة كيدها ، وأنها مرائية ، ولها سبعة وجوه وسبع أرواح ، وأنها إذا مالت فلا سبيل لإصلاح حالها .. وأنها إذا أنجبت وتمكنت تفترى ، وأنها تسحر ، وأنها ناقصة عقل ودين ، وأنها سبب كل شئ ، وأن موتها سترة ، وأن مشورتها دائماً لا تجلب خيراً .. وأنه حتى التربية - التى هى صميم مهمتها الإنسانية - مشكوك فيها ، فالمثل يراها دائمـاً «تربية مـرة» ويوصفها بشكل مزر ، وعوضاً عن الاسترسال فى تفنيد ما ذهبت إليه الأمثال نذكرها نصاً :

- كيد النسا غلب كيد الرجال (كيدهن عظيم) .

- إن حبيت تغيظ راجل سلط عليه مرة ، وإن حبيت تغيظ مرة سلط عليها عيل .

- البنات مربطهم خالى .

- البنات بسبع وجوه (أو بسبع أرواح زى القطط) .

- لا تأمن للمـرة إذا صلت ، ولا للخيل إذا طلت ، ولا للشمس إذا ولت .

- مالت لك مالت لغيرك .

- الوقحة عينها قارحة.

- موت البنات ستره .

- ناقصات عقل ودين (حديث متداول دون وعى دقيق لمعناه الأصلى) .

- فتش عن المرأة (مثل فرنسى متداول ، ومعناه أنها وراء كل بلية) .

- عمر النسا ما تربى عجل (أو تور) ويحرث (فلان تربية مرة) .

- عمر الدوارة ما تربى كتاكيت .

- يا كاتبة يا ساحرة لا نايبك من الدنيا ولا من الآخرة .

- كلام نسوان ؟! .. ولا كلام رجالة .. (أى أن كلام النسوان لا يلتزم به) .

- حطت عجلها ومدت رجلها .

- دقة الطبولة تبين العاقلة من المهبولة .

- ما زاد عليكى يا مرة إلا المجرجر من ورا (تقال كأسلوب استهانة) .

- الغوانى يغرهن الثناء (عربى متداول) .

- مالك يا خايبة بتتعلقى فى الحبال الدايبة (أى يغرها القول وتتعلق بقائله) .

– الراجل ابن الراجل إللى ما يشاور مرة (لا يؤخذ برأيها) .

– شاورهم .. وإخلف شورهم (لا يؤخذ برأيها) .

هذا ويعدد المثل للمرأة الأدوار والألوان التى يجب أن تتشكل بها كسلوك ، حتى يرضى عنها المجتمع ، فيقول المثل :

– أهلك يحبـوك غنـية ، وجيـرانك يحبوك سخية ، وجوزك يحبك عفية .

فالمرأة الفقيرة – «العاوزة جاية» يكرهها أهلها ، والجيران والمحيطون يحبون الكرم : كى يستغلونها ، والرجل لا يطيق المرأة المريضة أو المتمارضة ، وليس له صبر عليها .. ولذلك فعليها أن ترتدى كل هـذه الأثواب وتلعب كل هذه الأدوار ؛ كى تنال رضا المجتمع ، الأهل ، الجيران ، والزوج .. ورغم النظرة المتدنية للمرأة.. فإن المثل الشعبى يرى فيها أحد عناصر السعادة فى الدنيا .. شريطة أن تكون «مطيعة» ، والمصرى يحب المرأة .. وإن كان لا يحترمها كثيراً ، فالمثل يقول :

– السعادة هى : الدار الوسيعة ، والمطية السريعة ، والزوجة المطيعة .

وبالإضافة لكل المعانى التى وردت فى الأمثال السابقة ، التى تحرض على عدم الأخذ برأى المرأة أو مشورتها ، وأن الرجل الحق هو

الذى يفعل ذلك .. ولا عجب فى الأمر فالمصرى يرى فى المرأة متاعاً أو شيئاً .. وليـس كياناً إنســانياً ؛ ولذلك يتحدث عن المرأة ويقول : «هى واللى قانيها» أو «يقـرد على إللى قانيها» فهى شئ للاقتناء وليست كياناً مستقلاً ، وهى «الجمــاعة» و «الأولاد» و «المــدام» دون ذكر لاسمها ، مهما علا شـــأنها .. وإذا أردنــا التـــأكد من ذلك فلنراجع الأمثــال التى ضمها هذا المبحث كلهـــا ؛ لترى بالتحلــيل الدقــيق رؤية المجتمع المصرى للمرأة .. وإنكاره لقدراتها ، حتى فى مجالها الأصلى كأم ومربية ، ومصدر أســاسى للاســتقرار والاستمرار والأمان الذى ينشده ويعشــقه المصرى .. ولن تقــف بنا الأمثال فى الحديث عن المرأة عند هذا الحد .. بل سيأتى ذكرها مرة أخرى فى الحديث عن القيم التى يتمــسك بها المجتمع المصرى ، وفى مقدمتها الجمال .. وكيف يرى جمــال المــرأة ؟ وفما يراه ؟؟ وذلك حينما نناقش السمة الأصيــلة الخامســة التى أقرها معظم الباحثين للمصرى بوصفه «فنان» .

المصرى «فنان»

لم يختلف الباحثون فى القول بأن المصرى : «فنان» بطبعه وبفطرته .. وبحكم الاستقرار إلى جوار النهر والتأمل فى الطبيعة .. وبحكم الوراثة ، وبفضل المخزون الأثرى الذى تركه له أجداده الفراعنة .. فالمصرى عاشق للجمال كقيمة .. يفرق بين الجميل والقبيح بدقة .. وقد كان طوال تاريخه يقدر للجمال قيمته ، ويشارك فى الأعمال الرائعة التى تثير – ومازالت تثير – انبهار العالم .. وكان نتاج يديه أبعد ما يمكن عن الركاكة بل كان يسعى للكمال – وإن آمن فيما بعد أن الكمال لله وحده – والمصرى طوال تاريخه كان عاملاً ماهراً فى صنعته ، وفناناً فى حرفته أو «أسطى» فى فنه .. وقد تعلم منه العالم أصول الفن (الرسم – النحت – التلوين) وقد علم الأجيال التى أتت من بعده بأستاذيه .. أو بما يمكن أن نسميه بالعامية «معلمة» ؛ ولذلك تميز الصانع والفنان المصرى بالمهارة أو «الشطارة» .. علم وتعلم ..بل وعشق العلم .. وكره الجهل وسخر منه ومن الجهال .. وطلب العلم وسعى له وقدر قيمته واحترم معلمه وأحبه ، وحفظ تراثه ونتاجه على مر العصور .. كما عشق العمل وقدسه واعتبره عبادة ، وسخر من الكسل والتقاعس عن السعى ، ومن الكسالة أو من أسماهم «التنابلة» .. وحاول المصرى فى مجال الخلق والإبداع فتفوق على معاصريه القدامى .. وترك

للمحدثين ثروة وذخيرة، تشهد بتفوقه ، وتميز فنونه بالسلاسة العذبة والسهولة الممتنعة .. ليس فى مجال الفن التشكيلى فحسب.. ولكن فى مجال الطرب والتطريب والتشخيص .. أو التمثيل ، وفى الكتابة الأدبية ، والمصرى مازال فى هذا الصدد الأخير مبدعاً متميزاً .. حتى على أهل العربية أنفسهم.. ولعل مرد ذلك إلى عذوبة اللهجة المصرية ، ورقة الحديث بها، والذوق المصرى المتميز.. ولكن هل مازال المصرى المعاصر على سابق عهده من حيث الإتقان والفن فى صنعته ، والدقة والجمال فى رؤياه ؟ أم أن القبح الذى ساد العالم ، وساد المجتمع المصرى بالذات ، وأصاب القيم الجمالية والأخلاقية .. قد أفسد طبيعة المصرى الفنان ؟! .

ذلك ما ستؤكده أو تدحضه الأمثال الشعبية المصرية ، التى تناولت رؤى المصرى «للجمال والقبح» و «المهارة أو الشطارة» ، و«العلم والجهل» .. إلى أخر الموضوعات التى تعكس صورة المصرى «الفنان» وتوضح موقفه الآتى من هذه السمة : «فنان» .

عن «الجمال» كقيمة وكمصدر إلهام ، وكمفهوم خاص له سماته المتمثلة فى المرأة قالت الأمثال :

- بيع الجمال واشترى خفة .. الجمال كتير لكن الخفيف صدفة (يعكس روحه) .

- إن سرقت إسرق جمل وإن عشقت إعشق قمر .

- قال يا وحشة خليك نغشة .

- خفيفة يا رشتة !! (تضرب كسخرية من ثقل الظل) .

– لا فرح ولا زفة وإيه دى الخفة !! (إعجاب بخفة الظل وإن لم تصحبها دعاية) .

– إن دبلت الوردة ريحتها فيها (أي يبقى فيها عبير) .

– إن لبست خيشة برضها عيشة (أى تظل جميلة) .

– إن طار قد ما طار يفضل منه قنطار .

– الله جميل يحب الجمال (حديث متداول) .

– الجمال جمال الطبع .

– البير الحلو دايما نازح

– الحلو ما يكملش .

وكما يرى المثل المصرى أن الجمال فى الطبع الجميل ، وخفة الروح، وأنه مهما ضاع سيبقى عبيره ، وسيفيض .. نجده يستدرك ويقول : بوجود نقص فى أى جمال ، وتعبر أمثال أخرى عن أن الجمال قد يكون ظاهريا .. وليس جمالا جوهرياً ، وتسخر الأمثال من هذا النوع من الجمال ، كما تسخر من الجمال إذا كان فى غير موضعه قائلة :

– من بره طق طق ، ومن جوه فاش وبق .

– من بره هله هللا ، ومن جو يعلم الله .

– من بره رخام ، ومن جوه سخام .

– لولا علبة مكى كان حالنا يبكى .

– إيش تعمل الماشطة فى الوش العكر ؟!

– إذا إتكحلتى باردب ، ولا إتعطرتى باردب ، برضك ديك الأورادة

إللى فى راس الكلب (لا فائدة من التجميل) .

– الحلوة حلوة ولو صحيت من النوم .. والوحشة وحشة ولو تغسل وشها كل يوم .

– قال مالك صفرة ؟ قالت : حبلت ، ومالك خضرة ؟ قالت : ولدت .. قال : طول عمرك يا رده كده من وأنت بنت (فـلا داعى للإدعاء الآن) .

– خواتم ترصف فى إيدين تقرف !!

– تحت البراقع سم ناقع .

ويسخر المثل المصرى من المتعاجب بجماله .. ومن يدعى التفرد ، ومن المغرورات بوجه عام ، وتقول الأمثال فى ذلك :

– يعنى إللى خلقك ما خلقش غيرك ؟!!

– يعنى بضاعة والناس عليها جواعة ؟!

– خرطها الخراط وإتمدد مات (أو إتدقلج مات) .

– التخن على الجميز (لمن تتعاجب بسمنتها .. وقد كانت صفة جميلة فيما مضى) .

– عايقة ومتضايقة !!

وبقدر ما يحب المصرى الجمال ويعشقه ، ويراه فى أمور كثيرة غير الجمال المادى .. بقدر ما يكره القبح ويرفضه ، ويرفض أى شئ منه ولو كان خيراً أو شهداً .. بل ويرى فى القبح فألا سيئاً .. ويعبر عن ذلك بعدة أساليب تقول :

– الكوع مدبب والوش مهبب ، واللى يشوفها لا يبيع ولا يتسبب !!

– وشها (أو وشه) يقطع الخميرة من البيت (أى يقطع الرزق من القبح والنحس) .

– يغور الشهد من وش القرد .

– عمشة وعرجة وكيعانها خارجة !

– لا كسم ولا رسم !!

– إحترت يا بخرة أبوسك منين .

– زى القنفذ لا تنباس ولا تنحضن .

ويستدرك المثل الشعبى .. ليقول بأن اللبس أحيانا يضفى جمالا .. بل ويبدِّل الحال فيقول .. وإن بدا القول أحياناً سخرية :

– لبِّس البوصة تبقى عروسة .

– لبِّس الخنفسة تبقى ست النسا !!

– لبِّس الخشبة تبقى عَجَبَة .

وتتفرع عن رؤية المصرى للجمال فى المرأة.. رؤيته «للسمار والبياض» كعنصر يحدِّد وضع المرأة بين الجميلات أو القبيحات .. ورغم أن السُمرة هى الأصل فى المصرى .. نجد أمثاله تحبذ البياض ، وتسخر من السمار ولا تعتبره جمالا فى حد ذاته – إلا من باب جبر الخاطر – أو الاستدراك .. ولعل ذلك بسبب طول وجود الاستعمار

الأوروبى فى مصر .. ونظرة المصرى الى الغُزاة ونسائهم نظرة من أسفل الى أعلى .. أشعرت المصرى بالدونية ، وهى آفة من اثار سنوات الذل والقهر .. فكيف بالله يكره الانسان جلدته ؟! لعل ذلك جزء من سمة «متناقض » التى يتسم بها المصرى - والتى سنتعرض لها فيما بعد - وأيا ما كان الأمر فقد انقسمت الامثال ما بين وجود البياض على السمار أو العكس بالقول :

- يا ريتنى بيضة ولىَّ ضب ، أصل البياض عند الرجال ينحب .

- ياريتنى بيضة ولى «بربور» اصل البياض عند الرجال مقبول .

- بدال خطوطك والحمرة امسحى عماصك يا سمرة .

- إن كان بدك تضحك على الأسمر لبّسه أحمر .

- زى البرغوت فى اللبن .

- سمرة واوصف وبيضة واقصف (أى يكفى البياض كصفة للجمال) .

- السمار نصف الجمال ، والبياض الجمال كله (ويكتفى الآن بالنصف الأول) .

- سودة ياقهوة .. والقلب وما يهوى (أى رغم أن السمار ليس ميزة لكنه الحب) .

- حبيبك اللى تحبه ولو كان عبد نوبى (أى أسمر كصفة متدنية أيضا) .

- سودة وبنت عبد ودُخلتها السبت (أو الحد يوم أفراح اليهود والنصارى من الجميلات) .

أما عن الامثال التى تذم البياض وتنفر منه فتقول :

- السمرة بلحة حمرة .. والبيضة جير فى الحيطة ..

- البيضة زى الدهنة الجامدة فى الشوربة البارد (فالبياض مقرون عند المصرى بثقل الظل) .

- ما تلتقيش البيضة إلا فى الخم المعفش (رغم اعتبار البيضة جميلة) .

- زى أبو قردان أبيض وعفش .

ورغم التهافت الواضح على البياض واعتباره جمالاً فى حد ذاته فى مقابل الاستدراك القليل (٥٠٪) لمدح السمار.. رغم ذلك يعترف المصرى فى أمثاله بأن الاصالة فى السمار فيقول :

- السمار منّا ... والبياض يعرّنا (أى عنصر دخيل) .

هذا ويعترف المصرى بعدم وجود جمال كامل أو كمال مطلق .. فيقول عن «النقص والكمال » ..

- كل بير وقدامه نقاعه .

- ملقوش فى الورد عيب قالوا .. أحمر الخدين ..

- الكمال لله وحده (ما كامل إلا الله) .

- كل بلد وفيها كفوها ..

- إللى بيته قزاز ما يرميش الناس بالطوب (فلا أحد كاملاً).

- يدى الحلق للى بلا ودان ، ويدى الفول للى بلا سنان .

وينتقل المثل المعبِّر عن طبيعة المصرى «الفنان» العاشق للجمال والكمال .. الى تناول أمر آخر متعلق بالفن ، وهو الاتقان أو ما نسميه «الشطارة والمهارة» ويقرر فى هذا الصدد قدرته على الابداع فى أى ظروف ووفقاً لأى ملابسات.. إذا ما توافر له ما يحفزه على الخلق والفن وإذا لم يتوافر.. فالمصرى ماهر بطبعه .. يجتهد فى عمله - أو هكذا كان - ويؤمن بأنه لا بد محقق ما يطمح له .. وكنموذج لهذا المعنى يقول:

- الشاطرة تغزل برجل حمار .

- يعمل من الفسيخ شربات (رغم استحالة ذلك) .

- يعمل من الجلة كراملَّة .

- لكل مجتهد نصيب (عربى متداول) .

- ما يجيبها إلا رجالها (أى من لهم قدرة ومهارة) .

- تبديل جحش بجحش صنعة (أى كل مهنة فن حتى المهن الدنيا) ..

وعن السخرية ممن لا يتقنون عملهم.. وهم غير المهرة أو غير الفنانين تقول الأمثال :

– قالوا «أبو فصادة بيعجن القشطة برجليه .. قال : كان يبان على عراقيبه (تقال لمن يدعى الاتقان والمهارة) .

– قالوا : للجمل زمر . قال يا ريت ، لا صوابعى مبرومة ولا شفايفى مضمومة (أى قلة مواهب واستعدادات طبيعية) .

– قالوا للدبة طرزى ، قالت : دى خفة ايادى .

– عايبة بتعلِّم فى خايبة الاتنين نايبة .

– عامية تحفف مجنونة ، وتقول لها حواجبك سور ومقرونة .

– ما كل من نفخ طبخ .. ولا كل من طبخ نفخ .

– ما كل من صف الصوانى قال : أنا حلوانى

– ما كل من ركب الحصان خيال .

– جه يكحلها عماها (لقلة مهارته) .

– بيغرق فى شبرماية (لعدم اتقانه صنعته) .

– خيبة الأمل راكبة جمل !!

– صاحب بالين كداب وصاحب تلاتة منافق (دعوة للتركيز فى العمل لاتقانه) .

– الشاطر اللى يضحك فى الاخر (تقال فى الصبر على الصنعة لمن يكسر مقاديف صاحبها) .

ورغم ايمان المصرى بأهمية الاتقان أو المهارة أو الشطارة فإنه يرى

أن «لكل حصان كبوة» وأحياناً ما يقع إلا الشاطر!.. ويقال له «كان غيرك اشطر»، ولذلك تقول الامثال المتحدثة عن الفشل والنجاح ..

- باب النجار مخلع..
- ما يموت على السد إلا قليل الفلاحة (أى الخايب) .
- إن فلح (العلق) كان فلح فى نفسه .
- خايب وخايب ظله ! .

وترجع الأمثال الفشل أحياناً لقلة المهارة أو « الخيابة » ، كما ترجعها أحياناً لسوء التقدير وتعليق الامور على الغيب، والتمنى مع القعود عن السعى، كما ترجع النجاح أحيانا إلى تساهيل ربنا .. وتيسيره للأمور لبعض الناس .. حتى وإن كانوا غير مهرة .. وللبخت والحظ - كما سبق أن نوهنا - وكنموذج لذلك الأمثال القائلة :

- إركب الديك .. وأنظر فين يوديك ! .
- من حبه ربه جاب له حبيبه عنده (أى يسر له الأمور) .
- الحظ لما ياتى يخلّى الأعمى سعاتى .
- بتيجى مع الغُمى طابات (ويقال بتيجى مع الهُبل دُوبل كقول مستحدث) .
- زرعت شجرة لو كان وسقيتها بماية ياريت ، طرحت مايجيش منه .

أما عن المصرى الفنان الماهر ، المتأمل فى الطبيعة ، والدارس لها ولتصاريفها ، والمخطط لأموره على ضوء ما درس وتعلم .. فتتضح صورته هذه من الأمثال التى تناولت «الجو والطبيعة» والشهور القبطية والأيام .. وعلاقة ذلك بفلاحته لارضه .. وإنتاجه لمحصول جيد وفير .. ولذلك نستعرض معاً حكمة المصرى من خلال أمثاله المتعلقة بالشهور ، والقائلة :

- كياك صباحك مساك ، تقوم من النوم تحضر عشاك (ليله طويل).
- فى توت رى ولا تفوت (أى رى الغيطان) .
- بابه يخضر اللبلابه (خضرة الزرع)
- هاتور أبو الدهب المنثور (أى بذر القمح)
- طوبة تخلى الصبية عجوزة والعجوزة كركوبة لشدة البرود .
- امشير ابو الزعابيب الكثير (للتحسب من الزوابع) .
- فى برمهات روح الغيط وهات (موسم جنى الثمار) .
- برمودة فيه الدق بالعامودة (دق القمح) .
- بشنس يكنس فى الغيط كنس (موسم جمع المحاصيل) .
- هوونا من حر بئونة لشدة الحرارة .
- ابيب يخلى العنب يطيب .
- فى مسرى الميه جارية ومش عسرة (لأنه كان موسم الفيضان) .

ومن تأمل المصرى للجو والطبيعة استخلص حكماً وأمثالاً تخدمه فى عمله .. وتحقق له النجاح.. ومن تأمله أيضا استخرج اقوالا تفيده فى حياته وفى مواجهة تصاريف الجو.. وتعكس ايضا حبه للانطلاق . وكرهه للشتاء وبرده ولياليه الطويلة، التى يدخل فيها المصرى بيته ويقفل عليه داره.. وتقول هذه الأمثال الحكيمة ..

- بابه خش واقفل البوابة .
- الدفا عفا ، والبرد لحاس القفا .
- زى يوم الشتا قصير ونكد ويضرب أيضا لوصف انسان سىء .
- أبرد من ميه طوبة .
- زى ليالى الشتا طويلة وباردة (يقال للانسان البارد ثقيل الظل) .
- الاسم لطوبة والفعل لأمشير .
- حصيرة الصيف واسعة مرحبا بسمر الليالى ومبيت الضيوف .
- هو الصيف احد من السيف فقد يصيب بمرض .
- النهار له عينين تؤجل السعي الي النهار) .
- زى مطر بئونة (اى نادر الحدوث لأنه صيف حار) .

هذا ونجد المصرى الفنان عاشقا للحرية وفى نفس الوقت نجده مقدراً للمسئولية ، ولذلك تحث الامثال على ترك كل امرىء فى حاله..

وعدم التدخل فى شئونه – وهو ما أكدنا عليه سلفا فى تناولنا لأدب المصرى وكراهيته للتدخل فى أمور الغير ، أو فيما لا يعنيه – وبقدر ما يمنح المثل المصرى من حرية بقدر ما يحمله مسئولية اختياره .. وعن «الحرية والمسئولية » قالت الأمثال :

– قال أقرع بياكل حلاوة !! قال : بفلوسه (فهو حر) .

– واحد شايل دقنه والتانى تعبان ليه .

– نملة قرصت .. ! (★) ما قطعت إلا بنفسها يقال سخرية ممن تجعلهم الحرية يؤذون أنفسهم .

– كل واحد ينام على الجنب اللى يريحه .

– كل واحد معلق من عرقوبة أو كل شاه معلقة .. ويعنى أنه سيتحمل نتيجة عمله ..

– كل واحد ذنبه على جنبه .

– اللى يأكل على ضرسه ينفع نفسه .

– عقلك فى راسك تعرف خلاصك (اى اختار على مسئوليتك) .

– اللى يشيل قربة مخرومة تنز على ظهره .

– اللى يشيل قفه مخرومه تخر على دماغه .

– الحبل على الجرارة (أى على مسئولية المراكبية أو من يجرون المركب) .

(★) لفظ معادل لعضو التأنيث بالعامية المصرية

- الحبس ذل ولو فى جنينة(فالحرية أثمن من الترف) .

- هو أنا خلفتك ونسيتك (رفض للمسئولية وتحلل منها) .

- السلطان من بعد عن السلطان (كى تكسب حريتك وتكون سيد نفسك) .

من كل ما سبق (١٤ مثلاً) يتضح لنا عشق المصرى للحرية دون منازع ودون وجهة نظر أخرى .. وإن ورد مثل واحد يقيد الى حد ما الحرية بنظرة الناس والرغبة فى الحصول على رضاهم أو إعجابهم ويعطى حرية فى المأكل فقط ويقول :

- كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس .

وهو الآن قول مرفوض من المصريين .. فهم يعشقون الحرية فى كل شىء.. وإن ظلوا كوجه من أوجه «التناقض» المصرى ، ينتقدون بعضهم البعض فى كثيـــر من الأمور ، خاصة فيما يتعلق بالذوق العام أو اللبس .. ولكن هربا من ذلك يقول المثل .

- البلد اللى محدش يعرفك فيها .. شلح واجرى فيها أى انت حر فيها) .

هذا ويحرص المصرى «الفنان» على التعلم ويضع له قواعده ويحترم المعلم .. ويضع ترتيباً لمن يعلم من ؟ .. ويتعجب ممن يتفوقون على معلميهم .. وإن رأى فى حكمة المجربين ماهو أفيد أحيانا اكثر من علم

الأطباء.. بينما يسخر ممن يفتون دون علم.. ويرى أن المرء يجب أن يظل يتعلم طوال حياته .. وإن انقسمت رؤيته حول ذلك .. وعوضاً عن الاسترسال نحلل هذه الامثال كلاً وفق مضربه .. فعن تقدير المثل للخبرة والتجربة تقول الأمثال :

– إسأل مجرب ولا تسأل طبيب .

– اللى ايده فى الماية مش زى اللى ايده فى النار (اى المجرب).

– اللى يعيش يا ما يتعلم (الخبرة) .

– الصلا أخير من النوم .. قال : جربنا ده وجربنا ده (أى لنا خبرة وإن كان فى ذلك تحامق مصرى) .

– التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر مهم لتكوين خبرة طويلة وهو مثل لا يقوله إلا فنان نحات .

وعن تكوين الخبرة بالتكرار كقاعدة تعليمية تربوية تقول الأمثال المصرية :

– كتر التكرار يعلم الحمار (أو الشطار) .

– كتر الحزن يعلم البكا (بالتكرار وكثرة النوح أيضا) .

– فى الإعادة إفادة (كل إعادة فيها إفادة) .

– كتر التنخيس يعلم الحمير التقميص (قاعدة تربوية حول كثرة التأنيب) .

- كتر النخس يعلم الحمير الرفس .

ومع ذلك يدعو المثل لليأس من تعليم الجهلاء والأغبياء ، ويحذر من ذلك فيقول :

- مهما تعلم في المتبلم يصبح ناسى (تبات تعلم فى المتبلم ..) .

- بتقرا مزاميرك علي مين يا داود ؟! (أى أنهم جهلاء لا فائدة من تعليمهم) .

- بنقرا فى سورة عبس !!(أى لا فائدة) .

- بيدّن فى مالطا ! (فلا أحد يفهم) .

- ولا حياة فيمن تنادى فى نفس المعنى .

- من نصح جاهل عاداه .

- ايش عرف الحمير باكل الجنزبيل .

- ايش فهم الفلاح فى اكل التفاح كعادة لا تعلم علي كبر .

- بعد ما شاب ودّوه الكتاب !! (سخرية واستنكار من التعلم على كبر) .

وعن إعلاء قيمة العلم بشكل مطلق كمرشد للبشر تقول الأمثال:

- العلم نور والجهل ظلام .

- اللى يسأل ما يتوهش (ماخاب من استشار) .

- النصيحة جمل (أى قيمة كبيرة) .

- العلم بالشيء ولا الجهل به (فالعلم ضرورة وفائدة) .

- اللى تعرفه أحسن من اللى متعرفوش (تقال ايضا فى الاحجام عن خوض التجارب) .

- إتعلم السحر .. ولا تعملهوش (لابد من الإلمام والمعرفة وإن لم نستخدمها لضررها) .

وعن أساليب التعلم بالتقليد والمحاكاة ، وبالتأسى بالأساتذة والمعلمين أو المشايخ ، تقول الأمثال عمن نأخذ عنه العلم.. وضرورة ان يكون أكبر منا :

- كل شيخ وله طريقة .

- أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة (هنا ربط بين الخبرة والعلم) .

- هو جحا اكبر ولا ابنه (تقال ايضا للابناء إذا ارادوا استغفال أبائهم) .

- البدرية هاتعلم امها الرعية !!

- على بابا يا ماما ؟!! (تقال كشفا للملاعيب الساذجة) .

- اربط الحمار جنب رفيقه.. إن ما إتعلم من شهيقه يتعلم من نهيقه (كمحاكاة) .

- اللى فيه عين وراس ، يعمل زى ما بتعمل الناس . (عن التعلم بالمحاكاة) .

- علمناهم الشحاته سبقونا على الأبواب (فى تفوق طالب العلم على معلمه) .

وعن امتداد فترة طلب العلم على امتداد العمر تقول الأمثال :

- اطلبوا العلم من المهد الى اللحد (حديث متداول) .

- يموت المعلم وهو بيتعلم .

هذا ويسخر المثل المصرى من الجهلاء ، ويصورهم فى أبشع صور .. ويصورهم وكأنهم لا يفقهون شيئاً بالمرة.. فهم فى حيرة.. حتى من أمرهم ، فيقول عنهم :

- اللى ميعرفش يقول عدس !

- ما يعرف السما من العما .

- ما يعرف طظ من سبحان الله .

- ما يعرف راسه من رجليه .

- ما يعرف الألف من كوز الذرة .

- طور الله فى برسيمه .

- غشيم ومتعافى

- بيتعلم الحجامة فى روس اليتامى .

- هبلة ومسكوها طبلة

- كله عند العرب صابون (لجهلهم) .

– لا له فى الطور ولا فى الطحين (لأنه جاهل فلا يستطيع ان يكون له موقف) .

– إيش جاب طوخ فى مليج ؟! (أى ماهذا الخلط والجهل) .

– أول القصيدة كفر ! (أى جهل الى حد الكفر) .

– هذا ويعتز المصرى بعلمه وبقدره .. ويستاء من جهل الناس بقدراته، وهو يستكثر على الجهلاء الفتوى .. أو أن تأتى الفتوى من غير ذى علم ، ويرى أن من الأصوب عدم التطوع بالفتوى ، وتركها لأهلها ، وفى ذلك تقول الأمثال :

– من قال لا أعرف فقد أفتى (عربى متداول) .

– قولة معرفش تريح (رغم أن فى ذلك سلبية وتنصل من إبداء الرأى أو الشهادة) .

– إللى مايعرفك يجهلك .

– البلد دى حلة وأنا مغرفتها (أى أعلم بكل شىء فيها) .

– العلم فى الرأس مش فى الكراس .

– إدى العيش لخبازه ولو ياكل نصه (نظرية إقتصادية تحبذ قيمة العلم وربطه بالعمل) .

– العارف لايعرف (يقال أيضاً ، إنت عارف والعارف لايعرف) .

ويقول المثل المصرى إن المحك الحقيقى للعلم والمتعلمين هو الاختبار:

- عند الامتحان يكرم المرء .. أو يهان .

هذا ويتطوع المصرى للتعليم فيقول : «أعلمك وأكل من بيتنا» أى دون أجر ، ويرتبط العلم بالعقل .. وإن كنا سنضدم من تحامق المثل المصرى فى هذا الصدد إذ ترى الأمثال أن :

- المجانين فى نعيم !

- أصحاب العقول فى راحة ! (أى أصحاب العقول الخربة) .

- إستراح من لا عقل له (من أقوال عمرو بن العاص فاتح مصر) .

ونجد مثلاً واحداً يقول إن :

- العقل زينة .

ومن خلاصة ماتقدم نستطيع رؤية المثل المصرى لقيمة الجمال والعلم والخبرة .. وطاعة العلماء واستشارة المجربين ، وقيمة العقل بوصفه زينة الإنسان التى ميزه الله بها .. وقيمة الدأب والمهارة أو الشطارة .. وكل هذه الأمور استخدمها المصرى فى إبداعه وخلقه .. فصنعت منه «الفنان» الذى لايختلف عليه اثنان ، وستتأكد قيمة كل ذلك حينما نستعرض قيمة العمل لدى المصرى ، وتقديسه له .

هذا ولابد من الإشارة هنا إلى أن الفرد المصرى رغم إيمانه بالعلم كقيمة ، يميل إلى تفضيل التجربة الفردية التى تصله من خلال الاتصال الشخصى ؛ باعتبارها خبرة حقيقية وواقعية ، يعرف صاحبها مباشرة

فيصدقه ، وقد أجرت د. فاطمة المصرى استبياناً حول المثل القائل : «إسأل مجرب ولا تسأل طبيب» فوافق عليه ٦٠٪ من العينة ، ورفضه ٤٠٪ فقط ، كما ترى د. فاطمة أن المصرى الذى «اشتهر بوجدانياته ومشاعره الفياضة ، شعب فنان منذ أقدم العصور» ورغم التدين وما يصاحبه من نواهٍ وأوامر قد تخلق لوناً من القلق والتوتر والصراع .. فالمصرى يجد «متنفساً لتلك الاضطرابات الإنفعالية العنيفة» فإذا الفنون الشعبية هى أحد المتنفسات التى تساعد على تصريف الصراع ورفع رصيد الإحباط» [1] .

وبهذا المعنى كان الفن متنفساً للمصرى المقهور .. وضرورة للاستعلاء على عوامل القهر .. تميز بها - ومازال - على البشر والشعوب المحيطة .. من لم يستطيعوا أن يبدعوا فناً يماثل ما أبدع فى كل مجالات الفنون والآداب .

(١) د. فاطمة المصرى ، الشخصية المصرية ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

المصرى «ذكى حكيم»

المصـرى يقر له كثيـر من الباحثـين بالذكاء والفطنة .. وإن اختلفوا فى تفسير معنى الذكـاء المصـرى ، فهـل هو لون من «الفهـلوة» والشطارة ؛ للتخلـص من المآزق بذكاء ؟ أم هو الفهم اللماح السريع ؟ أم حكمة الملانية والمداهنة ، والمهـادنة إلى حين الوثوب فى الوقت المناسب ؟ أم هو مكر وخبث ودهاء الفلاح المصرى الفطرى ، المعجز عن الفهم ، والمحير ؟ والذى يتناقض مع طيبته وسذاجته الشهيرة .

وأياً ما كان تفسير معنى الذكاء المصرى .. فهو من السمات التى تحسب له ، فهو يتأمل ويعمل الفكر .. ويغلب مصلحته – فى الأغلب الأعم – وقد تبدو سمة «ذكى» لأول وهلة غير واضحة للعيان .. فيتصور البعض أنه مستذل مستضعف ، أو أنه عفوى ساذج ، يفرط فى حقه .. لكن المراقب مايلبث أن يتبين مدى حكمة المصرى وذكائه ، فهو يصل لهدفه بالعمل وليس بالتمنى ، وهو يتحسب من العقاب ومن الجزاء ، وهو يستقرى التاريخ ودروسه وعبره ويستفيد منها ، ومن حكمة السنين ، ومن أحوال من سبقوه ؛ ولذلك يؤمن بالأمثال ويعمل بها ؛ بوصفها خلاصة الحكمة والخبرة .. والمصرى ذكى وحكيم لأنه يحسن تقدير

الأمور ، وحساب العواقب ، فيطاطيء - كما أسلفنا - حينما يكون لذلك ضرورة .. ويواجه فيحسم الأمور فى الوقت المناسب له ولمصلحته ، فهو يعرف متى يتأنى ومتى يتعجل .. وهو يحسن تقدير الاستحالة .. ويدرك أنه إذا استحالت الأمور يجب ألا «يخبط راسه فى الحيط» .. فهو بذكائه يفرق ويقدر الاستحالة والامكانية ، ومتى تكون كل واحدة منهما .. وهذا فى حد ذاته يعتبر لوناً من الذكاء .. ناهيك عن الذكاء الاجتماعى الذى يميز الشعب المصرى .. رغم فرديته وتحسبه لذاته ، واعتزازه بها .. بل وتفضيله لنفسه أحياناً .. وغروره بها .

وقد أطلق المصرى الكثير من الأمثال التى تعبر عن ذكائه بكل ألوانه .. بل إن المثل الشعبى نفسه بما تضمنه من صور بلاغية لماحة .. وصياغة محكمة وتفضيل لأمور على أخرى .. وما يحويه من حكمة مقطرة لهو دليل على ذكاء المصرى .. ولعل توصيفه للذكاء و«الفهلوة» أكبر دليل على ذكائه ، إذ يشبه الإنسان الذكى بمن :

- يطلع زى الشعرة من العجين .
- فص ملح وداب (بعد أن فعل ما فعل) .
- يوديه البحر ويرجعه عطشان .
- ينزل البحر ولايتبلش .
- يفهمها وهى طايرة .

- الكتكوت الفصيح من البيضة يصيح (أى ذكى منذ صغره) .

- زى المنشار طالع واكل نازل واكل (لايضيع فرصة دون إستفادة).

هذا ويرى المصرى أن الذكى هو من يمارس سياسة «شيلنى واشيلك» ، و«يابخت من نفع واستنفع» و«الشاطر إللى يطاطى للريح» والشاطر هنا بمعنى الذكى .. ويرسم المثل الطريق لهؤلاء فيقول :

- بدل ما تحلها بأسنانك حلها بإيدك .

- فرق شمله يخف حمله .

- سفينك داريه وإعمل كحكك ناعم وإديه .

- فتح عينك تاكل ملبن (هى أصلاً من أقوال الموالد) .

فالمصرى الذكى كما يقال : «لحمه مر» . فـ «مش كل الطير إللى يتاكل لحمه» .. والمصرى الذى يعتقد البعض أنه من السذاجة بحيث يمكن أن يؤكل لحمه .. يلفت نظر الآخرين إلى أن السذاجة والطيبة ليست سمة للجميع ، ويستنكر هذه النظرة له .. والمصرى الذكى هو من يحسم الأمور .. ويواجه ، وهو من قال عنه المثل :

- يقطع المية من فوق (أى من المنبع أو البداية) .

- يقطع العرق ويسيح دمه (بحسم) .

- قطعه ولا نحته .

- علىّ وعلى أعدائى يارب .

- حط رأسك مطرح ماتحط رجليك .

- فى وشه ولا تغشه (أو بدل ماتغشه قول له فى وشه) .

- على عينك ياتاجر (أى بصراحة) .

- خدوهم بالسوط لايغلبوكم .

- إتغدى به قبل مايتعشى بيك (أى بادر بالمواجهة) .

- إللى تعرف دينه اقتله .

- إللى يتف تفة مايلحسهاش (أى لاتراجع) .

- عيش يوم ديك ولا ١٠٠ يوم فرخة .

والمصرى الذكى الحكيم يقدر قيمة الوقت ، ويعرف متى يصبر وينتظر ، ومتى يثب ويواجه .. ولكن له فلسفته الخاصة فى التعجل والتانى ، وهو بأسلوبه الساخر يتهكم على من يضيعون الوقت - وبالتالى يضيعون الفرص - وهو يسخر ممن يؤدون العمل بعد فوات أوانه .. أو يؤدون الواجب بعد انقضاء موعده ، وفى ذلك تقول الأمثال :

- قال : عملوك مسحر ، قال : فرغ رمضان .

- بعد العيد مايتفتلش كحك .

- بعد سنة وست اشهر جاية المعددة تشخر - إللى مايبكى على فى الحى وأنا سامعه .. بعد ما أموت يوفر مدامعه .

- يامعزى بعد سنة يا مجدد الأحزان .

– على مايبجى الترياق من العراق ، يكون العليل مات .

– موت ياحمار على مايجى لك العليق .

– على ماتتكحل العمشة يكون السوق خرب .

– كل وقت وله أدان (مناسب له) .

– كل شيء بأوان .

– زى شخاخ الجمال تملى ورا (تقال للشخص المتأخر دائماً) .

– لو كـان ده الطهـى على ده النهى ، لا رمضان خالص ، ولا العيد جى .

– يوم الحكومة بسنة (أو يومه بسنة .. أى بطىء) .

– فتلة العويلة ممطوطة وطويلة .

– طول الفتلة يضيع الإبرة .

– الفاضى يعمل قاضى .

– إللى مش لاقى شغلة تشغله يقطع بتاعه ، ويقعد يوصله (قمة السخرية من المتعطلين) .

– تعالوا فى دى الزحمـة نطـاهر القليط الأعمى (أى فى الوقت غير المناسب) .

– وادى قـاعده .. راح النهـار ياسعده (أى يضيع النهار الذى يبدأ بالركود) .

وإذا كانت الأمثال تسخر بهذا الكم (١٦مثلاً) ممن ينجزون الأمر بعد فوات أوانه .. وتتهكم على المتعطلين .. ومن يمطون فى تنفيذ أو إنجاز أعمالهم .. بما يؤدى فى النهاية للمرض والموت والضياع والخراب - على حد ما روى فى الأمثال من تعبيرات - ناهيك عن الصور المزرية التى يصور بها المثل من لايقدرون قيمة الوقت ، والانجاز فى الوقت المناسب ، ويتأخرون عنه ، فإن الأمثال تسخر أيضاً ممن يستعدون للأمر قبل حدوثه ، فتأتى مواقفهم ومشاعرهم وتصرفاتهم سابقة لأوانها .. وتبدو مدعاة للسخرية والتهكم أيضاً .. وفى ذلك قالت الأمثال :

- قبل ماتحبل حضرت الكمون ، وقبل ما تولد سمته مأمون .
- قبل مايبنى الجامع إترصت العميان .
- هانفرح قبل الهنا بسنة ؟!
- خلى البكا على رأس الميت (أى لاتسبق الأحداث) .

ويبدو من النسبة بين الأمثال الساخرة من كلا الطرفين (١٦:٤) أن الغالبية العظمى من الشعب المصرى لاتقدر قيمة الوقت ، فتأتى دائماً متأخرة ، وأن النسبة الأقل لمن يبالغون فى تقدير الوقت ، فيقبلون على الأمور قبل أوانها .. ولذلك يحث المثل الشعبى المصريين على التقدير

الدقيق للوقت ، والإنجاز فى الوقت المناسب ، ويوصف ذلك الاختلاف فى مثل يقول :

– العصفور بيتفلى ، والصياد بيتقلى (نظراً لاختلاف قيمة الوقت لدى كل منهما) .

أما عن الحث علي الإنجاز وقيمة الوقت فتقول عنه الأمثال بشكل مباشر :

– إحييني النهاردة وموّتنى بكره (أى إنجز لى ما أريد النهاردة قبل بكره) .

– إدينى اليوم صوف وخد بكره خروف .

– الوقت من ذهب (عربى متداول) .

– الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك (عربى متداول) .

– كل صدفة خير من ميعاد (رب صدفة خير من ألف ميعاد) .

– لاتؤجل عمل اليوم إلى الغد (عربى متداول) .

هذا ويرتبط بتقدير الوقت ودقته كشكل من أشكال الحكمة ، موضوع آخر لايقل عنه أهمية وهو «التعجل والتأنى» .. ونظرة المصرى لهما ، وتفضيله لأحدهما على الآخر ؛ كما يتضح من الأمثال الشعبية القائلة فى التعجل وضرورته :

– خير البر عاجله .

- أطرق الحديد وهو سخن .

- حلاوتها فى حموتها .

- إللى سبق أكل النبق .

- كون فى أول السوق ياجحا .. ولو بقص اللحى (دعوة للتسابق) .

هذه فقط الأمثال التى تحث على العجلة بشكل مباشر ، وتحض عليها فى مقابل كم من الأمثال ترى فيها الندامة ، وترى أنها من الشيطان ، وتسخر أيضاً من المتعجلين ، كما سلف ذكره ، وكما سيتضح من بعض الأمثال التى تناولت التأنى ، والقائلة :

- العجلة من الشيطان .

- فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة .

- بيخطف الكبيبة من رأس الحلة (أى دون ترو يقتحم) .

- هى الدنيا طارت ؟! (تعبير يقال للمتعجل) .

- الدنيا إتخلقت فى ست أيام (تقال للمتعجل كى يصبر) .

- قال يامستعجل عطلك الله (أى كله بأمر الله) .

- إمشى سنة ولا تخطى قنا .

- إبطى ولا تخطى .

- كل تأخيرة وفيها خيرة .

ومما سبق يتضح بجلاء حكمة المصرى ، الذى يرى الخير والسلامة، وعدم الوقوع فى الخطأ مرتبطاً بالتأنى وعدم العجلة .. وهو أمر يرتبط

ارتباطاً طردياً بما عرف عن المصرى من الصبر والأناة . .فالمصرى «صبور» : لأنه «متدين» - كسمة فرعية - وهو «صبور» لأنه «حكيم وذكى» يقدر الأمور - كسمة فرعية أخرى تحتم عليه التأنى فى أموره .

ومن فرط ذكاء المصرى وحنكته ؛ يضع أولويات لبعض الأمور ، التى يبدى فيه نفسه ، ومصلحته على مصلحة الغير ، بشكل قد يوحى أحيانا بأنه قد تخلى تماما عن سمة أصيلة فيه وهى: التعاون والأثرة.. والبعد عن الأنانية والغرور.. بأسلوب قد يبدو للبعض وكأنه تذاكى، يصل إلى حد التحامق - المشهور به فى فترات القهر - ومما قيل فى هذا الصدد من أمثال:

- شيل بتاعك علشان أحط بتاعى ، لحسن بتاعى مستعجل!!
- أنا ثم الطوفان (عربى متداول).
- من بعد راسى ماطلعت شمس.
- إن جاك الطوفان حط ولدك تحت رجليك.
- ياروح مابعدك روح.
- كل واحد بيقول، يالله نفسى (أو كل واحد بيدور على حاله).
- قالوا، إمتى تقوم القيامة ياجحا؟ قال لما أموت أنا (فردية).
- شعرة من خنزير خير منه (استغلال).
- ما عاش مالى بعد حالى (اذا مت ظمآن فلا تزل القطر).
- عض قلبى ولا تعض رغيفى.

- احبك ياسوارى.. زى زندى لا (أولويات تعكس الحكمة).

- فؤادى ولا ولادى.

ورغم مايبدو من «غرور وأنانية» واضحة فى الأمثال السابقة.. فإن المثل المصرى يستدرك فيقول:

- من حب نفسه كرهته الناس.

- شاكر نفسه ابليس.

- كلب ولقى عضمة (أو مسك عضمة).

- حبيب ما له.. حبيب ماله (أى من يحب ماله لا يحبه أحد).

ومن حكمة المصرى وفطنته حسن تقديره لـ«الاستحالة».. وعدم الامكانية، وسخريته ممن لايستطيعون ذلك.. وممن يقدرون ذاتهم بأكثر من قدرتها ومقدرتها.. وفى ذلك تقول الأمثال:

- نقول، تور، يقول، احلبوه!!

- زى اللى بيدور على ابرة فى كوم قش!

- عشم ابليس فى الجنة!

- يعنى هو البحر ها يجرى مقبل؟! (ذلك لأن النيل يجرى شمالا).

- من رابع المستحيلات.

- يعنى اضرب الأرض تطلع بطيخ؟!

- فى المشمش (أى مستحيل أن يحدث).

- الرك على جمع الشمل (وأصله، ان طلتها اقطع ازارها، قال ، ركك على لم الشمل).

- الرك على القبض.

- لما يشوف حمله ودنه.

- لما يجيب الحبق، والنبق، وشوشة أمه، وأبوه فى الطبق.

- لما يشيب ويتحنى ، وعروق «صرمه» تنثنى.

- لما يحلف على المابة تجمد والنار تهمد (يقال عن استحالة أن يصدق الكذاب).

- اللى راح راح ياقلبى (أى مستحيل أن يعود).

- اللى انكسر عمره مايتصلح (أو مايتصلحش.. ويقال عكسه فى معرض الصلح).

- كلمة ياريب ماعمرت ولابيت (أو عمرها ماتعمر بيت).

- زرعت شجرة لو كان.. وريتها بماية ياريت طرحت ميجيش منه.

واستكمالا لتقدير المصرى للاستحالة.. وضرورة البعد عن التمنى و«قوله ياريت، ولو كان» وعدم توقع عودة ما فات، والاكتفاء بالاستفادة منه كدرس او عبرة، والاكتفاء بالتحسب لما هو أت. عن كل ذلك قالت الأمثال:

- تتفكروا تتعكروا (أى لا فائدة من الفكر سوى الكدر).

- العايد فى الفايت نقصان من العمر.

- هو الانسان عقله دفتر (محاولة للتناسى).
- راحت السكرة، وجت الفكرة.
- ان كنتوا نسيتوا اللي جرى هاتوا الدفاتر تنقرى (لنتعظ ونتذاكر).
- العبد فى التفكير، والرب فى التدبير (حكمة الايمان والاتكال).

ومن حكمة المصرى ايمانه الراسخ بأن لكل فعل رد فعل، وأن «الجزاء» - خيرا أو شرا - هو من صنع أيدينا، وأن كل المقدمات - بالعقل - تستتبعها توالى من جنسها.. ومن غير المعقول أن يأتى شىء من نقيضه.. فإن الله يجزى كل إمرىء بما عمل شرا أو خيرا، وفى ذلك قالت الأمثال:

- الجزاء من جنس العمل (عربى متداوى).
- ميتعملش كيس حرير من ودن خنزير (بالمعقولية).
- ميطلعش العلو إلا اللى معاه سلم (بالامكانيات).
- مكتوب على ورق الخيار، من سهر الليل نام النهار (بالضرورة).
- من رش دش (أو ماجش الا من رش).
- من يزرع شىء يضمه.
- املأ ايدك ورش تملاها قش (اى من جد وجد).
- من دق الباب سمع الجواب.
- من قدم السبت يلقى الحد قدامه.

- الحاوى مايمتش الا بالتعبان.

- دجاجة حفرت على رأسها عفرت (مثل سورى متداول).

- ان ربك لبالمرصاد (عربى متداول).

- يمهل ولا يهمل (عربى متداول).

- وقع فى شر أعماله.

- جهنم مفيهاش مراوح (بالعقل، فلا تفعل مايدخلك فيها)!

- قالوا، ياما البطيخ كسر جمال، قال: وياما الجمال كسرت بطيخ.

والمصرى العاقل الحكيم الذكى.. يقدر انه سينال جزاءه من جنس عمله، ويؤمن بأن «الله لايضيع أجر من أحسن عملا».. ويقول: «ربنا ماشفناه بالعقل عرفناه»: وبناء عليه يتصرف بالعقل والحكمة والفطنة والذكاء.. بل ويبالغ كعادته حتى فى استخدام ذكائه.. فيما أسماه البعض «الفهلوة المصرية».. فهو الذكى البسيط فى أن معا.. وهو المقدر للعواقب والمسرف المتلاف فى أن معا.. وهو الذى وضعت أمثاله الشعبية قواعد راسخة لتعاملاته المادية.. التى تعكس حكمة بالغة، وفطنة لاتبارى.. كما سيتضح مما يلى:

فمن ذكاء المصرى أن وضع قواعد للتعاملات المادية حدد فيها مفهومه «للقيمة والثمن»، وتقويمه «للمال» وأثره على الآخرين وعليه، أو على وضعه الاجتماعى والاقتصادى، وحدد بأمثاله الشعبية قواعد «البيع والشراء» و«الشراكة» وشروط «التعاقد والاتفاق» وضرورة «السعى على

الرزق».. رغم ايمانه بأن الرزق من عند الله . وقدر المثل قيمة العمل.. واحتراف المهن المختلفة.. واستكمالا لتقويمه للحياة المادية تناولت الأمثال «التكالب والتطفل» و«الشح والطمع» وفى المقابل «الاستغناء».. فماذا قالت عن كل ذلك؟! وهل ستؤكد ان المصرى ذلك الطيب العاطفى؟! أم انه انسان مادى يغلب قيمة المال.. ويقوِّم كل شىء بسعره وثمنه؟! وليس بقيمته المعنوية!!

قدر المصرى للمال حق قدره، وأكد أثره على الناس وعلى مالكيه.. وكيف يمكنه رفع شأنهم وإعلاء قدرهم!! فقالت الأمثال:

- الفلوس بتعمى النفوس (وقيل أيضا، بتشترى وبتغير وبتذل النفوس).
- معاك قرش تساوى قرش.. ممعكش حاجة متساويش حاجة.
- معاك مال ابنك ينشال.. ممعكش ابنك يمشى.
- بالفلوس على كل شىء تدوس.
- جيبه مغطى عيبه.
- الراجل عيبه جيبه.
- الاعتبار للمال مش للرجال.
- اللى معهوش ميلزموش.
- الفلوس بتتكلم (ان الغنى طويل الذيل مياس).
- أصلك فلوسك.. وجنسك لبوسك.

-الغنى غنوا له.

- شخشخ يتلموا عليك.

- صاحب القرش صياد.

- دراهمى درهمونى، وخلو لى فى البلد مقدار.. من بعد ما كنت عمر بقيت الحاج عمار (مثل من شمال افريقية لكنه متداول).

- المال يجيب المال.. والقمل يجيب الصبان.

- الدراهم مراهم.

- جيب السبع ميخلاش.

- البحر يحب الزيادة.

من الأمثال السابقة (١٨ مثلاً) يبدو المصرى وكأنه مؤمن بقيمة المال، وتقديمه على غيره من القيم المعنوية، التى يؤمن بها مثل الأصل.. ولكن من صياغة هذه الأمثال نستطيع القول: بأن المصرى الذى طالما عانى من الفقر ومن تسيد الأغنياء عليه.. يقرر واقعاً بهذه الأمثال، التى لاتخلو من رنة سخرية وتحسر فى آن واحد.. فإقراره بهذا الواقع الأليم. وهو احترام الناس للمال ومالكه.. لايمنع أن المصرى - أيضا من خلال أمثاله - قد رأى أن القيمة الحقيقية لاتكمن فى امتلاك المال وحده.. ولكن فى العمل الطيب، والسمعة الطيبة، وفى الاستمتاع بالمال وليس مجرد اكتنازه. وأن ضياع المال ليس نهاية العالم، فالمال بيروح وبيجى، ولن نحمل منه شيئا معنا فى الآخرة.. وقد عبر عن كل هذه

المعانى المناقضة أو الناقدة لما سبق فى أمثال أخرى تقول:

- الكفن مالوش جيوب.
- يغور المال اللىماينزه صاحبه (أو يلعن المال...)
- هين قرشك ولا تهين نفسك.
- اشترى راحتك بالفلوس.
- مال الكنزى للنزهى.
- الصيت ولا الغنى.
- ماتبكيش على اللى ضاع ماله، ابكى على اللى اتوقف حاله.
- تيوس شايلة فلوس (سخرية من أصحاب المال).
- المال بييجى ويروح.
- المال والبنون زينة الحياة الدنيا (قرآن كريم صار مثلا).
- حبيب ماله.. حبيب ما له (فالمال لايجلب حب الناس بل عداءهم).

ويوضح هذا الكم من الأمثال (١١ مثلاً) موقف المصرى من المال، فهو إن كان ليس القيمة العليا.. وتعلوه قيم أخرى كالصيت والعمل الطيب.. إلا أنه يمكن للمرء أن يشترى به راحته ولايهين نفسه.. بل ينزهها.. وانه زينة للدنيا مع البنون، وهذه آية قرآنية يؤمن بها المصرى، ويجابه بها من يقول بأن: «المال مش كل حاجة» وإن «السعادة مش بالمال».

وتوضح هذه المعانى بنسبة (١٨ : ١١) أن المصرى يقدر المال.. ولكن كوسيلة وليس كفاية فى حد ذاته.. بل إنه يتحسر على فقره ويسخر من الأغنياء.. خاصة وأنه قد عانى لفترات طويلة من أن هؤلاء الأغنياء كانوا غالبا من اليهود أو الترك، ولذلك أطلق المثل القائل: «من ماله ولايهنى له».

هذا وللتعاملات المادية قواعد تتعلق بالاسراف والانفاق، تتناقض مع بعضها بشكل متوازن، فبعضها يدعو لهذا، وبعضها يدعو لذلك كما يتضح مما يلى:

- القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود.
- اللى معاه قرش محيره، يجيب حمام ويطيره (فهو حر فى ماله).
- من حكم فى ماله ما ظلم (يضرب عن الحرية أيضا).
- يامستكثر الزمن أكتر.
- عصفور فى اليد خير من عشرة على الشجر (فالمصرى لا يأتمن الغد).
- خسارة قريبة ولا مكسب بعيد (لأن المصرى لايضمن تصاريف الأيام).

وعن تحبيذ الانفاق والاسراف، وحب الاستزادة من المال وكثرته، قال المثل المصرى:

- اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب.

- اللى معاه حنة يحنى فلس جحشه.

- قال، ايش غرض الأعمى؟ قال: قفة عيون (تمنى الكثرة).

- مابين الخيرين حساب (فى الانفاق).

- حلالك بلالك.

- ما عاش ما لى بعد حالى (فلأنفقه قبل موتى).

وترى الأمثال أن الإنسان غالبا ما يسرف فى المال الذى لا يخصه.. أما المال الذى تعب فى تحصيله فهو حريص عليه، ومما تواتر فى هذا الصدد:

- المال اللى ماهو لك عضمة حديد.

- اللى ما هو لك يهون عليك (أو اللى من مالك مايهون عليك).

- حمار ماهو لك عافيته حديد.

- المال اللى ماتتعب فيه اليد مايحزن عليه القلب.

- مال تجيبه الريح تأخذه الزوابع.

- اللى ييجى بالسهل يروح بالسهل (وفيه دعوة للسعى).

وعن نظرة المصرى للمال من حيث مصدره حلال أم حرام؟ تعرضنا سلفا لهذه النقطة، وفى الحديث عن أمانة المصرى، وايمانه بأن «بتاع الناس كناس». أى ان المال الحرام يضيع ويضيع معه المال الحلال، ولذلك فالمصرى يهتم كثيرا بأن يكون مصدر ماله من كده وعرقه وعمله.. وليس سطوا أو حتى تسولا، وفى ذلك تقول الأمثال:

- الحرام بيتاكل بايه؟! (أو اللى يتشحت يتاكل بايه)؟!

- عمر المال الحلال مايضيع.

ولذلك يسعى المصرى للحصول على رزقه بالحلال، وبالكد والتعب والعمل.. فرغم إيمانه بأن «الرزق على الله»، فهو يؤمن أيضا بضرورة السعى وبخفة لاكتسابه، وبأن تعلم صنعة خيرا من القعود عن العمل.. ولو كان المرء يمتلك قلاعا.. ذلك أن اليد العاملة الصانعة المنتجة أفضل من اليد العاطلة.. ولأن البركة فى الحركة والعمل، ومما قيل فى هذا الصدد:

- أكل العيش يحب الخفية (أو الرزق يحب الخفية).

- اسعى ياعبد وأنا أسعى معاك (على لسان الخالق).

- اجرى ياعبد وأنا اعينك، وأقعد وأنا اهينك.

- محدش بياكلها بالساهل.

- قول ياعينى ياحيلى (أى اعتمد على جهدك).

- إن مال عليك الزمان ميل على دراعك (أى إعمل).

- الأيد البطالة نجسة.

- الحركة بركة..

- اعمل حاجتى بإيدى.. ولاأقول للكلب ياسيدى (عدم الحوجة).

- من جد وجد.. ومن زرع حصد.

- لاتؤجل عمل اليوم للغد (عربى متداول).

- إن كتر شغلك فرقه على الأيام (ولاتستكثره فسينجز).

- سيدى بندق ما صدق (أى شمر وبدأ العمل فورا).

- عساكر الكرى متضربش بارود.

صاحب صانعة خير من صاحب قلعة.

- لولاك ياكمى ما أكلت يافمى (تقال أيضا فى الدعوة والضيافة).

- اللى ياكل على ضرسه، ينفع نفسه (اى من لا يتكل على أحد ويسعى بنفسه).

- ان فاتك البدرى شمر واجرى (دعوة للسعى المبكر).

- اشتغل لحد ما تكل، ولاتستحمل الذل.

- زى عفاريت القيالة مبتهدش.

ويؤكد المثل المصرى على اتقان العمل وهو أمر يرتبط لديه بسمة «فنان» وسمة «متدين» فيقول:

- شغل المعلم لابنه (اى متقن).

- عمل من طب لمن حب.

ويصف المثل المصرى العمل غير المتقن بأنه «سلق بيض» أو «كل شىء إن كان»، وتقول عنه الأمثال أيضا:

- نغسل غسيل هلس.. ونتكل على الشمس.

- النجار «الخرى» يتكل على المعجون والسنفرة.

ومع ذلك بالمصرى الساخر يصف أحيانا من يكد ويعمل بهمة بأنه

«حمار شغل»، ولو أن هذا التعبير يعتبر حديثا نوعا وليس مثلا قديما..

كما يرى المصرى أن:

- أكل العيش مر (أو صعب).
- العمر بيخلص والشغل مبيخلصش.
- اجرى ومد.. قال ، ده شى يهد.
- التور اللى ماهو لك عضمه حديد (عن الضغوط فى العمل).
- اللى تطبل له يرقص (اى لاتلومه على تقصير اذا لم تهيىء له المجال).
- وراه ليبرك (عن مراقبة العمال حتى لايتكاسلوا).
- عليك ياصعيدى ولو بات (لأن معظم العمال من الصعايدة).

هذا ونجد المصرى «الذكى الفطن» الذى يقدر العمل.. يسخر من العاطلين والكسالى. كما يسخر من المتكالبين على المشاركة فى عمل لايستحق كل هذه الأيادى، وفى ذلك تقول الأمثال:

- زى حمير التراسة يتلكك على قول يس
- أكل ومرعى وقلة صنعة.
- قاعد يرعى الكلاب بالنص (عاطل ويوهم بعمل لا فائدة منه).
- ست وجاريتين على قلى بيضتين (تقال أيضا فى المبالغة)
- الست والجارية على صحن بسارية (تكرر فى موضع سابق).

- لا هو سنة ولا فرض (أو ، لا فى السنة ولا فى الفرض.. أى عمل غير ضرورى ويمكن تركه).

- من غسل وشه بعد غداه يا فقره بعد غناه (أى من يستيقظ متأخرا نبشره بالفقر) .

ومن التحليل الرقمى (٢٢ مثلاً تحض على العمل واتقانه و ٧ أمثال تسخر من المتعطلين والكسالى ، يتضح لنا أن المصرى محب للعمل.. يقدره بل ويقدسه - مع إيمان بأن الرزق من عند الله - وهو عند المصرى إيمان دينى بالله، وإيمان غيبى بالحظ والبخت والاعتماد على الغيب وما يأتى به، وفى ذلك تقول الأمثال عن الرزق :

- أبو البنات مرزوق .
- كل عيل بييجى برزقه (إتكال) .
- اللى خلق الشداق متكفل بالارزاق .
- ربك بيرزق الهاجع .. والناجع .. والنايم على صماخ ودنه.
- الرازق الله ، من كان رزقه على الله فلا يحزن .
- قبل ما يقطع من هنا بيوصل هنا عن الرزق .
- من حبه ربه واختاره جاب له رزقه على باب داره .
- رزق يوم بيوم . والأرزاق على الله .
- الرزق وهايب ما هو نهايب .
- تجرى يا ابن ادم جرى الوحوش غير رزقك لم تحوش .

- ربنا بيرزق الدودة فى الحجر .

- أهى ارض سوده والطاعم الله (أى إزرعها) .

- الأرزاق بيد الله .

- الفقى لما يسعد تيجى له خاتمتين فى ليلة .

- كل لقمه تنادى اكالها (اى لقمة العيش أو الرزق . ويقال أيضا فى الضيافة والكرم) .

- زى الفراخ رزقه تحت رجليه (حظ) .

- إجر يا مشكاح للى قاعد مرتاح (فهذا حظه أن يكسب دون عمل، وهو رثاء لحال العامل) .

- رزق الهبل على المجانين (حكمة .. فمن أسباب الرزق أن يحتاج الناس لعمل بعضهم) .

وبقدر تقديس المصرى للعمل بقدر إيمانه بالاتكال على مقسم الارزاق ، وإيمانه بالحظ فى مسألة الرزق.. الذى يراه نعمة من عند الله.. ولذلك يقول على من يرفض العمل «رفس رزقه برجليه» أو «رافس النعمة» ويسميه «البطران»، وقد تناولت سلفا الحديث عن الحظ، والبطر وعدم رضا الناس عن أرزاقهم مهما كثرت وطلبهم للمزيد ، رغم أنهم لن يحصلوا إلا المقسوم لهم ، ولذلك يقول المثل :

- لما اتفرقت العقول كل واحد عجبه عقله ، ولما اتقسمت (أو إتفرقت) الارزاق محدش عجبه رزقه .

وبقدر التوازن بين الكفتين أو طرفى المعادلة، أى السعى والعمل فى مقابل أن الرزق من عند الله ، بقدر ما تنبه المصرى لنوع العمل أو المهن التى تجلب الرزق وتضمنه، وتحتاج الى مهارة أو شطاره وضرورة اتقان العمل ، وذلك يرتبط بسمة «فنان» كما اسلفنا ، وبسمة «ذكى فطن» التى نتحدث عنها الآن ، وفى «مجال المهن والأعمال » قامت الأمثال عن العمل بوجه عام :

- العمل باب الأمل .
- تراب العمل ولا زعفران البطالة .
- من لا يعمل لا يأكل أيضا (من أقوال بولس الرسول) .
- بياكل من عرق جبينه (وهذا شرف لدى المصرى، فهو لا يستعيب العمل مهما كان) .
- الشغل مش عيب .. ما عيب إلا العيب ..
- لما أنا ست وإنت ست مين يكبّ الدست ؟! (يضرب فى عدم الأنفة من أى عمل) .
- أنا كبيــر وإنت كبيــر .. ومــين يســوق الحمــير ؟! (فلا تكبّر فى العمل).

هذا عن العمل .. وبالمقابل هناك أمثال عن البطالة وكراهية المصرى لها سـلف ذكـرها فيمـا سبق .. ونذكر فيما يلى بعضا منها يقول :

- الندب بالطار ولا قعاد الراجل فى الدار (أى متعطل) .
- الفاضى يعمل قاضى .
- اللى مش لاقى شغله تشغله يقطع بتاعه ويقعد يوصله .
- زي الكلاب يحب الجوع والراحة .

أما عن تحبيذ الأمثال لمهن وأعمال معينة كالزراعة أو الفلاحة والتجارة أو البيع والشراء، والصناعة أو الصنعة اليدوية، وذلك ونذكر فى مقابل العمل الحكومى الذى يحترمه المصرى، ويراه أضمن سبل العمل والرزق فتقول عنها الأمثال :

- التجارة شطارة .
- بيع واشترى ولا تنكرى (أى لا تكون أجيراً) .
- صنعة فى اليد .
- صاحب صنعة خير من صاحب قلعة (ذكر سلفا) .
- الميكانيكية باشوات متدارية .
- الفلاحة فلاحة (أى شطارة)
- إزرع كل يوم تأكل كل يوم .
- إداين وازرع ، ولا تتداين وتبلع .
- إن فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه .

ومن خلاصة التحليل الكمى لهذه الأمثال تجد أن المصرى يحبذ

التجارة والصناعة والزراعة، على أن يكون الانسان أجيراً عند احد ، أو حتى صاحب «عتب» كما يقولون ، أو صاحب أملاك.. ويحبذ المثل بنسبة (٢ : ٢ : ٣) لهذه المهن فى مقابل مثل واحد عن العمل الحكومى يطالب المصرى بالتدله والتكالب الى حد «التمرغ فى تراب الميرى أو العمل الحكومى .. وقد استمرت وجهة النظر هذه سائدة لفترة غير قصيرة الى أن كنت مؤخرا حينما بدأ الاقتصاد المصرى سياسة الانفتاح وبدأ عدد غير قليل من المصريين.. وبتشجيع من الحكومة – فى الاتجاه الى العمل الحر أو الخاص بكل اشكاله الصناعية أو التجارية أو الزراعية ، ولعل ما زعزع إيمان المصرى بالعمل الحكومى «الميرى » المضمون أن رزقه محدود، وقد اصبح أقل من رزق هذه المهن .. مع الأخذ فى الاعتبار أن المصرى لا يأمن للأيام ، ولا يميل للمجازفة، فهو حذر ، ولذلك نجده يعمل حراً ، ولكن عينه على العمل الحكومة ، أو يحتفظ بوظيفته الحكومية، فهو يعمل حراً فى مشروع خاص فيما تبقى له من وقت أو يعين من يدير له عمله الحر.. ويتفرغ هو نصف الوقت فقط .. أو يحصل على إجازة من عمله الحكومى للتفرغ لعمله الحر.. فالمصرى لا يستقيل من العمل الحكومى بسهولة.. ويرتبط ذلك بكثير من سماته وهى الحذر ، والإيمان بتقلبات الحظ والبخت وعدم ضمانه، .. وأيضا لأن العمل الحكومى عند المصرى درب من دروب الوجاهة الاجتماعية

والسلطة ، ومركز مرموق ووظيفة ميرى لا يفرط فيها فى مقابل وهم فى علم الغيب الذى لا يأتمنه.. ذلك أنه يؤمن إيماناً قاطعاً بأنه :

– سبع صنا ع والبخت ضايع (أو سبع صنايع فى ايديه والهم جاير عليه) .

وعن البيع والشرء نجد كما كبيراً من الأمثال المصرية، التى تضع قواعد للتجارة وتحدد «الثمن والقيمة» ، وتحبذ الغالى والحسن وترفض الرخيص، وتتحدث عن شطارة التجار، وتغليبهم لمصالحهم ، فالامثال ترى أن :

– التجارة شطارة .

– التجارة مكسب وخسارة.

– زيارة وتجارة (وتقال عن الحج والعمرة) .

– الخسارة تعلم الشطارة .

– الخسارة اللى تعلم مكسب (ما نقص من مالك ما زاد فى عقلك).

– بيع الرخيص واشترى الغالى .

– الشرا يعلم البيع .

– خد المليح واستريح (أى اشترى الجيد كى تكسب) .

– غلا وسو كيل

– نسينا الخميرة من سنة الغلا (أى بطلنا الشراء) .

– الغالى ثمنه فيه .

– التاجر لما يفلس يدور فى دفاتره القديمة (ويقال اليهودى لما يفلس) .

– مال لحمتك مشغته ؟! قال : من جزار معرفة (فالتاجر لا يراعى إلا مكسبه) .

– إذا نطق الديك ، شكك اديك (عبارة يلتزم بها التجار) .

– لولا أختلاف النظر لبارت السلع .

– بيع بخمسة واشترى بخمسة .. يرزقك الله عن بين الخمستين .

– الصدقة المخفية فى البيع والشرا تقال للبائع والمشترى .

– ما يشكر السوق إلا اللى باع جديه .

– خلى العسل فى دنانه لحد ما يجلبه سعاره (وتقال أيضا فى التزويج) .

– العدد فى الليمون (تقال فى البيع والشراء كناية عن الكثرة) .

– كل شىء بثمنه (إن البيع مرتخص وغال) .

– بين البائع والشارى ، يفتح الله (فالأمر تراضى) .

وكما وضعت الأمثال قواعد التعامل بين البائع والشارى ، ووصفتها على أنها علاقة تراضٍ ، تحكمها عبارة واحدة ، أو دعوة : «يفتح الله» وعرفت المشترى بأن التاجر يراعى مصلحته ومكسبه، ويبديها على

المعرفة أو الصداقة وحددت له أن المليح والغالى أفضل ، فكل شيء له سعره أو ثمنه.. حددت أيضا للتجار علاقتهم ببعض ، التى تحكمها معاملات مثل «الضمانة» و «الشراكة» .. فماذا قالت الامثال فى هذه الصدد ؟! قالت رافضة للضمان :

- الضامن غارم .

- الضمانة أولها : شهامة ، وثانيها : غرامة، وثالثها : ندامة .

وعن الشراكة قالت الامثال غير محبذة لها ومحددة للشركاء وضرورة أن يكونوا من الاجاويد ومشيرة الى أن المحاسبة بين الشركاء قد تفسد العلاقة بينهما.. وأن الادارة اذا وزعت بين الشركاء قد تفسد العمل ، عن كل قالت الامثال :

- يغور الشرك ولو فى غدوة .

- قيراط ملك .. ولا فدان شرك .

- قط خلص .. ولا جمل شرك أو كلب خلص .

- إن كان لك قريب لا تشاركه ، ولا تناسبه .

- إلعب وحدك تيجى راضى (مثل شامى متداول) .

- زى الفريك ميحبش شريك (قيلت فى تعدد الزوجات سلفا) .

- المركب اللى ليها ريسين تغرق (الشرك فى الرئاسة مهلك) .

- شريك سنة ما تحاسبه ، قال ولا شريك العمر كله .

- الشركة مع الاجاويد ولا عدمها (أو الشرك فى الاجاويد ولا عدمهم) .

وحتى إذا اقتضى الأمر أو الضرورة أن نتشارك فالامثال وضعت قواعد «للاتفاق والتعاقد» . تدور حول ضرورة وضع شروط من البداية ، حسما للنزاع فيما بعد .. وفى ذلك تقول الامثال :

- الشرط نور .

- اللى اوله شرط آخره نور .

- الشرط عند الحرث، ولا المنازعة فى الجرن (عن المشاركة فى الزرع) .

- المشروطة محطوطة .

- العقد شريعة المتعاقدين (قاعدة قانونية متداولة) .

واستدراكا نعود للحديث عن القيمة والثمن ، ليس فى التجارة وحسب.. ولكن فى الحياة اليومية والمعاملات ، بما يحقق مطالب الانسان واحتياجاته .. فالمصرى له نظرة أو وجهة نظر جديرة بالتقدير بالنسبة لتقويمه للأشياء ، فهو رغم فقره يقدر الغالى ويفضله على الرخيص ، ويقدر لكل شيء قيمته وتقول الأمثال فى ذلك :

- كل برغوت على قد دمه .

- على أد فوله - ادفوا له .

- كل فوله مسوسه ولها كيال اعور (مثل سورى ويقال فى مصر، كل فولة ولها كيال) .

- ما خف حمله وغلا ثمنه .

- الغالى ثمنه فيه .

- على قد لحافك مد رجليك (تقال أيضا فى الاقتصاد) .

- على قد فلوسك طوح رجليك (تقال فى استئجار الأرجوحة) .

- العدس بترابه وكل شيء بحسابه (يكتفى الآن بالجزء الثانى من المثل) .

- غالى السوق .. ولا رخيص البيت .

- ما يغرك رخصه ترمى نصه (تكرر سلفا) .

وإذا كان المصرى يفضل الغالى بمعنى انه يفضل القيمة أو الشيء القيم.. فلا بأس من أن يتشاكى احيانا - بل ودائما - من الغلاء ، ويصف الغلاء بالنار ، ويقول :

- بالغلا والكوا .

- ثمنه شقله (أو ثمنه الشيء الفلانى ، أى غالى) .

- بشيء وشويات .

ولذلك نجده فى أمثال أقل نسبيا (١٠ : ٢) يحبذ الرخيص فيقول:

- رخيص وكويس وابن ناس (ترغيب فى الرخيص) .

- ابو بلاش كتر منه واللى بفلوس حود عنه (تضرب أيضا فى الطمع فى الشىء المجانى) .

ومما سبق يتضح أن المصرى فطن ذكى يقدر لكل شىء قيمته ، وأنه قبل آلاف أو مئات السنين وصل بأمثاله الشعبية إلى القاعدة الاقتصادية التى تقدر للسلعة الغالية قيمتها .. وترى أن الفقير لابد أن يقتنى الغالى، ولا يفرح بالرخيص، لأن الغالى يعمر أكثر فلا يضطر للشراء مرة أخرى ، ولا يضطر للاستغناء عنه سريعا فهذا ترف لا يملكه .. وهو ترف الاستغناء المبكر عن الممتلكات.. فالمصرى يرى أن من يبيع رخيصاً فكأنه باع الشىء القيم «بتراب الفلوس »، كما يرى أن الجهد الذى بذل فى صنعه يستحق أكثر من ذلك، ويرفع من ثمنه ولذلك يقول :

- الأجر مش قد المشقة .

- شىء مش جايب حقه أو ثمنه (وتقال أيضا، مش جايب همه) .

ومن ذكاء المصرى أنه أعلى قيمة الاستغناء .. وحبذ بأمثاله اعتماد المرء او اكتفاءه بما يملك ، وعدم الاتكال على ما لدى الآخرين وفى ذلك هو يعلى من شأن نفسه، حتى وإن كان محتاجاً، ويتظاهر بذلك إعزازاً لذاته، وفى «الاستغناء » ، قالت الأمثال المصرية :

- حمارتك العارجة تغنيك عن سؤال اللئيم .

- حمارتك العارجة أحسن من فرس أخوك السليم .

- مادام معايا القمر .. ايش على بالى من النجوم .

- اللى خدته القرعة تاخده أم الشعور (ويضرب أيضا تهكما فى مجال تعدد الزوجات) .

- اللى فيه عيشة تاخده أم الخير .

- اللى ايدى مش فى مقطعه عفريت لما يخطه .

- اللى ايدى مش مرجونته لا على بالى منه ولا من جودته (تكرر سلفا فى الكرم) .

- نقَّطنا بسكاتك (أى لا نريد منك إلا الصمت) .

- الشكوى لغير الله مذلة (الاستغناء عن الناس حتى فى مجرد الشكوى) .

- النافع الله يا حلبة .

- قول . يا عينى يا حيلى (أى اعتمد على نفسك) .

- اللى يتشحت يتاكل بإيه ؟! (يقصد بالمذلة ، لذا يتعفف عنه) .

- أعمل حاجتى بإيدى ولا أقول للكلب يا سيدى (فى الاستغناء عن جهد الآخرين) .

- بدل ما أقول للعبد يا سيدى أقضى حاجتى بإيدى (فى نفس المعنى) .

- شعيرنا ولا قمح غيرنا (فى الاكتفاء بما لدى المرء) .

– ألحس مْسنى وأبات مهنى .. ولا كبابك اللى قتلنى (★) (رفضا للمن) .

– قطع الطشت الدهب اللى أطرش فيه الدم (★★) .

– يا نحلة لا تقرصينى ولا عايز منك عسل .

– ما يهرش لك إلا ايدك (لا يحك جلدى مثل ظفرى) .

– ما يمسح دمعتك إلا ايدك (بمعنى عدم الاتكال) .

– إذا حضر الماء بطل التيمم (عربى متداول) .

وكمرادف للاستغناء نجد كماً من الأمثال التى تستهين بما لدى الآخرين، وتقلل من قيمة الأشياء حتى لا نتكالب عليها .. بل نستغنى عنها ، وكمنوذج لذلك :

– إيش ياخد الريح من البلاط .

– لا ينفع طبلة ولا طار .

– لو كان فيه الخير ما كان رماه الطير .

– قال : يابويا مانمش حداك ؟! قال : يا بنى ريحتنى من «فساك».

– خلصت حاجتى من عند جارتى .

– كفانا من الدست مغرفة (لنعرف ما به ونتركه) .

– العينة بينه (فيها الكفاية لنعرف الباقى ونستغنى عنه) .

(★) ، (★★) راجع ص ١٣٤ ، فى موضوع كراهية المصرى للمن .

– اللى فى الايد تزهده النفس (اللى تملكه الايد ..)

وعن الاستغناء عن الناس خاصة من يبدأون بالاستغناء عنا تقول الأمثال :

– من باعك بيعه بأرخص ثمن .

– من باعك بيعه وارتاح من قهره ، وإن كنت عطشان ما تورد على بحره .

– ما ياخد الروح إلا اللى خالقها (فاستغن عمن لا يملكون من أمرك شيئا ، ويضرب أيضا فى الشجاعة) .

ويستدرك المثل المصرى الذكى استدراكا بسيطا ، يتضح فى مثل واحد فقط ، ليحجِّم المصرى المعتز بذاته ، المستغنى بما لديه ، ولو كان قليلا . والمكتفى بجهده عن التطلع إلى ما لدى الآخرين ، وحتى لا يغالى فى الاستغناء ، فيقول له فى تحسب ذكى :

– اللى ما تحتاج وشه النهارده .. بكره تحتاج قفاه (أو يحوجك الزمان لقفاه) .

واستكمالا لصورة المصرى المستغنى – رغم فقره – عن الآخرين .. كما وضح من الأمثال السابقة الداعية للاستغناء بشكل مباشر ... نجد الأمثال تدعو أيضا لذلك بأسلوب اخر ، وهو رفض التكالب والتطفل ، والطمع فيما لدى الآخرين ، والسخرية من الشح والبخل

والبخلاء .. فالمتطفلـون والطامعــون فى ما لدى الآخرين وصفتهم الأمثال قائلة :

– إن شاف «بتا ع » الميتة يقول : هاتوا منه حتيته ، وإن شاف «بتا ع» الضعيف يقول : حتة ورغيف .

– لا يفوته فايت ، ولا طبيخ بايت .

– عيشك يحلى لى يا خالى ، قال : ده من سَوْ بختى يا ابن اختى .

– أنا غنية وأحب الهدية .

– البحر يحب الزيادة (فى الاستزادة والطمع) .

– ما يملا عين ابن آدم إلا التراب (من طمعه) .

– جفن العين جراب ، ما يملاه إلا التراب .

– البقة ولد مية ، وتقول ، يا قلة الذرية .

– ساعة البطون تتوه العقول .

– اللى ييجى منه أحسن منه (اللى ييجى منه أحل من عينه) .

– شعرة من خنزير خير منه .

– اللى تعطيه الوش يطلب البطانة .

– يمضغه ويرميه .. ولا يخليه (طمعا واستخسارا) .

– وجع البطن ولا كب الطبيخ (أو الحامض ، بخلا ، واستخســارا).

- خسّر الطبخة عشان بنكلة كمون (بخل) .

- قال : يا جارية اطبخى ، قالت : يا سيدى كلف (يقال : أطبخى يا جارية .. كلف يا سيد) .

- شحات وعينه غليضة (أو قوية) .

- أبخل من كلبة يزيد (عربى متداول) .

- بيأكل زى عيال المسلمين (مثل يقوله الأقباط) .

- من كرهه ربه .. سلط عليه بطنه (وتقال أيضا ، لسانه) .

- بطنه متسلطة عليه .

- سيدنا موسى مات ، ناشف طرى هات (من أمثال اليهود) .

- غولة عملت فرح ، قال : يكفيها ولا يكفى ولادها ؟!

- بياكل زى الغول !!

- القطة متهربش من بيت الفرح .

- الكداب خرب بيت الطماع .

- أنا ما بأريده ، وابنى يمد ايده .

وعدا عن التلميح والتوصيف ، تصرح الأمثال المصرية برفض التطفل والطمع ، وفى ذلك تقول بشكل مباشر :

- الطمع يقل ما جمع (عربى متداول) .

- القناعة مال وبضاعة .

- من كل بلاش راح بلاش .

- اللى ياكل بلاش ميشبعش .

- اللى ما يكفيش جماعة واحد أحق به .

- اللى ما هو فى ايدك يكيدك ، واللى مع الناس بعيد (فلا تطمح إليه أو تطمع فيه) .

- إن كان حبيبك عسل متلحسوش كله (رفض لزيادة العشم والطمع فيما لدى الآخرين) .

- اللقمة الكبيرة تقف فى الزور .

- العيش من العيش والدناوة ليش ؟!

- يا زايرين بيه وانتو تشتهوه .. اقعدوا جنب الحيط وكلوه .

وهناك من التعبيرات الشائعة الكثير الذى يسخر به المصرى من البخلاء ، كالقول : « قتلنا يهودى النهارده» ، والتى تقال للبخيل إذا أبدى كرما غير معتاد ، أو «جعان أفت لك ؟! » كسؤال لا يقوله إلا بخيل « بيعزم عـزومة مراكبية» ، معروف مسبقاً أنها لن تلبى ، ولذلك يلح فيها ، وهو متأكد أنها لن تحدث ، ناهيك عما يتهكم به المصرى على أهل دمياط ؛ لشهرتهم بالحرص ، فيقول على لسانهم :

- تتعشى ولا تنام خفيف ؟ تنام هنا ولا اللوكاندة أريح .

والمصرى الذكى المنتبه لكل هذه الأمور ، والواعى لكل شئ ، والمدرك

لكل ما يدور حوله ، يُوَصِّفُه ويشرحه .. بل ويُشرِّحه بأسلوب جزل وعبارة حكيمة يدرك بوجه عام أن بلاده عامرة بخيرات كثيرة ... لكنه مع ذلك يتحسر قائلا :

- مصر خيرها لغيرها (أو لغريبها) .

وفى هذا المثل خلاصة القول .. أو خلاصة مشاعره تجاه ما يجابه فى وطنه .. فهو ليس دائما من يُحصِّل خيرها .. وينعم بما فيها .. وإدراكه لذلك ذكاء فى حد ذاته ، يعكس فهمه وتقديره للأمور .

الفصل الرابع

الأمثال العربية المتداولة بين العامة

هناك من الأمثال العربية الكثير الذى يتسق والأمثال الشعبية معنًى .. وإن اختلف منطوقه لفظا .. أو اختلفت الصور التى يرسمها كل مثل أو يعبر عنها .. وهناك أمثال عربية ظل الوجدان المصرى .. بل واللسان المصرى يحفظها ويرددها بمنطوق كلماتها أو ألفاظها الفصحى .. وهى الأمثال العربية المتواترة بين الخاصة المثقفة ، بل ويرددها بعض العامة أيضا ، وتجرى على ألسنتهم مجرى العامية .. وكأنهم لا يدركون أنها غريبة على لهجتهم .. أو طوعوها لتكون أقرب ما يمكن من لكنتهم .. لكن ما يهمنا هو مدى تعبير هذه الأمثال العربية عن قيم أصيلة فى الشعب المصرى ، وسمات سائدة بين أفراده . وإلى أى مدى أضاف الفتح العربى المصاحب لدخول الإسلام مصر إلى الموروث القيمى للمصريين الفراعنة ، أو القبط قبل دخول الإسلام ؛ ولذلك سنفرد هذا الفصل للأمثال العربية المتداولة بين العامة . كما سنخُص الفصل الخامس بالأقوال المأثورة التى استقاها الوجدان المصرى ، ورددها

اللسان المصرى من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .. بما يعكس أثر العروبة والإسلام ، كرقيقة حضارية أضيفت إلى الرقائق الحضارية المشَكِّلة لهذا الإنسان ، والمؤكدة لسماته ، التى تبيناها من فلسفته الشعبية المتمثلة فى أمثاله العامية ، على مدى الفصل السابق - بكل مباحثه - والذى استخلصنا فيه للمصرى ست سمات أساسية ، تفرعت عنها عشرات السمات .. فهل أدخلت الأمثال العربية أو الحكمة العربية على المصرى سمات لم تكن فيه ؟! أم كرست ما لديه من سمات أصيلة؟! ولعل ذلك يردُّنا إلى حديث طالما قتل بحثا .. واختلفت حوله الآراء .. ألا وهو : هل المصرى الحديث خلاصة للحضارة الفرعونية القديمة ؟! أم الحضارة العربية الإسلامية ؟! أم أنه نتاج لهما معا ؟! هذا ما ستوضحه الصفحات القادمة .

قبل الولوج إلى استعراض نماذج الأمثال العربية ، التى مازالت حية ومتداولة ، لابد من الإشارة إلى أن الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة كان يعج بالقصص الشعبية والحِكم والتأملات والرسائل ... ويهمنا منها هنا الحكم على وجه الخصوص ، إذ تعتبر مرادفا للأمثال السائدة ، ويقول «سليم حسن» فى الجزء الأول من كتابه «الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة » :

« تدل نتيجة البحوث التى قام بها علماء الآثار فى تاريخ العالم

القديم أن مصر كان لها قصب السبق فى الإنتاج الأدبى فى باب الحِكم والتأملات ، فإن (بابل) و (أشور) لم تتركا شيئا يستحق الذكر نسبيا فى هذا المضمار ، أما فلسطين جارة مصر فقد أنتجت فيه انتاجا عظيما ، وبخاصة فى باب الأمثال والتعاليم الدينية وحكم سليمان و(المزامير) وكتاب (أيوب) وغيرها مما نجده فى التوراة من هذا النوع من الأدب » (١) .

وقد توصل هذا العالم الجليل إلى ثمان وثائق ، تمثل سلسلة متصلة الحلقات من هذا النوع الأدبى، تمثل كل عصور التاريخ المصرى ، من الدولة القديمة إلى الدولة الحديثة ، مروراً بالعهد الاقطاعى والدولة الوسطى (٢) .. ترجمها من الهيروغليفية إلى العربية مباشرة ، وهى على التوالى والترتيب التاريخى :

١ - حكم وأمثال بتاح حتب .

٢ - تعاليم كا جسنى .

٣ - التعاليم التى لقنت للملك مرى كا رع .

٤ - وصايا أمنمحات الأول لابنه سنوسرت .

٥ - تعاليم سحتب أب - رع .

---

(١) سليم حسن ، المرجع المشار إليه ، ص ١٨١ ، مطبوعات كتاب اليوم - ١٥ ديسمبر ١٩٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

٦ - تعاليم خيتى بن دواوف لابنه «بيبى» .

٧ - تعاليم آنى .

٨ - تعاليم أمنموبى .

والمطالع لهذه الثروة الأدبية فى المتون المشار إليها ، يستطيع أن يلاحظ بَدْءاً من تعاليم أو نصائح آنى نموا وتطورا كبيرين فى الوعى الإنسانى ، كنتاج للمؤثرات الاجتماعية ، والتفكير العميق الذى ساد هذا العصر ، إذ بدأت تتناول أو تعترف بالوعى الإنسانى ، ويأتى ذكر المتعبدين - من غير تحفظ - إشارة إلى أنه أمر الله نفسه ، فبعد أن كان الورع الشخصى أو الضمير صار الايحاء الإلهى الحق (١) .

كل ذلك يؤكد للمصرى تميزه بأهم صفاته السائدة والتى لا خلاف عليها .. والتى انبثقت عنها أو تفرعت منها سمات أخرى كثيرة .. وهى سمة «متدين» وما تفرع عنها من سمات : صبور وقانع وراض ومحسن، ومتواضع ، ويقدس الموتى ومتواكل ويؤمن بالغيبيات .... إلخ .

والمراجع لهذا المرجع المهم يستطيع أن يتأكد من صدق ما أذهب إليه ، من أن المصرى الفرعونى لم تأت الحضارة العربية والإسلامية لتخلقه من عدم ، أو تعيد تشكيله أو ترتيب قيمه رأسا على عقب .. أو تهبه من الحكمة والقيم ما لم يكن يتمتع به ، لكنها فقط أضافت إلى

---

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٥ وما تلاها .

روحه الغنية الخصبة ملامح تؤكد طبيعته السمحة ، وروحه المتدينة ، وإيمانه العميق بالله ، وبالخير ، ففكره الخلود القديمة قدم المصرى كانت الدافع لتمسك المصرى القديم بالقيم الفاضلة ، وذلك ما أكده دكتور سيد عويس فى أكثر من موضع ، فى مؤلفاته عن المصريين ...فالمصرى القديم الأصيل المؤمن الصادق يمكن أن نقول ان تغيير اللغة جاء بالنسبة له عنصراً يقلل من شعوره بذاته (★) .. ذلك من حيث السمات الأصيلة والمعانى التى تناولتها الأمثال .. وإن جاء اختلاف اللغة التى صيغت بها الأمثال الفرعونية عن اللغة المتداولة الآن - العربية - كعائق دون بقاء واستمرار الأمثال الفرعونية على ألسنة الناس ، بمتنها الأصلى .. وإن كنا نستطيع التأكيد أن ما تناولته من معان وقيم وفلسفة مازالت باقية حتى الآن ، كما نستطيع أن نقول بأن هناك دلائل تؤكد على أن اللغة القديمة كانت «غنية بالاستعارات والتشبيهات ، أى أنها (لغة مثقفة) و (لغة إنشاء وتفكير) للشخص الذى يكتب بها» (١) .

وقد حفلت كتب الأمثال القديمة بالحكمة والنصيحة عند المصريين القدماء ؛ بما يوضح مدى الذوق الرفيع لديهم ، وأثره فى سلوكهم ومعاملاتهم .. وأنها اشتملت على دراسة قيمة ، وخلاصة تجارب

(★) أحمد قدرى ، برنامج شاهد على العصر ، المذاع بتاريخ ١٩٩١/١٠/٩ ، البرنامج العام ، إذاعة القاهرة .

(١) عبد الحميد بسيونى ، أدب السلوك عند المصريين القدماء ، ص ٤٨.

الحياة ، حيث رسمت لهم طريق السعادة ، ووضعت بين أيديهم المثل العليا لكل من يريد النجاح فى الدنيا والآخرة ، ونظمت صلة الناس ببعضهم البعض (١) .

هذا وسنورد فيما يلى بعضاً من الأمثال الفرعونية ، على سبيل المثال لا الحصر ؛ لتأكيد ما ذهبنا إليه ، ممثلة لكل العصور ، وفى شتى المضارب .. فمن تعاليم أمنموبى عن النفاق والكلام :

«الرب يمقت من يزور فى الكلام .. وكبر مقتاً عنده النفاق» (٢) .

ومن أقوال الكاهن عنخ شا شنقى فى عين شمس ، فى القرن الخامس قبل الميلاد ، عن التكافل ، والصراحة ، والعمل ، وعن تفضيل العزلة على رفاق السوء - وهو معنى ورد فى الأمثال العامية المصرية ، كما ورد فى الأمثال العربية أيضاً - ومن حديث هذا الكاهن أيضاً عن الزواج ، والاختيار فيه ، وعن العلم ، والعقل ، وعمل الخير أو الجميل الكثير مما سنجده متسقاً تماماً مع ما هو متداول الآن :

- من حزن مع أهل بلده فرح معهم (قيمة المشاركة والتكافل) .

- لا تجعل لنفسك صوتين .. وقل الأمر الواقع لكل إنسان (الصدق وعدم المراءاة .

- إسمح لمن عمل ما كلف به بأن يرفع صوته .

(١) المرجع السابق ، ص ٥٣ .
(٢) المرجع السابق ، ١٣ .

- أعط الشغال رغيفاً أخذ رغيفين من كتفيه .

- إعلم أن العـزلة خير من أخ شرير (الوحدة خير من رفيق السوء) .

- نعمة الممتلكات زوجة حكيمة .

- لا تهجر إمرأة فى دارك لأنها عقيم (قيمة لم يحتفظ بها المصرى العربى) .

- لا تقتل حية وتترك ذيلها .

- من نكح إمرأة جاره نُكحت زوجته على عتبة داره (الجزاء من جنس العمل) .

- من نكح زوجة على سرير نكحت زوجته على الطين (الجزاء مقرون بالفضيحة) .

- تخير زوجاً عاقلا لإبنتك ، ولا تتخير لها زوجا ثريا (تفضيل قيمة العقل على المال) .

- زوج إبنتك لصـائغ .. ولكـن لا تـزوج ابنك لإبنتـه (متداول حتى الآن) .

- قد يستر الصمت حمقاً .

- قد يَفْضل البكم زلق اللسان (إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب) .

- آية الحكيم فمه .

- إنما يتأتى التعليم بعد رقى الخُلق (الأدب فضلوه عن العلم) .

- رفيق الغبى غبى .. ورفيق الحصيف حصيف .. ورفيق الأبله أبله (صاحبك من بختك .. البيض الفاسد يتدحرج على بعضه) .

- إفعل الخير وارمه وسط البحر (يتردد حتى الآن بنفس الألفاظ) .

- من هـز حجر وقـع على رجـله (إللى يشيل قربه مخرومة تنزل على ظهره) .

- من سرق متاع آخر لن يبارك له فيه (عن الحلال والحرام) .

- يسرق السارق بالليل ويقبض عليه بالنهار(★) .

ومن تعـاليم الشـيخ أمنموبى الأديب المتـدين ، فى الفترة من القرن العـاشر أو التاسـع قبل الميلاد عن الكـلام ، وعن المكتوب أو ما نقول عنه الآن : «العبد فى التفكـير والرب فى التـدبير» يقول أمنموبى :

- لا تتعود على أن تجدف بلسانك .

- لا تقضى الليل متخوفاً من الغد .. فما يعلم إنسان ما سيكون عليه الغد .. والإله دائما فى فلاح (تدبيره) .

والإنسان دائماً فى خيبة ظنونه (١) .

(★) راجع محمد عبد الحميد بسيونى ، أداب السلوك ، ص ١٥ - ١٦ .
(١) المرجع السابق ، ص ١٢ - ١٣ .

ومن نصائح بتاح حتب التى تدور حول العلم ، والرزق ، والحق والطمع ، وتتشابه مع ما هو متداول الآن فى المعنى ، قوله :

- لا تتعال وتنتفخ أوداجك لأنك رجل عالم ، وإستشر الجاهل كما تستشر العالم (ما خاب من إستشار) .

- الإلتزام بالحق ولو على نفسك .

- الحق هو الطـــريق السوى أمام الضال (١) (الحق أحق أن يتبع) .

- الخبز يؤكل بأمر الله (٢) (عن الرزق) .

- الشره لا قبر له .

- أحذر الشراهة فإنها مرض وداء لا يشفى .

- لا تكونن شرها فى القسمة ولا تكونن ملحاً إلا فى حقك ولا تطعمن فى مال أقاربك (٣) .

وعدا عن الاسترسال فى ذكر نماذج من الحكم الفرعونية يمكن أن نؤكد أن هناك حوالى ٢٥٠ مثلا مازلنا نردده بنفس المفردات عن أصل فرعونى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- إن حبتك حية إطوق بيها .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧١ .

- ثلاثة ما تتخبى .. الحب والحمل وركوب الجمل .
- المحبة ستار العيوب (مراية الحب عامية) .
- أحبك ياسوارى .. زى زندى لا .
- حماتى مناقرة قال : طلق بنتها .
- الحلوة حلوة ولو صحيت من النوم والوحشة وحشة لو إستحمت كل يوم .
- الحية تخلف الحوية (إقلب القدرة على فمها ...) .

وبعد أن ثبتت لدينا - إلى حد ما - الأصول القديمة للمثل الشعبى العامى فى مصر ، وكيف أن جذوره لفظاً ومعنى تمتد إلى العصر الفرعونى ، وأن ما يحمله من قيم ، وما يعبر عنه من فلسفة تبناها المصرى القديم ، واحتفظ بها وجدان المصرى المعاصر .. فعكست سماته الأصيلة السائدة .

وبعد ما تقدم نستطيع أن ننتقل إلى مقارنة ومقاربة أخرى بين المثل العامى المصرى ، والمثل العربى الفصيح .. وما يفرز من قيم ، وما يؤكد من سمات يتسم بها الإنسان «المصرى العربى المسلم» - بل والمسيحى أيضاً - متأثراً بالحضارة العربية الإسلامية ، وباللغة العربية ، التى أصبحت لغة المصريين بعد موت لغتهم المصرية القديمة ، والاندثار الجزئى للغة القبطية التى اقتصرت معرفتها على المتون اللاهوتية ،

وعلى المتخصصين فى علوم اللاهوت .. وما تبقى فى الكنائس من ترانيم الشمامسة ، والطقوس الدينية .. لكنها لم تعد لغة حياة ، بمعنى أنها لم تعد لغة حديث وكتابة ، أو تأليف .

وقبل أن نورد نماذج من الأمثال العربية المتداولة ، لابد من التعرض لسمات الشخصية العربية المصرية ، والتى ترى د . فاطمة المصرى فى تعدادها للسمات التى يتفق فيها المصريون مع العرب ، أو انتقلت إلى المصريين بالفتح العربى ، والتأثر بكل ما هو عربى ، من لغة وأداب ، وثقافة ، وعلاقات إنسانية ، ترى أن هناك ٤٧ سمة تجمع بين المصريين والعرب ، أو هى كما أسمتها : «سمات الشخصية العربية المصرية» .. وهنا الخلاف ، إذ أرى أن الشخصية فى الأصل مصرية ذات سمات أصيلة ، ثم كان الفتح العربى والامتزاج بين الحضارة الفرعونية والمد العربى الإسلامى ، بما حمل من قيم ، وبما اتسم به العرب من سمات ، فامتزجوا بالمصريين ، وأثروا وتأثروا بهم ، وأدخلت الديانة الإسلامية الكثير من المفاهيم والقيم ، ولعب التزاوج ، وعناصر الوراثة دورهما ، فخرجت السمات التى أشارت لها د . فاطمة المصرى ، والتى يتفق بعض منها مع السمات المصرية التى استخرجتها من الأمثال الشعبية ، بأصيلها وفرعها .. ولذلك أورد مما ذكرت من سمات ما يلى :

- التفاخر والحساسية (وهى عند المصرى اعتزاز بالذات) .

- المبالغــة فى التعــبير عــن قدراته (المصــرى يغالى ويبالغ فى كل شىء) .

- الفردية والسلبية .

- كرم الضيافة (وجوهر الكرم منح الطعام ، ولذلك يهتمون به) .

- الكرم يرتبط عند العرب بالإعــلان عنه ، ولذلك يعتبر دينا فى عنق المكرم .

- حب الظهور (حتى أنه يستدين من أجل زفاف أو جنازة كمقدرة على البذل ، وفى المقاهى لإظهار الكرم ، لدرجة الإضطرار لقبول كرم الآخرين) .

- الكرم والسخاء أسلوباً ووسيلة لإظهار الصداقة وإخفاء العداء (دبلوماسية مصرية) .

- الزيارات وسيلة لإظهار الكرم .. وليس لتبادل وجهات النظر (وأيضا لتبادل الفكاهات ، وأخبار الناس ، وإشباع الفضول) .

- الخوف من الفقر ، وعدم الاطمئنان إلى ضمان الغذاء ، وهـو سبب الاهتمام بالطعام وتقديسه .

- المروءة أى الرجولة والفضيلة (الشجاعة والكرم) .

- يتمسك العربى برأيه بقوة وصلابة ، ويحاول أن يفرضه على

الناس ، وإذا اختلف معهم فإنه يعتبرهم أعداء له (وذلك يظهر على المستوى السياسى بالذات) .

- التشكك وسـوء الظن جعل العربى يحاول إخفاء ممتلكاته خوفاً من الضرائب والخدمة العسكرية ، أو السلطة عموماً (ومن الحسد أيضاً) .

- المصريون أكثر تشككاً ، ولهم دليلهم على ذلك من حوادث أليمة سببت لهم عدم الثقة بالناس .

- يحبون إخفاء أشياء كثيرة عنهم ، قد تُخجل أو حتى لا تُخجل (السرية والتحفظ) وخوفاً من الحسد .

- الميل إلى التستر . والدعوة بالستر (واعتبار التستر فضيلة) .

- القدرية .

- الذلة والخضوع بسبب استبداد الأهل ، وأيضا الحكام .. حتى بعد الاستقلال .

- الخضوع كى يحقق الأهداف ، ولو أدى ذلك إلى التلون بلون جماعة ما .

- التدليس والتملق .

- التدخل فى شئون الآخرين ، ومعرفة حياتهم الخاصة . وانتقاد تصرفاتهم ، وتصحيح خطئهم (حزب أعداء النجاح أو من يطلق عليهم المصرى الآن المبوخاتية) .

- العربى يحتقر من هم دونه ، ومع ذلك يشفق عليهم ويكرمهم (وقد انطوت الأمثال الشعبية المصرية دائما على احتقار الغنى بعد الفقر أو «الحداثة» ، والرثاء للفقر بعد الغنى .

- عدم الشعور بالأمان من جانب المرأة ، نتيجة تعدد الزوجات ، وعلاقة العداء بين غير الأشقاء .

- الايمان الذى يجلب الشعور بالأمان ، والأمل فى حياة أفضل مستقبلاً .

- لا يحب التغيير ، خاصة ما يُجلَب من الغرب أو من الخارج ، ويتمسك بالتقاليد (ما ييجى من الغرب حاجة تسر القلب) .

- يفضل العلاقات التى تعتمد على التقاليد الثابتة ، لتظل الأمور فى حدود المعروف والمضمون ، كما قال بذلك برجر ، أى أنه يكره المغامرة (ولذلك يقول إللى تعرفه أحسن من إللى متعرفوش) .

- يميل إلى عدم قبول الجديد .. إلا إذا اتسق مع قديم ثابت متطوع بصحته (كذلك المصرى لكنه ليس جامدا كما ذهبت د . فاطمة المصرى فالتمسك بالقديم لا يعنى لديه الجمود) .

- يؤمن بالقضاء والقدر ، ويرضى بهما ، وذلك طريق العربى للتخلص من الخوف من المجهول ، ولإعادة الاتزان النفسى ، وتخفيف حدة الإحباط والصراع ، فى مجتمع ملىء بالاضطهاد والظلم .

تلك إلى حد كبير السمات التى اصطبغت بها الشخصية المصرية من أثر الاحتكاك بالعرب ، وبعضها كان أصيلاً فيها ، فى عصور ما قبل الإسلام والفتح العربى .. لكن ما أوردته د . فاطمة المصرى نقلاً عن – أو متأثرة بما ذكره – «برجر» عن الشخصية العربية ، لا أتفق معها كثيراً فى بعضه لهذه الأسباب :

أولاً : لأنه رؤية غربية للشخصية العربية ، أى صورة ذهنية غربية عن العرب والمصريين بوصفهم عربا .

ثانياً : لأن الفتح العربى فى رأيى لم يطمس تماماً الشخصية المصرية .. بل ظللها ببعض السمات الدخيلة عليها ، ولم ينسخها تماماً .. وإلا لما ستشعرنا ختلافاً وتبايناً واضحاً بين المصريين وغيرهم من العرب .

ثالثاً : لأنه بتحليل الأمثال الشعبية المصرية التى مازالت متداولة لم تثبت بعض هذه السمات التى تبنتها عن «برجر» .

رابعاً أنه بدراستى لصورة فرعية من الصورة العربية وهى صورة عرب الخليج ، ومقارنة سماتهم الشخصية وسمات صورتهم الذهنية لدى الاخرين(★) اتضح لى أن فارقا كبيرا بين المصريين وغيرهم من العرب.. وحتى السمات التى اشتركوا معهم فيها.. يختلفون معهم فى درجة

(★) صورة عرب دول مجلس التعاون الخليجى فى الصحافة البريطانية» رسالة دكتوراه غير منشورة.

اتسامهم لها، وشدة تمسكهم بها.. وكدليل على ذلك أورد بعض هذه السمات، التى أرى أنها سمات عربية، إتسم بها بعض المصريين المولودين أو الأخلاط، أو «البزرميت» كما يطلق عليهم العامة المصرية، فالمصرى فى الأصل معتز بذاته وبمصريته - ومازال - وقد يزهو بمقدرته بتواضع.. لكن أسلوب الفخر والتباهى على الآخرين نمط سلوك عربى، كما أن الحساسية المفرطة للنقد، والشعور بالكبرياء الجريح، أو التى يمكن جرحها بسهولة.. واعتبار أقل تشكك من الغير إهانة كبيرة، كلها مشاعر عربية فى الأصل، تأثر بها بعض المصريين من أهل الوجه البحرى والمدن الكبرى.. فى حين لم يتأثر بها كثيرا المصرى الأصيل (الصعيدى) الذى لا يفاخر بذاته.. ولكنه يعتز بها.. ولا يجرحه كثيرا تفكه الآخرين و«تنكيتهم» عليه، فهو يقدر لذاته قدرها.

أما عن الفردية والسلبية، التى تعتبرها دكتورة فاطمة المصرى ثورة ضد الجماعات التى ينتمى إليها.. فهى سمات مستحدثة ودخيلة على الشخصية المصرية الأصيلة.. فالمصرى كان محبا للعمل الجماعى الخلاق، ومبدعا فيه، وإلا ما ترك لنا آثارا عظيمة شارك فيها، وهى الآن تحمل إسم الملك، وليس إسم كل من حمل حجرا وأرساه فى بنائها.. وحتى فى الفنون المستحدثة.. تبدو الفردية أحيانا.. لكنها ليست السمة السائدة، فالمصرى البناء - وهو السواد الأعظم - مازال يشارك بروح

الجماعة فى أعمال عظيمة، بدءا من العمارة وانتهاء بالأعمال الفنية الجماعية، التي تتطلب روح الفريق، مثل فنون: المسرح والسينما والأوبريت، التى مازال المصرى يعتبر رائدا فيها، فى كل المنطقة العربية، ومازال الأكثر تفوقا على كل العرب - رغم تقدم بعضهم فيها أيضا - وإن كنت لا أنكر بروز الفردية والسلبية، وإطلالهما برأسهما الكريه ، فى العقود الثلاثة الماضية : سواء على المستوى الاجتماعى فى مجال الإبداع بالنسبة للفنون التى يمكن أن تمارس - أو يمارسها الفرد - بذاتية مطلقة.

أما عن روح الفوضى وعدم الطاعة للسلطات.. والافتقار إلى الوعى الاجتماعى والمسئولية الوطنية.. فأرى - وهذا ليس دفاعا عن الشعب المصرى - أنها سمة ظهرت - مؤخرا أيضا - على السطح .. لكن عكسها تماما مازال يعتبر سمة كامنة تحت السطح، تتجلى وتظهر فى الملمات، والحروب، والمناسبات الوطنية، لكنها لم تندثر نهائيا.. فالمطالع لفوضى الحياة المصرية، المتضحة فى كل المناحى، قد يعجب إلى حد الذهول، وقد يتساءل هل هؤلاء المصريون هم أحفاد بناة الأهرام العظام؟!! وقد يتصور أن هناك عقودا من التيه، قد فصلت بين الجدود والأحفاد!! حتى وكأن أناسا آخرين قد سكنوا الأراضى المصرية.. ليسوا أحفاد الفراعنة العظام.. لكنه ما يلث أن يتبين المعدن الطيب الأصيل

لهذا الشعب، وحبه للنظام، وطاعته للسلطات، والتزامه بروح الجماعة، ووعيه الاجتماعى العالى، وإحساسه الراقى بالمسئولية الوطنية.. ولكن لماذا هذا التحول الظاهر فى الشخصية المصرية؟!.. الحقيقة أن هذا موضوع أخر، قد يرجعه البعض إلى افتقاده للقيادة والقدرة! أو افتقاد المصرى لفكرة الامتداد الإلهى للحاكم (أو فكرة الفرعون الإله)!! أو لكم الفساد السائد فى الأوساط السلطوية بكل أشكالها (الأبوية والقادية والحاكمة) أو لأن الناس كما يقول المصرى ذاته: «أصبحت تخاف ولا تختشيش»!! أو لإفتقادهم لمشروع قومى.. المهم أن شرح الأسباب المؤدية إلى هذه الظاهرة الحديثة تحتاج إلى تعمق أكثر، وهى ليست موضوعنا فى هذا الكتاب على أى حال.

أما عن عدم التعاون، عدم الثقة فى الآخرين، والشعور بالحاجة إلى الأمان الشخصى، وأيضا سوء الظن، والعداء المتطرف، الذى يصحبه تأدب مبالغ فيه، فهى فى رأيى سمات عربية.. وليست مصرية، فالمصرى من واقع تحليل أمثاله، الفلسفة التى تتبناها.. «متعاون» ولديه شعور فطرى بالأمان الناتج عن تدينه العميق، أيا كان دينه - وقد أسهبت سلفا فى شرح ذلك لكن العقود الأخيرة التى انفتح فيها المصرى على العالم العربى.. وهاجر إلى النفط وأمواله باعداد بلغت الملايين، مغيرا من طبيعته الرافضة للغربة والإغتراب.. المنتمية إلى حد العشق والوله

لأرضه ووطنه، قد تأثرت إلى حد ما بالطابع العربى، أو بهذه السمة العربية.. لكنها - فى رأيى - لم تتجذر فى نفسه، ولم تتأصل فى ذاته، إلى الحد الذى يلغى حبه للتعاون والتكافل، وإيمانه بروح الجماعة، وشعوره بالانتماء والأمان فى بلده.. فهى - كما أرى - مرحلة لابد إلى انقضاء.. وسمة غير راسخة، لابد إلى زوال.. ويمكن بتخطيط وتوعية أن يعود المصرى المعاصر إلى طبيعته السمحة الطيبة، غير العدوانية، التى أكدت الأمثال الشعبية أنها سمة سائدة فيها.

أما ما قاله «جاك بيرك» عن ولع العربى بالكلام الفنى المنمق متمثلا فى الخطب والشعر والأغانى.. وتفضيله للقول على الفعل، وللكلمات على الأشياء.. فلا مفر من الاعتراف بأن المصرى المعاصر قد تأثر بذلك كثيرا.. حتى بات الاكتفاء بالتعبير عن الوطنية بالكلام، والغناء، والخطب الرنانة، بديلا عن البذل والتضحية بالدم في سبيل الوطن.. وإن كان لابد من الاستدراك هنا، والقول بأن المصرى مازالت وطنيته تظهر فى الشدائد التى تلم بوطنه وأهله، فيظهر من الفعل - وليس القول- ما لم يكن يتوقعه الملاحظ أو المراقب لسلوكه اليومى والفردى السائد الآن.

أما عن الميول العدوانية، وسمة العداء - التى تناولتها د. فاطمة المصرى - فهى سمة عربية، لم يثبت تحليلى لفلسفة المثل الشعبى

المصرى أنها سمة مصرية، فالمصرى ميال للتسامح والتصالح، والمهادنة والملاينة، كفلسفة شعبية سائدة.. كما أن إرجاعها للميول العدوانية واستخدام التأدب كأسلوب أو وسيلة لإخفاء العداء، الناتج - فى رأيها - عن الفقر والكبت الجنسى والاقتصادى والسياسى، كمولد لهذا العداء.. فأراه ظاهرى أيضا، وآنى فقط، وعربى وليس مصرى، فمصر الفقيرة دائما، والتى عانى ويعانى شعبها من كل أشكال القهر والكبت، لم نجده ينفس - عبر تايخها الطويل - عن هذا القهر بالعدوان أو الميل له.. بل عبر عنه بالفنون الشعبية المختلفة، والتنفيس عنه بالسخرية، والنكتة اللاذعة، والتحسر على انقلاب الأحوال، وعدم التقدير لذات المصرى الكريمة، وأيضا ظهر هذا التنفيس فى الشجن الخفى، الذى يسكن نفس المصرى.. حتى فى لحظات سعادته على قلتها، كما ظل يظهر عبر القرون، كلما اشتد القهر فى لونين لا ثالث لهما هما: «التصوف» أو التدين المبالغ فيه، وفى «المجون» أو التحامق، والاستعلاء على الأمور بهذين الأسلوبين، وليس بالعداء والعدوانية والعنف.. والملاحظ لما يجتاح مصر الآن، من عنف وإرهاب وتطرف، لابد لو تتبع مصادره، ومصادر إذكائه وتمويله، ومنحه الشرعية، سيجد أنها مصادر غيرمصرية، قد تكون عربية، أو اسلامية (ممن يدعون الإسلام دون فهم مستنير لجوهره).. لكنها ابدا لم تكن مصرية، ولن تكن.. إنما هى

استغلالا للروح الطيبة، وللسذاجة والأمية المصرية المتفشية، ورد فعل مفتعل للقهر الذى طالما عانى منه المصريون، دون أن يجابهوه بالعنف والإرهاب.. إذن هى ظاهرة دخيلة وليست سمة أصيلة.

هذا وأرى أن التعبير عن الصداقة أو العداء لدى المصرى قد يبدو فى الكلام والمناقشات الحادة.. لكنه ابدا لم يكن حرق وقتل وسفك دماء.. إلا مؤخرا، وهو ظاهرة جديرة بالدراسة، قد تكون الأمية الثقافية، والنمطية والجمود فى التفكير، والتمسك بالموروث سببا لها.. لكنها على أى حال لم تبدأ - كظاهرة عامة فى مصر - إلا بالتطرف الدينى، الذى بدأ مؤخرا ولم يلتفت إليه إلا بعد حادث المنصة، وما تلاه من اغتيالات للشخصيات العامة، وسلسلة من العنف اجتاحت الحياة الاجتماعية المصرية، بدأت بمسلسل قتل الأزواج، الذى لا يتفق وطبيعة المرأة - والمرأة المصرية بالذات - انتهى بسلسلة من الجرائم التى تقطع صلة الرحم.. وتمزق الروابط الأسرية القوية، التى يعتز بها المصرى، ويعبر عنها فى أمثاله الشعبية، بوصفها عنصرا من عناصر الاستقرار، الذى ينشده لحياته بل ويعشقه.

وإذا كان «برجر» يرى أن الشخصية العربية بما فيها من عداء، وعدم طمأنينة، وسوء ظن، وغيرة وتنافس، يعوض عنها العربى بالتدين وأساليب الاستعطاف والكرم والتعاون.. فأنا - على ضوء دراستى

لسمات المصرى - أنزهه - واقعا وليس دفاعا - عن هذه السمات .. بل أرى فيه من السلبيات ما يتناقض مع هذه السمات، فهو مستكين يبالغ فى التواضع إلى حد المسكنة، وهو كثير ما يحسن الظن بالآخرين، ويتسامح معهم، بل إن المصرى الآن يفتقد إلى روح الغيرة والمنافسة الفاعلة، التى تجعله يعود إلى سابق عهده من الخلق والإبداع، والعمل الجميل الخلاق، والبناء، الذى يرجع به لمصر وجهها الحضارى الحقيقى.. ويعيد لنفسه سماتها الأصيلة.

من كل ما سبق نخلص إلى أن المصرى تأثر بالفتح العربى والاحتكاك بالعرب.. ولكن ليس إلى الحد الذى يمسخ شخصيته الأصيلة.. وقد عددنا ما يتفق فيه مع الشخصية العربية، وما يختلف فيها عنها.. وقد وضح من استعراضنا السالف للأمثال العامية المصرية أن هناك كثيرا منها من أصل عربى متداول، وقد بينت ذلك أمام كثير من الأمثال، ولا أجد غضاضة فى هذا الفصل من ذكر كم من الأمثال العربية، التى مازالت تتداول بين العامة والخاصة المثقفة المصرية، إما بنصها، أو بمعناها.. وسنورد فيما يلى نماذجا للأمثال العربية المتداولة لفظا فى مصر وفقا لما ورد فى «مجمع الأمثال» للميدانى، ولما استطعت جمعة بنفسى، من ألسنة العامة، ومن الكتابات والأحاديث الصحفية والإذاعية والتليفزيونية، وهى على سبيل المثال لا الحصر نصا:

- من نكث فإنما ينكث على نفسه.

- ما كل ما يتمناه المرء يدركه.

- السلطان من بعد عن السلطان.

- من راقب الناس مات هما.

- يكاد المريب يقول خذوني.

- رب العباد إذا وهب لا تسألن عن السبب (الرزق).

- مصائب قوم عند قوم فوائد.

- الدين هم بالليل.. وذلة بالنهار (قول للقمان الحكيم).

- شر البلية ما يضحك.

- كل إناء بما فيه ينضح (عن الأصل).

- تجوع الحرة.. ولا تأكل بثدييها.

- أبصر من زرقاء اليمامة.

- تطلب أثرا بعد عين.

- جوع كلبك يتبعك.

- أجود من حاتم.

- كن جميلا ترى الوجود جميلا (شعر متداول).

- عدو عاقل خير من صديق جاهل.

- الصديق عند الضيق.

- الحرب خدعة (حديث شريف).
- الحديث ذو شجون.
- من جد وجد.
- الحق ابلج والباطل لجلج.
- الحر حر ولو مسه الضر.
- أحبب حبيبك هونا ما.
- أحمق من هبنقة.
- إما عليها وإما لها.
- إذا أخصب الزمان جاء الغاوى والهاوى (أى الجراد والذباب).
- إنما الشئ كشكله.
- الطيور على أشكالها تقع (البيض الفاسد يتدحرج على بعضه).
- قل لى من صديقك أقل لك من أنت (له مرادف فرعونى ومرادف عامى مصرى).
- رب رمية من غير رام.
- كل فتاة بأبيها معجبة.
- ما لجرح بميت إيلام.
- من تأنى نال ما تمنى.
- الوقت من ذهب.

- باع كرمة ، واشترى معصرة.

- مكره أخوك لا بطل.

- يبقى على شعرة معاوية.

- كالشعرة التى قصمت ظهر البعير (كالقشة التى....).

- الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

- لو .. تفتح عمل الشيطان.

- لا يصح إلا الصحيح.

- الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية.

- ليس من سمع كمن رأى (أو ليس الخبر كالعيان).

- لا يشكر الله من لا يشكر الناس (كان متداولا قبل قرن كأنه عامية).

- ما ضاع حق وراءه مطالب.

- قليل دائم خير من كثير منقطع.

- كل ممنوع مرغوب.

- تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن (أو تأتى الرياح........).

- تحصيل حاصل.

- المال الحرام لايدوم.

- القناعة كنز لا يفنى.

- رحم الله إمرئ عرف قدر نفسه وكفى الله شره (يكتفى الآن بالجزء الأول منه).

- الغاية تبرر الوسيلة (مبدأ مكيافيللى، وقد صار مثلا).

- الحاجة أم الأختراع.

- الجزاء من جنس العمل.

- العقل السليم فى الجسم السليم.

- خير صديق فى الوحدة كتاب.

- من علمنى حرفا صرت له عبدا.

- إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة، وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم (شعر قديم).

- المساواة فى الظلم عدل.

- على الباغى تدور الدوائر.

- الإعتراف بالحق فضيلة (أو الرجوع للحق فضيلة).

- لقد سبق السيف العزل.

- وداونى بالتى كانت هى الداء.

- بلدى وإن جارت علىَّ عزيزة (شطر من بيت شعر متداول).

- قد أعذر من أنذر (قول لمعاوية بن أبى سفيان، متدوال).

- سوء الظن من حسن الفطن (سوء الظن ليس سمة مصرية).

- إذا أنت أكرمت الكريم ملكته، وإذا أكرمت اللئيم تمردا (شعر متداول).
- لكل زمان دولة ورجال.
- طريق الألف ميل يبدأ بخطوة (مستحدث نسبيا).
- كل لبيب بالاشارة يفهم.
- إن أردت أن تطاع فأمر بمستطاع.
- كل يغني على ليلاه.
- خادم القوم سيدهم.
- الشيء بالشيء يذكر.
- أول الغيث قطرة.
- من عرف لغة قوم أمن شرهم.
- سرك أسيرك فإن نطقت به كنت أسيره.
- صنعة فى اليد أمان من الفقر (يكتفى بالجزء الأول فقط).
- كن ذئبا حتى لاتأكلك الذئاب.
- ياطبيب طب نفسك.
- وهل يصلح العطار ما أفسده الدهر؟!
- الشكوى لغير الله مذلة.
- كذب المنجمون ولو صدقوا.

- المصائب لا تأتى فرادى.

- لايفل الحديد إلا الحديد .

- العفو عند المقدرة.

- ما لا يدرك كله لايترك كله .

- يقطع الشك باليقين.

- كالمستجير من الرمضاء بالنار.

- يذيقه الأمرين (الفقر والهرم).

- زرغبا تزداد حباً.

- لو دامت لغيرك ما آلت إليك.

- المعنى فى بطن الشاعر .

- أسد على وفى الحروب نعامة.

- رجع بخفى حنين .

- العقد شريعة المتعاقدين.

- إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من دهب (له أصل فرعونى أيضا).

- عند جهينة الخبر اليقين.

- قطعت جهيزة قول كل خطيب.

- إذا قالت حزامى فصدقوها ، فخير القول ما قالته حزامى .

(مختصرة : القول ما قالته حزامى).

- صدرك أوسع لسرك.

- الحسود لايسود .

- إذا أتتك مذمتى من ناقص ، فهى الشهادة لى بأنى كامل.

(شعر متداول)

- هل يفتى ومالك فى المدينة.

- إذا حضرت الملائكة ذهبت الشياطين.

- لكل مقام مقال .

- لا فى العير ولا فى النفير .

- لاتمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدنىء فيجترىء عليك.

- إتق شر غضبة الحليم

- لاتنهه عن خلق وتأتى مثله .

- مقتل الرجل بين فكيه.

- ما أشبه الليلة بالبارحة (هناك مثل فرعونى عكس هذا المعنى).

- اليوم خمر ، وغداً أمر (من أقوال إمرىء القيس).

- من حفر حفرة لأخيه وقع فيها .

- داين تدان.

- عز من قنع وذل من طمع.

- جنت على نفسها براقش.
- سلاح الضعفاء الشكاية.
- أملك الناس لنفسه من كتم سره.
- لا تؤجل عمل اليوم للغد.
- على قدر أهل العزم تأتى العزائم (شعر متداول).
- من سل سيف البغى قتل به.
- الغضب ريح تهب فتطفيء سراج العقل.
- لا صديق لسيىء الأدب .
- المرء يعرف بأقرانه.
- إذا حسن البدء حسن الختام.
- رب ضارة نافعة.
- راح يدلى بدلوه .
- إذا عرف السبب بطل العجب.
- إذا حضر الماء بطل التيمم.
- عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.
- حب لأخيك ما تحب لنفسك.
- الصحة تاج على رؤوس الأصحاء .. لايراه إلا المرضى .
- من طلب العلا سهر الليالى .

- إنما على الأرض القوى مسيطر .

- دعوة حق يراد بها باطل.

- برىء براءة الذئب من دم بن يعقوب.

- رب صدفة خير من ألف ميعاد.

- خير الكلام ما قل ودل.

وكما توجد أمثال عربية متداولة نصا ولفظا بين العامة - أو لنقل بين الخاصة المثقفة المتعلمة حتى لانكون مبالغين - فهناك أمثال عربية متداولة معنى فقط ، بمعنى أن المصرى أعاد صياغتها بلهجته العامية ، أو التقط ما تقدم من صور ، وقدمها بمفرادته العامية ، ومن هذه النوعية عدد غير قليل من الأمثال ، نورد منها - على سبيل المثال أيضا .. وليس الحصر - النماذج التالية :

- إذا لم تستح فإفعل ما شئت (المتداول : إللى ما يستحى يفعل ما يشتهى) .

- إياك أعنى وأسمعى يا جارة (المتداول : الكلام لك يا جارة وإنت عاملة حمارة).

- خلا لك الجو فبيضى وأصفرى (يكتفى بالقول : خلى لك الجو).

- أمران أحلاهما مر (يقابله : إختار أحسن الوحشين، أو: إيه إللى رماك على المر ، قال : إللى أمر منه) .

- ترى الفتيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل (يقابله : من برة هلا هلا .. ومن جوه يعلم الله) .

- جزيته كيل الصاع بالصاع (يقابله : كال له الصاع صاعين).

- حسبك من الشر سماعه (يقابله : إبعد عن الشر وغنى له).

- أنجز حر ما وعد (أو : وعد الحر دين عليه).

- من نام لايشعر بشجو الأرق (يقابله : عمر الشبعان ما يفت للجعان ، أو : إللى أيده فى الماية مش زى إللى إيده فى النار).

- خالف تذكر (يقابله : خالف تعرف).

- أخنى عليه الذى أخنى على لبد (يقابله : أخنى عليه الدهر ، أو جار عليه الزمان).

- لاتكن يابساً فتكسر ولا لينا فتعصر (يقابله : إمسك العصايا من النص ، أو : خير الأمور الوسط).

- إذا لم تكن لى والزمان شر مبرم ، فلا خير فيك والزمان ترامى لى (شعر له صياغة حلمنتيشية عامية).

- إن غداً لناظره قريب (يقابله : بكره نقعد على الحيطة ونسمع العيطة).

- ألا من يشترى سهراً بنوم (يقابله: إشترى وجع قلبه بايديه).

- بلغ السيل الزبى (يقابله : فاض الكيل).

– رب ساع لقاعد (يقابله : إجرى يا مشكاح للى قاعد مرتاح).

– قلب له ظهر المجن (وراه الوش التانى).

– ابكى من يتيم (يقابله : متعلمش اليتيم بكا).

– حسبه صيداً فكان قيداً (يقابله : تيجى تصيده يصيدك).

– بطن جائع ووجه مدهون (يقابله : إملا بطنك بالتبن وإدهن بقك بالسمن).

– إبنه علي كتفه وهو يطلبه (يقابله : يبقى إبنى على كتفى وأدور عليه).

– بقدر السرور يكون التنغيص (يقابله : آخرة الضحك نكد).

– بعد البلاء يكون الثناء (يقابله : ما محبة إلا بعد عداوة).

– بذات فمه يفتضح الكذوب (يقابله : إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً).

– بشر مال الشحيح بحادث أو وارث (يقابله : مال الكنزى للنزهى).

– الهوى الهوان (يقابله : الحب بهدلة).

– هيهات تضرب فى حديد بارد (يقابله : أطرق الحديد هو سخن).

– أنم من زجاجة على ما فيها (يقابله : إللى فى قلبه على لسانه).

– ما كل ما يعلم يقال (يقابله الآن : ما كل ما يعرف يقال).

– العلم فى الصدور لا فى السطور (يقابله : العلم في الراس مش فى الكراس).

- الوحدة خيــر من قــرين الســوء (المتداول الآن : الوحدة ولا رفيق السوء) .

- إذا كان سقفك من زجاج فلا ترم الآخرين بالحجارة (ياللى بيوتكم إزاز ليه ترموا الناس بالطوب ، أو : إللى بيته من إزاز ما يحدفش الناس بالطوب).

- من الالفة عدم الكلفة (يقابله : كتر الالفة ترفع الكلفة).

- يسب ويأسو (يجرح ويداوى).

- من له فى الغيب شىء ، إلا يناله (يقابله المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين) .

- رب أخ لم تلده أمك . يقابله (صديق صح أخير من أخ).

- رب مملــول لايستطاع فراقه (يقابله: لا أحبه .. ولا أقدر على بعده).

- بيضة اليوم خير من دجاجة الغد (يقابله : بيضتها ولا ليلتها).

- كل شاه برجلها معلقة (يقابله : كل واحد معلق من عرقوبه).

- كل إناء يرشح ما فيه (متداول : كل إناء بما فيه ينضح).

- لن يهلك إمرىء عرف قدره (المتداول : رحم الله إمريء عرف قدر نفسه).

- لما إشتد ساعده رمانى (ويسبقه أحياناً : علمته الرمى .. ويقابله: علمناهم الشحاتة سبقونا ع الأبواب).

- لا ناقتى فى هذا ولا جملى (المتداول : لا ناقة له فيها ولا جمل).
- لا ينفع حذر من قدر (يقابله : الحذر ما يمنعش قدر).
- لايذهب العرف بين الله والناس (المتداول : لايذهب المعروف ، أو المعروف مبيضعش).
- مات حتف أنفه (المتداول : رغم أنفه).
- المزاحة تذهب المهابة (يقابله : الهزار يقل المقدار).
- من صدق الله نجا (يقابله : الصدق منجى).
- من أشبه أباه فما ظلم (المتداول : من شابه أباه فما ظلم).
- المرأة من المرء ، وكل أدماء من أدم (متداول : كلنا ولاد أدم).
- إذا ذهب الحياء حل البلاء (المتداول : إذا لم تستح فافعل ما شئت).
- ما يحك جلدى مثل ظفرى (يقابله : ما يهرش لك إلا إيدك).
- معظم النار من مستصغر الشرر (يقابله : تقاوى البلاوى كلمتين فارغين).
- علَّى أن أسعى وليس علىَّ إدراك النجاح (يقابله: هو أنا مغسل وضامن جنة؟!).

مما سبق من نماذج نستطيع القول بأن الشخصية المصرية - كما سلف ذكره فى بداية هذا الفصل وفى الفصل الأول من هذا الكتاب -

تأثرت على حد قول د. ميلاد حنا بالفتح العربى كرقيقة من الرقائق الحضارية، التى تعاقبت على مصر - وأتفق معه فى ذلك - موضحة أنه مجرد تأثر بالاحتكاك واللغة والدين ، وليس إعادة خلق للشخصية المصرية الأصيلة ، والمتفردة والعبقرية .. بل لعله من نافلة القول أن أكرر ما ذهب إليه من قبلى كثيرون ، ممن قالوا بأن مصر لاتذوب فى الآخرين .. ولكن الآخرين هم من يذوبون وينصهرون في بوتقتها .. فهى تؤثر أكثر مما تتأثر ، وهذا سرها ولغزها !! الذى حاول ثبر غوره الكثيرون ، ممن حاولوا معرفة كنهه وأسبابه ، ولم يصلوا إلى سبب .. سوى أنها مصر العظيمة وشعبها العظيم .. لماذا ؟!! لايسعنا إلا الرد بالقول السائر الآن : «من غير ليه !!» .. أو لعل هناك مبررات ترد على هذا الإستفسار .. ليس مجالها هذا البحث ، ولذلك أشرت إلى الجوانب التي تأثر فيها المصرى بالعربى ، ومن يريد أن يدرك كم التأثير والتأثر بين الشخصية المصرية والشخصية العربية ، فعليه بالعديد من الكتابات الأخرى ، وفى مقدمتها كتاب السيد يسين «الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر» وفيه مقارنات شتى بين سمات الشخصية العربية والصورة الذهنية المنطبعة عن العرب فى الغرب بدوله المختلفة .. ويرصد تكرارات مجدولة ومرتبة تنازليا لسمات الشخصية العربية ، يستعرض فيها معيشتهم البدوية ومستواها المنخفض، ومدى تفككهم

والتنافس فيما بينهم ومستوى تعليمهم المنخفض، وإتسامهم بعدم الأمانة وبأنه لايوثق بهم ، وكيف تسود بينهم إتجاهات غير ديمقراطية ، وأن حقوق النساء العربيات قليلة، كل ذلك فى مقابل إشارات طفيفة إلى بعض الصفات الطيبة للعرب (★) .

كما تجدر الإشارة هنا - قبل أن نختتم هذا الفصل إلى ضرورة الرجوع إلى عدد ممتاز أصدرته مجلة «الفكر المعاصر القاهرية» (★★) بعنوان «الشخصية المصرية» تناول فيه عدد من الباحثين فى دراسات متنوعة شخصيتنا القومية، ومحاولات نقد الذات ، والطابع القومى للشخصية ، ومصر النهرية ، والشخصية المصرية بين الإيجابية والسلبية ، وظاهرة الموت فى حياة المصريين، وشخصيتنا بين القدرية والتواكلية ، ونحن وظاهرة الإغتراب ونزعة الإبتعاد عن الواقع ، وشخصيتنا من المأثورات الشعبية، وملامح من شخصية المرأة المصرية.. وبالمقارنة بين شتى الدراسات التى تناولت الشخصية المصرية والشخصية العربية ككل ، أو الصور الفرعية منها، يستطيع من يريد ، أن يكتشف المقارنة بين كلا الشخصيتين، وأيهما أقوى وأكثر تحديداً ، وأكثر تأثيراً فى الأخرى ، فالبعض يرى أن مصر بما كانت تمتلك - ومازالت - منذ بداية القرن الموشك على الإنتهاء - من وسائل إتصال :

(★) السيد ياسين المرجع المشار إليه ص ١١٨ مكتبة مدبولى الطبعة الرابعة ١٩٩١ .
(★★) ابريل ١٩٦٩ .

صحف وإذاعة وسينما وتليفزيون ، قد اثرت فى الشخصية العربية ، والمفاهيم السائدة فيها، وفي فنونها ولهجاتها باكثر مما حدث لها من تأثر خلال ١٤ قرنا مضوا .. وعلى أى حال فمجال البحث مفتوح على مصراعيه ، لمن يريد إثبات ذلك أو دحضه، بالدراسة والتحليل لشتى المظاهر السلوكية ، والفنون والأداب الشعبى منها والفصيح.

هذا ولعل الدراسات التى أجريت بعد هزيمة ١٩٦٧ حول الشخصية القومية العربية، باعتبارها من بين عوامل الهزيمة، وحاولت نقد الذات العربية والمصرية ، من منطلق كونها ككل شخصية «فهلوية» وأعمق هذه الدراسات هى كتاب صادق جلال العظيم «النقد الذاتى بعد الهزيمة» ، الذى رأى فيه أن الشخصية العربية تميل إلى إزاحة المسئولية عن النفس وإسقاطها على الغير، منطلقة من المنطق التبريرى.

هذا وقد أفاض د. حامد عمار فى دراسته المسماة: «الشخصية الفهلوية» ، فى إطار دراسة متكاملة جعل لها عنواناً «التربية الإجتماعية للشخصية» ووضع لهذه الشخصية «الفهلوية» سمات أساسية نذكر منها «التكيف السريع لمختلف المواقف، وإدراك ما تتطلبه من إستجابات مرغوبة ، والتصرف وفقاً لمقتضياتها ، إلى الحد الذى يراه مناسباً» وتتميز هذه القدرة على التكيف السريع بالمرونة ، والفطنة ، والمسايرة السطحية ، والمجاملة العابرة، التى يقصد بها تغطية الموقف ، وتورية

المشاعر الحقيقية، بمعنى عدم وجود ارتباط حقيقى بين ما يقوله المرء وما يقوم به من مظاهر سلوكية – وهو ما ذهبت إليه فى هذا البحث ، حينما تناولت سمة «ذكى فطن» - كما ذكر حامد عمار من السمات الفرعية للشخصية الفهلوية : النكتة المواتية كخاصية يتميز بها النمط المصرى – وهو ما ذكرته فى الحديث عن سمة «ساخر» – وهو أيضا ما أفرد له عادل حمودة كتاباخاص ، تعرضت لبعض أفكاره فى الفصل الأول .

كذلك ذكر حامد عمار : المبالغة في تأكيد الذات، والميل الملح إلى إظهار القدرة الفائقة ، والتحكم فى الأمور – وقد تعرضت لهذا أيضا، كسمة فرعية للسمة المصرية الأصلية السائدة «طيب عفوي». التى تفرع عنها «تلقانى ومبالغ» فى كل الأمور ، فى الحزن والفرح، والعطاء، والكرم ، وتأكيد الذات ، أى مبالغ بوجه عام.

أما عن سمة «سيادة النظرة الرومانتيكية للمساواة ، حيث يشعر المصرى فى قرارة نفسه بالنقمة والسخط على الأوضاع، والتفرقة أى كان نوعها ، أو دوافعها ومبرراتها ، وإتصال ذلك بعدم الاعتراف بالسلطة أو الرئاسة ، والتنكر لها فى أعماق الشعور».. فقد تناولتها أيضاً فى مناقشتى لسمة «ساخر» ، وسمة «سلطاوى» أى يحترم من هم أكبر منه ، ويخشى كل أشكال السلطة ، الأبوى منها والسلطاوى

الحاكم .. وإن كان يسخر من السلطة ، ومن حكامه فهو يهادنهم ، ويخشاهم .. ولكن لا يحبهم ولا يحترمهم فى قرارة نفسه .. حتى إذا أحب حاكمه - كما هو الحال فى فترات القيادة الكرزمية (مثل الحقبة الناصرية) - فقد كان عبد الناصر محبوباً ، وله هيبته .. ولكن الأمر لم يخلوا من نكات ساخرة منه ، ومن عصره ، وقد أوضح ذلك وأسهب فيه عادل حمودة فى كتابه المشار إليه سلفاً «كيف يسخر المصريون من حكامهم؟».

أما عن الطمأنينة إلى العمل الفردى وإيثاره على العمل الجماعى كسمة مكملة للشخصية الفهلوية - فقد أشرت سلفاً إلى أن نتائج هذا البحث لم تؤكدها ؛ لأن المصرى من واقع تحليل أمثاله الشعبية «متعاون».. وطالما شارك فى أعمال جماعية خالدة ، وقد أوضحت عدم إتفاقى مع من قالوا : بفردية المصرى ، إذ أراها سمة دخيلة تتعلق بالحياة المادية للمصرى ، الذى تؤكد أمثاله كراهيته للشراكة .. لكنه بصفة عامة محب للآخرين ومتعاون ، وإن بدأت تظهر هذه النزعة الفردية مؤخراً ، فهى سمة دخيلة ومستحدثة ، قد تسود إذا ما استمر المد المادى وطغى .. أما إذا حدث وعاد المصرى لأصالته ؛ بقليل من التوعية وتبدل الظروف .. فستتأكد عنه سماته الأصيلة ، البعيدة عن هذا الإتجاه .

كذلك الحال بالنسبة لسيادة الرغبة فى الوصول إلى الهدف بأقصر الطرق وأسرعها ، وعدم الإعتراف بالمسالك الطبيعية ، وهى ظاهرة لا سبيل إلى إنكارها .. لكنها مستحدثة .. إذ لم تثبت من خلال تحليل الأمثال الشعبية ، التى أكدت أن المصرى «متأنى»، يكره التعجل ، وأنه «متقن لعمله يعلى قيمة العلم والعقل ، والأصل ، والعمل الطيب على قيمة المال .. ويفرق بدقة بين الحلال والحرام ، ويكره الحرام ، ويرى فيه انعدام البركة ، وزوال الخير كله ؛ ولذلك فهذه السمة الدخيلة أرجعها إلى العقود الأخيرة ، التى طغت فيها الماديات على المعنويات .. لكننى أتصور أنه لو أجرى آخر على التعبيرات الشعبية المستحدثة والسائدة الآن بين الشباب .. بل وبين كثير من فئات الشعب المصرى .. فربما تثبت مثل هذه الدراسة بروز هذه السمة الأخيرة .

ويؤكد ذلك أيضاً أن حامد عمار نفسه .

«بحسه المنهجى الدقيق ، حرص على أن يورد تحفظات متعددة بصدد هذا (النموذج المثالى) الذى صاغه ، وإعتبره مجرد (فرض) يحتاج إلى مزيد من المناقشة واستكمال الأدلة التى تثبته أو تدحضه، ومن ناحية أخرى أكد أن هذه السمات جميعاً هى وليدة الظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية ، وأنواع المؤسسات والنظم التى ترتب كيان المجتمع وأنها ليست مقومات (طبيعية) فى المصرى

نشأت ونمت وستظل هى مقوماته أبداً ، وإنما هى قابلة للتغيير والتحوير» (١).

وفى هذا الإستشهاد دليلاً أخر على ما ذهبت إليه فى هذه الدراسة .. والتى أتعشم أن يتاح لى أن أعقبها بدراسة أخرى .. بدأت بالفعل فى تجميع مادتها لتحليل مضمون الأقوال والتعبيرات ، والتشبيهات ، والكنايات العامية المصرية ، وخاصة المستحدث منها .. بوصفه المعبر عن الفلسفة الحديثة للشعب المصرى، التى تؤكد بقاء بعض السمات السالفة الذكر ، وتنحى بعضها الآخر ، وتوضح الإنقلاب القيمى المصرى ، وإعادة ترتيب أولوياته أو إعادة ترتيب السلم القيمى المصرى.

---

(١) سيد يسين ، الشخصية العربية ، ص٢٢٦

الفصل الخامس

الأمثال القرآنية المتداولة بين العامة

إذا كانت أبرز سمات المصرى هى : «متدين» - وقد استعرضنا سلفاً كم الأمثال العامية المصرية المعبرة عن هذه السمة، بكل ملامحها الفرعية - فلا شك أن الأمثال العربية التى مازالت تتداول على ألسنة المصريين قد عكست أيضاً - فى جانب منها - سمة «متدين» - كما أن المدقق لما يتواتر على ألسنة العامة فى مصر من أمثال فصيحة سيجد أن غالبيتها مأخوذة عن نصوص قرآنية ، أو أحاديث نبوية .. وقد أشرت باقتضاب أمام بعض الأمثلة التى يتصور البعض من شدة ذيوعها أنها عامية - أشرت إلى أنها حديث نبوى متداول ، أو اية قرآنية متداول .. لكنى أفرد هذا الفصل لهذه النوعية بالذات من الأمثال نظراً لأهميتها ؛ ولأنها تعبر عن أهم سمات الشخصية المصرية ؛ ولأنها تعتبر من المداخل الإقناعية التى يستخدمها المصريون للوصول إلى أهدافهم مباشرة ، ملخصين الحكمة كلها فى عبارة قرآنية ، صارت مثلا من

كثرة التداول ، أو سنة نبوية لخصها الحديث الشريف فى عبارة وجيزة أقرب إلى الحكمة المصفاة .. مع ما فيها من صور تكاد تكون محسوسة لأمور معنوية مجردة .. أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلج بها إلى النفوس الحائرة حول أمور كثيرة .. فنجح من خلالها فى الوصول - ليس فقط - إلى القلوب والمشاعر والعواطف ، ولكن حقق باستخدامه لها اقتناعاً عقلياً ، وإستقراراً عميقاً فى الوجدان .. دون أن يخاطب مباشراً بعبارات إرشادية مباشرة .. وإن لم يخل الأمر أحياناً من استخدام الخطاب المباشر ، الذى تحول إلى حكمة من كثرة تكراره على الألسنة بأسلوب تقريرى؛ كالقول : «النظافة من الإيمان»، أو «الطهارة شطر الإيمان» ، لكنه قدّ حقق بإتجاهيه التصويرى أو التقريرى - بعد أن صار مثلاً يضربه كل مؤمن - حقق بأقصر الطرق وأيسرها .. إقتناعاً عقلياً وعاطفياً ، رصده كثير من الباحثين فى الدراسات الإسلامية والإعلامية فى آن واحد (★).

هذا وسنلاحظ أن الأمثال المستقاة من آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ، قد نجحت بإعجاز فى أن تربط القضية أو الفكرة التى تتناولها بأشـــياء محسوســة فى الواقع المعاش ، كما أنها - أى الأمثال

(★) للإستزادة في هذا الصدد راجع إحسان عسكر (دكتور - فنون التبليغ القرآني ونظرياته)، دار النهضة العربية ، ١٩٨٦، وراجع أيضاً: سيد قطب، التصوير القرآني، منشورات دار المعارف، الطبعة العاشرة.

- كأسلوب تعبير قد جاءت متفقة تماماً مع طبيعة الإنسان ، الميالة إلى سماع الأمثال ، وحفظها ، وترديدها ، وحبه لهذا النسق من الصياغة ، لما تتمتع به من جمال الأسلوب ، وسلامة العبارة، ودقة الألفاظ ، و«إصابتها للمعنى ، وطرفاتها التى تتجدد ولا تبلى» (١)؛ ولذلك يقبل عليها ، ويسلم بحكمها ، ويقوم بتعديل سلوكه وتصرفاته وفقا لمطلوبها؛ لأنها تلخص له المواقف الواقعية وتبسطها فى صور مكثفة.

هذا وقد أكد القرآن الكريم على أهمية الأمثال ؛بوصفها صيغة تساعد على إعمال الذهن والفكر ، وأيضاً ترشيد السلوك، وتربية الحس النقدى ، كما أنها - كعبارات تصويرية - تثير حب الاستطلاع والرغبة فى التأمل .. رغم أن الأمثال القرآنية تتميز بالاسلوب الواضح الذى يبسط الحقائق ، ويورد الأدلة والبراهين بما يقنع العقل .

وقبل أن نبدأ فى استعراض الأمثال المستقاة من القرآن، تجدر الإشارة إلى الآيات القرآنية التى تتحدث عن الأمثال كوسيلة شحذ للفكر مثل قوله تعالى :

«وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» (٢).

وقوله تعالى :

---

(١) د. عبد الغني بركة ، أسلوب الدعوة القرآنية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ص ٢٩٩.

(٢) سورة الحشر ، آية ٢١.

«وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم» (١).

- «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون»(٢).

- «ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» (٣).

- «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال» (سورة الرعد : الآية ١٧).

- «ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء» «سورة إبراهيم : الآية ٢٤» (مثل تصويرى).

- «ويضــرب الله الأمثـال للناس لعلهم يتذكرون ».(سورة ابراهيم الآية ٢٥) وأيضا (وضــربنا لكم الأمثال) (سورة ابراهيم ، الآية ٤٥)

- «فلا تضربوا لله الأمــثال إن اللــه يعــلم وأنتم لا تعلمون» (سورة النحل : اية ٧٤)

- «ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً....» (سورة النحل : الآية ٧٥) .

- و«ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا ....» (سورة النحل : الآية ١١٢) .

(١) سورة يس ، الآيتان ٧٨، ٧٩ .
(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٣ .
(٣) سورة الحج ، الآية ٧٣ .

- «أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فَضَلُّوا فلا يستطيعون سبيلا» «سورة الإسراء : الآية ٤٨» .

وإذا أردنا تتبع سور القرآن الكريم وآياته لاستخراج ما ضرب فيها من أمثال ، لخرجنا بكتاب كامل فى هذا الموضوع.. لكنى هنا أعطى نماذج وأمثلة فقط .. كما أنى سأورد ما صار مثلا بالعبارة المتداولة بين العامة - وليس بما صوره القرآن - من صور تمثيلية أو تشبيهية ؛ ليقرب فكرة ما من الأذهان ؛ ولذلك كان لابد من الاستدراك هنا؛ لتحديد ما سنعتبره مثلاً ، وما سنعتبره تصويراً قرآنياً بليغاً وقديراً كصورة ؛ وليس كعبارة موجزة، مختصرة، دالة ، أقرب إلى التعريفات الخاصة بالأمثال الشعبية ، من حيث الإيجاز ، والحكمة، والتكثيف ، والشرطية والسببية ، والبلاغة ، ومما سبق أن أشرنا إليه فى الفصل الثانى من هذا الكتاب تعريفا للأمثال .

وعوضا عن الاسترسال فى الشرح والإفاضة فى إيضاح ما نرمى إليه ، نلج مباشرة إلى صلب ما نقصده ، ونرجىء التعليق عليه إلى نهاية هذا الفصل ، الذى أعتبره مسك الختام لهذه الدراسة، التى أرجو أن تكون منطلقاً جيداً لغيرى من الباحثين المتخصصين، كل فى مجاله؛ كى يعمق هذه الفصول؛ لتصير كتباً وبحوثاً مستفيضة ومفيدة فى آن معاً.

فعن الأمثال المتداولة بين الناس ، والمأخوذة عن نص قرآني، نجد أن الإنسان المصرى - «المتدين» و«الذكى» فى آن واحد - قد استطاع باقتدار انتقاء ما يصلح مثلاً ، فحتى الآيات السابقة التى تتناول الأمثال التصويرية ، نجده اختزلها، واختار خلاصتها؛ لتصير مثلا على لسانه كالاكتفاء بالقول : «ضعف الطالب والمطلوب» أو «يحيى العظام وهى رميم»، محتفظاً باللفظ أو المنطوق القرآنى وبنفس صياغته ، ونجده أحياناً يقتبس المعنى فقط ، ويعيد صياغته بعاميته القريبة من وجدانه والأيسر على لسانه فيقول : «الله أعلم» عوضا عن قوله تعالى : «وهو بكل خلق عليم» .. فالمعنى واحد .. وإن كان المنطوق المتداول أشمل ، من حيث هو تلخيص وتعميم فى آن واحد ، لتكرار اسم الله العليم بكل شىء بخلقه ، وبالغيب ، وبالصيرورة .... وباللانهاية، فهو اختزال معجز وجامع مانع ، يحسب للمصرى المؤمن والذكى معاً ؛ ولذلك سوف أورد النص القرآنى المأخوذ عنه المثل ، وفى مقابله ما يتردد على الألسنة، إذا كان مختلفاً عنه ولو فى حرف واحد، أو تحريف له بالإضافة أو الحذف، أو تغيير تركيب الجملة وصياغتها ، كما سيتضح فيما يلى لما ورد فى بعض سور القرآن الكريم :

- «وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم» (سورة البقرة : أيه ٢١٦. وفى نفس المعنى سورة النساء : الآية ١٩).

- «.. ولكن الله يفعل ما يريد» (سورة البقرة ، الآية ٢٥٣) (ويقول العامة، أنت تريد وأنا أريد ، والله يفعل ما يريد).

- «لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى» (سورة البقرة : الآية ٢٥٦) (ويكتفى بالجزء الأول من الآية).

- «.. بلى ولكن ليطمئن قلبى» (سورة البقرة : الآية ٢٦٠) (متداولة كما هى تقريباً).

- «ولا هم يحزنون» (سورة البقرة : الآيات ، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧، وسورة آل عمران : الآية ١٧٠ ، وسورة المائدة : الآية ٦٩ ، سورة الأنعام : الآية ٤٨ ، سورة الأعراف : الآية ٣٥ ، سورة يونس : الآية ٦٢ .... إلخ).

- «قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم» (سورة البقرة : الآية ٢٦٣) (يتداول جزء منها وأحياناً يكتفى بالقول : «الله الغنى»).

- «يؤتى الحكمة من يشاء» (سورة البقرة الآية ٢٦٩).

- «وأمره إلى الله» (سورة البقرة : الآية-٢٧٥).

- «.. فنظرة إلى ميسرة» (سورة البقرة : الآية ٢٨٠).

- «ولا تكتموا الشهادة» (سورة البقرة : الآية ٢٨٣).

- «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» (سورة البقرة: الآية ٢٨٦) وأيضاً «لا نكلف نفساً إلا وسعها» (سورة الأنعام : الآية ١٥٢) (سورة الأعراف : الآية ٤٢).

- «.. وترزق من تشاء بغير حساب» (سورة آل عمران : الآية ٢٧) (ويقال، يرزق من ....).

- «إن الله يــرزق من يشـاء بغيــر حســاب» (سورة آل عمران : الآية ٣٧).

- «إذا قضـــى أمــراً فإنما يقول له كن فيكون» (سورة آل عمران : الآية ٤٧).

- «.. موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور» (سورة آل عمران: الآية ١١٩) (المتداول ، موتوا بغيظكم أيها الكافرون).

- «..وتلك الأيام نداولها بين الناس» (سورة آل عمران: الآية ١٤٠).

- «حســبنا اللــه ونعــم الوكيل» (سورة آل عمران: الآية ١٧٣) (دعاء متداول).

- «كل نفس ذائقة الموت ... وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (سورة آل عمران : الآية ١٨٥).

- «فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير» (سورة النساء : الآية ١٢٨) (ويكتفى الآن بالجزء الأخير فقط).

- «الرجال قوامون على النساء ...» (سورة النساء الآية ٣٤) .

- «أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن» (سورة المائدة ، الآية ٤٥) (ويكتفى بالقول : العين بالعين والسن بالسن ، وهو انتقاء ذكي) .

- «لايخافون لومة لائم» (سورة المائدة ، الآية ٥٤) .
- «عفا الله عما سلف» (سورة المائدة ، الآية ٩٥) .
- «ما على الرسول إلا البلاغ» (سورة المائدة ، الآية ٩٩) .
- «لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم» (سورة المائدة ، الآية ١٠١).
- «فقطع دابر القوم الذين ظلموا ...» (سورة الأنعام ، الآية ٤٥) وأيضا «وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين» (سورة الأعراف ، الآية ٧٢) ، «ويقطع دابر الكافرين» (سورة الأنفال ، الآية ٧)، (التعبير ، يقطع دابر .. متداول بين العامة) .
- «قل هل يستوى الأعمى والبصير ...» (سورة الأنعام ، الآية ٥٠) وأيضاً : «قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور» (سورة الرعد ، الآية ١٦) .
- «ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين» (سورة الأنعام ، الآية ١٤١) (المتداول ، الله لا يحب المسرفين) .
- «ولا تزر وازرة وزر أخرى ...» (سورة الأنعام ، الآية ١٦٤ . سورة الإسراء ، الآية ١٥) .
- «أتقولون على الله ما لا تعلمون» (سورة الأعراف ، الآية ٢٨) .
- «.. وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ...» (سورة الأعراف ، الآية ٣١) .

- «ما نزل الله بها من سلطان ...» (سورة الأعراف ، الآية ٧١) ويتداول : «ما أنزل الله بها من سلطان» (سورة يوسف ، الآية ٤٠) .

- «فلا تشمت بى الأعداء ...» (سورة الأعراف ، الآية ١٥٠) .

- «.. وأصلحوا ذات بينكم إن كنتم مؤمنين» (سورة الأنفال ، الآية ١).

- «فلا تولوهم الأدبار» (سورة الأنفال ، الآية ١٥) .

- «ليقضى الله أمرا كان مفعولا» (سورة الأنفال ، الآيتان : ٤٢ ، ٤٤) .

- «ولكن الله سلم ...» (سورة الأنفال ، الآية ٤٣) .

- «.. ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين» (سورة الأنفال ، الآية ٤٦) وأيضا : «والله مع الصابرين» (سورة الأنفال ، الآية ٦٦) .

- «.. وأن الله ليس بظلاّم للعبيد» (سورة الأنفال ، الآية ٥١) .

- «.. ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (سورة الأنفال ، الآية ٥٣) ، والمتداول : «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (سورة الرعد ، الآية ١١) .

- «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله» (سورة الأنفال ، الآية ٦١) .

- «لا تحزن إن الله معنا» (سورة التوبة ، الآية ٤٠) . «قل لن

يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون» (سورة التوبة ، الآية ٥١) .

- «ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج» (سورة التوبة الالآية ٩١) (المتداول : ليس على المريض حرج) .

- «الأعراب أشد كفراً ونفاقاً...» (سورة التوبة اية ٩٧) معنى : العرب جرب ، ويا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق) .

- «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ...» (سورة التوبة ، الآية ١٠٥) .

- «أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع» (سورة يونس الآية ٣٥) .

- «وأنا برىء مما تعملون» (سورة يونس ، الآية ٤١) .

- «إن وعد الله حق» (سورة يونس ، الآية ٥٥) .

- «ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون» (سورة يونس ، الآية ٨٢) .

- «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ...» (سورة يونس ، الآية ١٠٧) .

- «فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها» (سورة يونس ، الآية ١٠٨، ونفس المعنى فى سورة الإسراء، الآية ١٥).

- «ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا» (سورة هود ، الآية ١٨) .
- «بسم الله مجراها ومرساها» (سورة هود ، الآية ٤١) .
- «وما توفيـقى إلا باللــه عليــه توكلت وإليه أنيب» (سورة هود ، الآية ٨٨) .
- «إن الحسنات يذهبن السيئات» (سورة هود ، الآية ١١٤) .
- «فأدلى دلوه...» (سورة يوسف، الآية ١٩) (المتداول: أدلى دلوه) .
- «وشهد شاهد من أهلها» (سورة يوسف ، الآية ٢٦) .
- «إن كيدكن عظيم» (سورة يوسف ، الآية ٢٨) (المتداول تعميم على كل نساء الأرض ، إن كيدهن عظيم) .
- «حاش لله» (سورة يوسف ، الآيتان : ٣١ ، ٥١) .
- «أضـغاث أحـلام» (سورة يوسف ، الآية ٤٤) (تعبـير دارج وليس مثل) .
- «ان النفس لأمّارة بالسوء» (سورة يوسف ، الآية ٥٣) .
- «إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها» (سورة يوسف ، الآية ٦٨) (متداولة بدون كلمة قضاها) .
- «أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين» (سورة يوسف ، الآية ٩٩) وأيضاً : «أدخلوها بسلام آمنين» (سورة الحجر ، الآية ٤٦) .
- «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» (سورة الرعد ، الآية ٢٨) .

- إن الله لا يخلف الميعاد» (سورة الرعد ، الآية ٣١) .

- «لكل أجل كتاب» (سورة الرعد ، الآية ٣٨) (متداولة كما هى تماماً) .

- «لئن شكرتم لأزيدنكم» (سورة إبراهيم ، الآية ٧) .

- «فيه شفاء للناس» (سورة النحل ، الآية ٦٩) .

- «إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها» (سورة الإسراء ، الآية ٧) .

- «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» (سورة الإسراء ، الآية ١٥)

- «فأولئك كان سعيهم مشكوراً» (سورة الإسراء ، الآية ١٩) (والمتداول : سعيكم مشكور ، وتقال فى مناسبات العزاء) .

- «ولا تبذر تبذيرا» (سورة الإسراء ، الآية ٢٦) ، «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين...» (سورة الإسراء ، الآية ٢٧) .

- «ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا» (سورة الإسراء ، الآية ٢٩) .

- «إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً» (سورة الإسراء ، الآية ٣٠) .

- «إن العهد كان مسئولاً» (سورة الإسراء ، الآية ٣٤) .

- «وأضل سبيلا» (سورة الإسراء ، الآية ٧٢) (متداولة كما هى

وتضرب فيما هو أسوأ) .

- «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» (سورة الإسراء، الآية ٨١) .

- «قل كل يعمل على شاكلته ...» (سورة الإسراء ، الآية ٨٤) .

تلك كانت نماذج من آيات الله المحكمات ، التى استقى منها الوجدان المصرى أمثالاً ، يضربها فى مواقف مختلفة ، وتعبيرات سادت على ألسنة العامة من الناس ، والخاصة المتعلمة والمتدينة ، وأيضاً تشبيهات وكنايات ، وصورا بلاغية استخدمت وكأنها عامية دارجة .. بل إن البعض قد لا يدرك وهو يرددها مرجعها ، أو من أين استقاها؟!! وتلك مقدرة مصرية أثرت اللهجة ، ومنحتها بعداً لغوياً جميلاً ، إلى جانب البعد الإيمانى ، والثراء اللفظى ، والتصوير اللغوى المعبر ، وقد آثرت هنا إيرادها - على سبيل المثال لا الحصر - مرتبة وفقا لورودها فى المصحف ، وليس وفقاً لمضاربها أو استخداماتها ؛ لأن موضوع تصنيفها وفقاً للموضوعات أمره وشرحه يطول .. أتمنى أن يتحقق لى أو لغيرى من الباحثين فى كتاب آخر .. وما أردته فقط هو التأكيد على أن المصرى قد تأثر كثيراً بأمثال العرب وأخذ منها - كما وضح فى الفصل السابق - كما تأثر أكثر بآيات القرآن وأخذ عنها بعض التعبيرات ، والحكم والأمثال ، ورددها وأبرزها وأكد عليها لأنها اتفقت مع اقتناعاته وفلسفته الخاصة ، وأكدت كثيرها من الأمثال العربية

الفصحى والعامية أو الشعبية على الكثير من سماته ، والمتتبع لها - كما وردت سلفاً - سيجدها تتناول تباعاً موضوعات : إعلاء إرادة الله وتأكيد سمة مؤمن ومتدين وإتكالى ، وموضوع إيمانه بالحرية ، وبأنه «لا إكراه فى الدين» ، ورفضه للمن والأذى ، وإيمانه بأن الأمر لله من قبل ومن بعد ، وأن الهدى من عنده ، فهو يهدى من يشاء كما «يؤتى الحكمة من يشاء» ولا يكلف نفساً إلا وسعها ، ويأمرنا بشكل مباشر بعدم كتم الشهادة ، كما يأمر بقوامة الرجل على المرأة ، وإصلاح ذات البين ف «الصلح خير» ، ويؤمن بالجزاء لأن «العين بالعين والسن بالسن» ، و«أن الله يرزق من يشاء بغير حساب» وهذا يتسق وإيمان المصرى المطلق بأن الرزق من عنده ، وأن «كل نفس ذائقة الموت» و«لكل أجل كتاب» .

هذا وقد تمسك المصرى بآيات التى تتسق وتسامحه فردد «عفا الله عما سلف» و«إذا جنحوا للسلم فاجنح لها» ، كما ردد ما يتسق وإيمانه بالعدل والحق ، وضرورة أن لايخاف فى قول الحق «لومة لائم» وأن «الحق أحق أن يتبع» ، وأن «وعد الله حق» ، و«أنّ الله لايخلف الميعاد» ، وأن يقطع دابر القوم الذين ظلموا ، كما تمسك بالآيات الداعية لعدم الإسراف والتبذير ، والداعية للصبر ، والمطمئنة إلى «ان الله مع الصابرين» ، و«إن الله معنا» ، وردد الايات المؤكدة على أن كل مايصيب المرء من عند الله وبأمره ؛ ولذا يجب التوكل عليه ، وذلك فى قوله تعالى :

«قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا» ، وقوله : «إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو» ، كما ردد المصرى وكتب وعلق لافتات فى عمله أو حانوته ، أو فوق سيارته - إذا كانت مصدراً لرزقة - مما يؤكد إيمانه بكل ذلك ، وإيمانه بالعمل ، وضرورة إتقانه ، وقناعته بأن الله : «يرى عملكم رسوله والمؤمنون» ، مع الإيمان بأنه «بسم الله مجراها ومرساها» وأنه «ماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب» ... إلى آخر ما ورد فيما ذكرت من آيات ، وما حواه القرآن الكريم من حكم ، تمسك بها المصرى ووضعها نصب عينيه ، وصارت مثلاً على لسانه .

هذا وسيلاحظ المطالع لهذه الآيات ، أن المصرى قد اختار من عبارات القرآن أيضاً تعبيرات سائدة فى الكتابات الصحفية ، وفى الاستشهادات الشفوية ، مما لايريقى إلى أن يكون مثلاً .. لكنه تعبيرا بليغا كالقول (أدلى بدلوه) أو (أضغاث أحلام) أو (حاشا لله) أو : «شهد شاهد من أهلها»، أو «ولا هم يحزنون» أو «أضل سبيلاً» أو «نظرة إلى ميسرة» ، أو «زهق الباطل» إلى غير ذلك كثير مما ذكرنا ومما لم نذكر .. ناهيك عما وضح من تبنى المصرى كما هى عادته - حتى فى أمثاله الشعبية - لوجهتى نظر .. فكما آمن بأن الهدى من عند الله ، لم ينكر على الإنسان قدرته على الاختيار بين الصالح والطالح، ودوره فيما يمسه من خير أو شر ؛ ولذلك ردد أيضاً الآيات القائلة بذلك ، ومنها

نذكر قوله تعالى : «إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها» ، وقوله : «من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها» .

ذلك عن الاشتقاق اللغوى من القرآن فى مجال الأمثال .. فماذا عن نحت الأمثال من الحديث النبوى الشريف ؟! لعلنا ذكرنا فى معرض تناولنا للأمثال الشعبية أنها (عربية متداولة) أو (حديث متداول) ، أو (مأثور متداول) .. قد يكون ورد على لسان أحد الصحابة أو التابعين .. وصار مثلاً على ألسنة العامة .. لكنا نكثف القول هنا على مايتداول فى هذا الصدد ، إما كمثل أو كدعاء نبوى صار دعاءً شائعا على ألسنة العامة ، أو أمر أو إقرار بأمر ، جاء على لسان الرسول (صلى الله عليه وسلم) .. وسنتبع فى ذلك أيضاً نفس أسلوبنا السابق ، من إيراد لنماذج من هذا النمط ، ثم تحليلها أو التعليق عليها ؛ حتى يشاركنا القارىء مانذهب إليه ويطلع معنا عليها ، بل ويسبقنا إلى تقويمها وتحليلها ، قبل أن يقرأ رأينا فيها ؛ لذلك أورد فيما يلى على سبيل المثال أيضاً لا الحصر نماذج من هذا النوع من الأمثال المستقاة من أحاديث الرسول (ﷺ) :

- الصدقة تدفع البلاء .
- كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته .

- الحياء شعبة من شعب الإيمان .
- إذا لم تستح فاصنع ماشئت (المتداول فافعل ماشئت) .
- الطهور شطر الإيمان (مطلع حديث من الأربعين النووية) .
- النظافة من الإيمان .
- ولله فى خلقه شئون .
- العمل عبادة .
- إماطة الأذى عن الطريق صدقة (مأخوذ عن حديث نووى) .
- الكلمة الطيبة صدقة (جزء وسط فى حديث نووى) .
- إستفت قلبك (جزء وسط فى حديث نووى) .
- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت (المتداول ، قل خيراً أو فصمت) .
- أتبع السيئة الحسنة تمحها (جزء فى وسط حديث نووى) .
- إن مع العسر يسراً (جزء من حديث نووى وآية من القرآن أيضاً).
- إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار (نووى) .
- لاضرر ولا ضرار (متداولاً بنصة كما هو) .
- البينه على المدعى واليمين على من أنكر .

– اللهم إجعل خير زيامنا خواتيمها (دعاء متداول) .

– إن الحرب خدعة .

– سلام على من إتبع الهدى (من رسالة الرسول «ﷺ» إلى هرقل قيصر الروم) .

– تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم .

– من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له (من خطبة الوداع) .

– ألا هل بلغت ؟ اللهم فأشهد (من خطبة الوداع) .

– فأتقوا الله فى النساء وأستوصوا بهن خيراً (المتداول ، استوصوا بالنساء خيراً) .

– إنما المؤمنون إخوة (من خطبة الوداع) .

– كلكم لآدم وآدم من تراب (السائد : كلنا ولاد آدم) .

– ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى (من خطبة الوداع) .

– إن الذنوب تغير النعم (والسائد الذنوب تذهب النعم) .

– الجنات تحت أقدام الأمهات .

– إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء مانوى .

– المال مال الله وأنا عبده (المتداول ، والمال مال الله وكلنا عبيد الله).

– ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما .

– إن بعض الظن إثم .

– إن الله جميل يحب الجمال .

– إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وإعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ..

- إعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه.

- أول الغيث قطرة.

- من عرف لغة قوم أمن شرهم.

- النساء ناقصات عقل ودين (متداول بفهم خاطيء)

- من يتوكل على الله فهو حسبه.

- الكمال لله وحده.

- لا يلسع المؤمن من جحر مرتين (المتداول ، لا يلدغ المؤمن..).

- أنصر أخاك ظالما أو مظلوما.

- إعقلها وتوكل.

- من تواضع لله رفعه.

- من رأى منكم منكرا فليغيره .. (من الأحاديث النووية).

- إحفظ الله يحفظك (من الأحاديث النووية).

- ان تعبد الله كأنك تراه.. فإن لم تكن تراه فإنه يراك (متداول بصيغة الأمر).

- إن الحلال بين وإن الحرام بين (جزء من حديث طويل).

- إن الله طيب لايقبل إلا طيبا (جزء من حديث طويل من الاربعين النووية).

- دع مايريبك إلا ما لا يريبك (متداول كما هو نصا).

- طلب العلم عبادة.

- من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (هناك امثال شعبية فى هذا المعنى).

- الدين المعاملة.

- لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (من الاربعين النووية، (متداول نصا).

- الدين النصيحة (من الاربعين النووية).

- من يرد الله به خيرا فيفقهه فى الدين.

- اطلبوا العلم ولو فى الصين.

- اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد.

تلك هى الاقوال المستقاة من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) والتى يمكن ان نعتبرها صارت مثلا على ألسنة العامة من المصريين. وقد ذكرنا ضعفها مما استقاه المصريون من القرأن الكريم، ولعل ذلك يكون مصداقا لسمة «متدين»، التى اعتبرناها ثانى

سمة مصرية، بعد سمة «ساخر» ، والتى قلنا بمقتضاها أن المصرى «متدين» وهو يعبد عدة آلهة، و«متدين» وهو أول الموحدين فى عصر الفراعنة، و«متدين» وهو مسيحى - وقد أوردنا سلفا عدة أمثال مستقاة من الانجيل ومن أقوال بولس الرسول، وأخى «متدين» وهو مسلم كما أوضحت النماذج السالفة الذكر، والتى تناولت كثيراً من القيم التى يؤمن بها المصرى ويتمسك بها، وتعكس - فى نفس الوقت - سماته الاساسية والفرعية، كالتعاون والتكافل الاجتماعى ، الذى تحققه الصدقة والاحسان، والتى تناولتها الاحاديث النبوية الشريفة، مؤكدا انها تدفع البلاء، وشارحة لكل ما يمكن اعتباره صدقة.. حتى لو كان الانسان غير ثرى ولا يملك ما يتصدق به - وهو حال معظم المصريين الفقراء - فالكلمة الطيبة صدقة»، وإماطة الاذى عن الطريق صدقة»، وشارحة لكل ما - يعتبر ايمانا كالنظافة والطهور والحياء وكل ما يمكن اعتباره عبادة كطلب العلم وكالعمل.

هذا وقد وضعت الأحاديث الشريفة شروطا ومواصفات للعمل الفعلى، من إتقان وحسن أداء ، كما امرت بسرعة منح الاجير اجره، كما افاضت الاحاديث فى شرح معنى الدين، بوصفه حسن معاملة الغير، والنصح لهم، والتفقه فيه، وترك ما لا يعنينا.

كما فرقت الاحاديث بين الحلال والحرام، وضرورة استفتاء النفس

فى ذلك وترك مايريب الى ما لا يريب، وعمل الطيب حتى يقبلنا الله، الى غير ذلك مما اوضحت العينة التى أوردتها من الاحاديث النبوية، والتى وضح من تمسك المصريين بها، وترديدهم لها، ما تعكسه من سمتهم الاصلية، «متدين» ، وما تفرع عنها من سمات: متعاون - متواضع - محب للخير له وللاخرين - خجول، حلو اللسان، امين صبور ، متوكل على الله، راضٍ.

ولعل هذا الفصل - على ما اعتراه من اقتضاب - قد اوضح الى حد ما ماقصدته منه، ولعله قد يكون فاتحة خير لغيرى من الباحثين المتخصصين لتناوله كنواة لبحوث اكبر واعمق، واخيرا لعله مسك الختام لفصول هذا الكتاب، وان اضطررت فى النهاية ان اسطر خاتمة له لابد منها لاستخلاص النتائج ورصدها باختصار.

فصل الختام

تلك كانت ابرز السمات المصرية الست الاساسية: ساخر، متدين، طيب عفوى، عاشق للاستقرار ، فنان وذكى فطن، الى جانب ماتفرع عنها من سمات تابعة بلغ عددها ٤٣ سمة فرعية، تشعبت منها ايضا سمات ثانوية بلغ عددها ٧٠ سمة، اصيلة فيه من حيث الثبات، وان اسميناها ثانوية من حيث هى فرع من فروع السمات التابعة، وذلك ما سيوضحه الرسم المرفق ، الذى يصور «بورتريه» للانسان المصرى الأصيل، قبل ان تلحق به الكثير من التغيرات - التى سبق واشرت اليها - خلال العقود الثلاثة الماضية ، تلك الاشارات التى اوحت الى ان اضع مؤلفا آخر، يتناول سمات المصرى المعاصر، الذى يرى بعضنا انه مختلف تماماً عن والده أو جده، وانه قد بدأ ينبذ الفلسفة الشعبية لاجداده، وتراثهم القيمى، ويصيغ لنفسه فلسفة جديدة، عبرت عنها منحوتاته اللفظية الجديدة، او ما نسميه : «التعبيرات الشعبية المستحدثة»، التى تنسخ تماما ما كان سائداً من معان وقيم راسخة، عبرت عنها الامثال الشعبية القديمة، التى مازال بعض المصريين يرددونها بما يعكس ايمانهم بما تنادى به، وفى نفس

الوقت يرفضها الشباب ويقول عكسها، حتى بتنا نستشعر تناقضا بين فئات الشعب المصرى، تجعلنا نتصور ان الشخصية المصرية متناقضة مع نفسها ، ولعل ذلك ما عبر عنه عادل حمودة حينما تناول مقومات الانسان المصرى العادى، وان معرفة طبيعته ستتيح لنا على على حد قوله:

«تفسير التناقض الواضح الذى يعيش فيه طوال حياته، فهو يهاب الموت ويعشق الجنس - ويخشى الله ولا ينتج سوى نصف ساعة فى اليوم - يصف نفسه بالفهلوة ويضع تحويشة العمر فى شركة الريان - يفخر بأن حضارته قديمة قدم التاريخ، ويقضى حاجته بجانب آثارها .. ويقول عن بلاده ام الدنيا ويصر على ان الذى بناها فى الاصل حلوانى» (١).

هذا الى جانب ما ذهب اليه شيخ الاجتماعيين د. سيد عويس فى كتابه «الازدواجية فى التراث الدينى المصرى» متحدثا عن التناقض الملموس حاليا، فى كثير من الظواهر المجتمعية فى مصر، ليس فى التراث الدينى وحسب.. ولكن فى الواقع الثقافى الحى فى المجتمع المصرى المعاصر، الذى لم يتفق حتى الآن على كثير من المفاهيم التى تبدو احيانا - وعلى حد قوله - «متعارضه أو متنافرة» فدكتور عويس يرى أن:

(١) عادل حمودة ، النكتة السياسية ، ص ٨٩ .

«الواقع الحى المعاصر يؤكد الاختلاف والتباين والتنافر السائد في المناخ الثقافى الاجتماعى - ذلك لان التناقض بين مايقال وبين مايعمل أصبح من سمات هذا المناخ»(١).

وقد ذهب دكتور عويس الى القول بأن «مفهوم المواطن الصالح» لم يتفق عليه حتى الآن، ولذلك نستشعر هذا التناقض بين مايؤمن به المصرى وما يمارس من سلوك، وذلك يعتبر معوقا يقف في سبيل النهوض بالمجتمع المصرى المعاصر، ولذلك نشعر أن المصرى يعتنق قيما متناقضة ، فيختار أعضاء المجتمع فى مجالات متماثلة حول كيف يسلكون او يمارسون السلوك المتوقع منهم، فيشعرون باغتراب او يعيشون فى ظل مواقف اجتماعية تسود فيها حالة من حالات «اللامعيارية».. ويعلل د. عويس ذلك قائلا:

«لعل وجود هذه القيم المتناقضة يرجع الى ظاهرة التغيير الثقافى والاجتماعى التى يواجهها المجتمع المصرى فى الوقت الراهن .. وربما يرجع الى التغيرات العديدة التى واجهها المجتمع المصرى فى خلال عمره الطويل واهمها التغيرات فى الحكام من غير المصريين والتغيرات فى اللغة فضلا عن التغيرات فى الدين (٢).

ويستشهد د. عويس فى هذا الصدد بعدد من الامثال الشعبية

(١) المرجع المشار إليه ، ص ٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤ - ٣٥ .

التى تحمل معان متناقضة، وقيم متباينة.. لكنى وان اتفقت معه تماما فى ان تغير الحكام واللغة والدين كانوا عوامل مهمة فى الشعور بتبنى هذه القيم المتناقضة.. إلا أنى أرى ان هذه الحصيلة من الامثال التى بقيت على ألسنتنا كل هذه العقود والقرون.. لم تنشأ او تصاغ فى عصر واحد.. بل هى حصاد حقب متباينة تماما: لذا لا اتفق تماما مع من يرون فى الشخصية المصرية تناقضا غير مبرر، أو غير مفهوم ، فقد صاغ هذه الثروة الشعبية من الحكمة عبر عصور مختلفة، كان فيها سيد احيانا ومسودا احيانا اخرى، فابتكر بحكمته لكل مجال مقال، وجعل لكل موقف مخرج ينفس به عن مكنون نفسه فى المواقف المختلفة.. إلى جانب أن الامثال تعبر عن فئات وطبقات متباينة من الشعب المصرى:

المتعلم والجاهل والمثقف، والفلاح والموظف والتاجر والعامل، والمالك والحاكم والمحكوم، ولكل من هؤلاء مستلزماته اللغوية فى التعبير، كما ان مصر باتساعها الجغرافى واقتسام ارضها بين صحراء وجبال ووديان الذى انعكس على سكانها بتباين شديد فى العادات والقيم والطبائع بين اهل بادية واهل ريف، واهل حضر.. ولكل هؤلاء مفرداتهم، وأساليبهم التى تعبر عن خصوصيتهم ، كما وان الامثال بالذات تتبنى ـ كما سبق القول ـ كل وجهات النظر، دون

ان يمثل ذلك تعارضا او تناقضا، لان لكل مثل موضعه فى الاستشهاد او مضربه فى الحديث.. حتى وإن بدا ذلك للبعض تحبيذاً وضحضاً لامر واحد..

وحتى بالنسبة لبعض السمات التى يرى البعض فيها تناقضاً، كالشجن الدفين فى النفس المصرية ، وحب النكتة والفكاهة. أرى فيه وجهين لعملة واحدة، من حيث هو استعلاء على المواقف بالتحسر والشجن غير المعلن والمصحوب بالسخرية من الموقف برمته، والتهكم عليه، ويتفق معى فى ذلك د. عادل صادق إذ يقول بأن الشجن احساس راقٍ وسامٍ، وهو احساس بمعنى الحياة، التى تقضى بالضرورة الى الموت وفراق الأحباء، والمصرى بعراقته واستقراره على ضفتى الحياة، ومراقبته لدورتها ، ودورة الفصول، تولد لديه هذا الشجن الرقيق، أما النكات فهى قدرة لديه على رؤية الشىء على حقيقته.. فلا تناقض داخل المصرى (١).

وحتى إذا ماكان هناك تناقضا فهو بين الشخصيات المنفردة والفئات المصرية المتباينة الطباع، أو الطبقات المختلفة، وأيضا - ويظهر هذا بوضوح - بين الاجيال المتعاقبة، وإن بقى للمصرى المعاصر بعض من سمات اجداده الاصيلة ، وكنموذج لها سمة المجون أو التحامق التى

(١) د. عادل صادق ، حديث مذاع فى برنامج «أدم وحواء» التليفزيون المصرى القناة الثانية ، الجمعة ١٩٩٦/٤/٢٦

طالما اشرنا اليها فى غضون هذا البحث، فهى سمة اصيلة فى الشعب المصرى، ربما بقيت له من اجداده الفراعنة.. فقد كانوا يقدسون الجنس ولا يخجلون منه، وقد اشار الى ذلك هيرودوت إذ قال أن:

«المجون والالفاظ البذيئة الفاضحة عادة فى الشعب المصرى منذ العصر الفرعونى حينما كانوا يحتفلون بعيد الاخصاب فتحمل النساء تماثيل لرجال عضو التذكير فيها بطول باقى الجسم.. متغنين بإله الاخصاب أوزوريس.. والرجال يتبادلون الانخاب والنكات الجنسية (١).

ولعل هذه السمة بالذات سمة اصيلة ومازالت مستمرة فى هذا الشعب العظيم.. فهو رغم تدينّه وحسن ادبه.. ساخر فكه، إلى حد المجون والتحامق، ولذلك فقد اكدت ذلك من البداية بجعل ابرز وأول سماته، «ساخر» ثم «متدين» واستتبعتها بالضرورة باقى السمات، كما سيتضح من الرسم المرفق.

ولا أجد ختاما لمؤلفى هذا خيرا من الوعد بدراسة اخرى بدأت فى تجميع مادتها بالفعل، وهى رصد لسمات المصرى المعاصر، وكل ما اعترى المجتمع المصرى من تحولات ، مستخلصا لهذه لسمات من واقع ما يتداوله العامة الآن من تعبيرات مستحدثة.

عزة علي عزت

(١) هيرودت يتحدث عن مصر، ترجمة د. صقر خفاجة .. الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ ، ص ١٤٧ .

المـــــــــراجع

- د. إحسان عسكر ، فنون التبليغ القرآني ونظرياته، دار النهضة العربية ، ١٩٨٦.

- أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية.. مكتبة النهضة المصرية.

- أحمد تيمور، الامثال العامة ، مركز الاهرام للترجمة والنشر - الطبعة الرابعة ١٩٨٦.

- أحمد صادق الجمال، الادب العامي في مصر.

- السيد يسين، الشخصية العربية بين صورة الذات مفهوم الآخر، .

مكتبة مدبولي ، الطبعة الرابعة، ١٩٩١..

- الميداني ، مجمع الامثال، تحقيق علي قاسم، منشورات مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٦.

- جون لويس بوركهارات، العادات والتقاليد المصرية من الامثال الشعبية في عهد محمد علي (١٨٣٠م) ، تحقيق د. ابراهيم احمد شعلان.

- رأفت عبدالحميد، ملامح الشخصية المصرية في العصر المسيحي، روز اليوسف، ديسمبر ١٩٧٣.

- سليم حسن، الادب المصرى القديم أو آداب الفراعنة، كتاب اليوم ١٥/١٢/١٩٩٠، منشورات أخبار اليوم (جزأين).

- د. سيد عويس، الازدواجية فى التراث الدينى المصرى، دار الموقف العربى ، ١٩٨٥.

- د. سيد عويس، قراءات فى موسوعة المجتمع المصرى، مطابع روز اليوسف، الطبعة الاولى، ١٩٨٨.

- د. سيد عويس ، من وحى المجتمع المصرى المعاصر، كتاب الهلال العدد ٤٦٣، يوليو ١٩٨٩.

د. - سيد عويس أمثال وتعبيرات شعبية مصرية، كتاب اليوم، مؤسسة أخبار اليوم، العدد ٣١٦، ديسمبر ١٩٩٠.

- سيد قطب، التصوير القرآنى ، منشورات دار المعارف، الطبعة العاشرة.

- صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧.

- عادل حمودة، النكتة السياسية - كيف يسخر المصريون من حكامهم.

- د. عبدالغنى بركة، اسلوب الدعوة القرآنية، مكتبة وهبة، القاهرة.

- عبدالهادى عفيفى ، البيئة ومشكلات المجتمع، الانجلو ، ١٩٧٣.

- د. عز الدين ابراهيم، متن الاربعين النووية في الاحاديث الصحيحة النبوية للامام يحيى بن شرف الدين النووى، دار القرآن الكريم - بيروت - الطبعة الحادية عشرة، ١٩٨٣.

- د. عزة على عزت. صورة عرب دول مجلس التعاون الخليجى فى الصحافة البريطانية،رسالة دكتوراه غير منشورة.

- د. فاطمة المصرى، الشخصية المصرية من خلال دراسة بعض مظاهر الفلكلور المصرى.

- محمد ابراهيم ابو سنة، فلسفة المثل الشعبى المكتبة الثقافية ٣٨١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤.

- محمد صفوت، الامثال الشعبية، مكتبة مصر، الفجالة ، القاهرة، ١٩٧٨.

- محمد عبدالحميد بسيونى ، آداب السلوك عند المصريين القدماء.

المكتبة الثقافية ، العدد ٣٨٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

- د. ميلاد حنا، الاعمدة السبعة للشخصية المصرية، كتاب الهلال، العدد ٤٥٧، يناير ١٩٨٩.

- د. يوسف ادريس، عن عمد اسمع وتسمع، ، مكتبة مصر، الفجالة ١٩٨٥.

Moroe Berger, The Arab World Tobay a double Day, Anchor.

صحف ومجلات:

- عبلة الساعاتى، الاهرام - ملحق الجمعة ١٩٩٦/٦/٧، ص٦، موضوع بعنوان «التماحيك والتلاكيك.. سلوك أجتماعى جديد».

- عدد من الباحثين ، مجلة الفكر المعاصر،عدد ممتاز بعنوان الشخصية المصرية، ١٩٦٩، القاهرة.

أحاديث إذاعية وتليفزيونية:

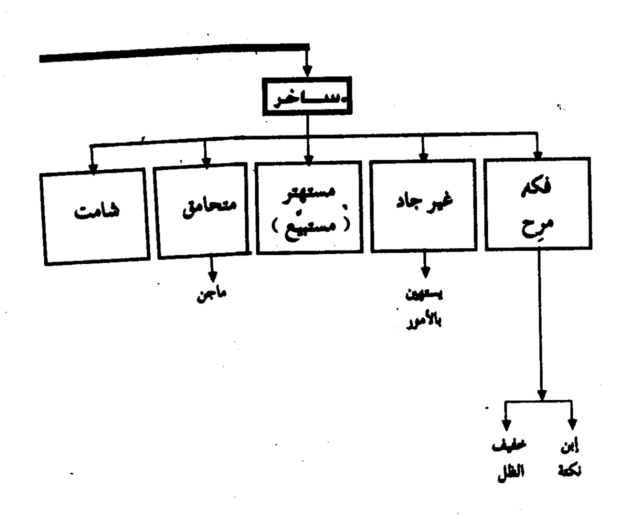
- أحمد قدرى، برنامج شاهد على العصر ، المذاع بتاريخ ١٩٩١/١٠/٩، البرنامج العام - إذاعة القاهرة.

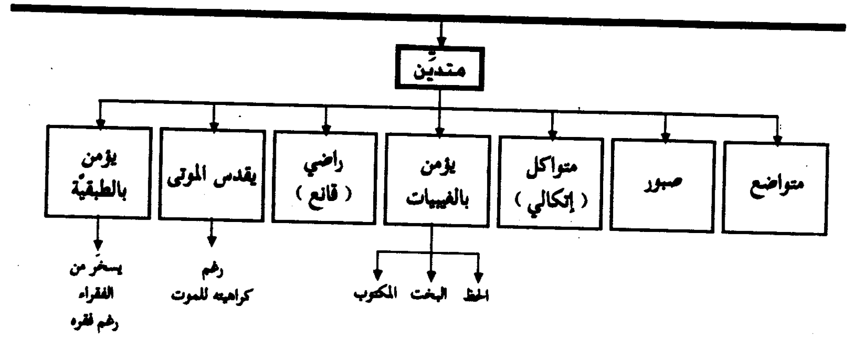
- برنامج المنتدى الثقافى، المذاع يوم الاربعاء ١٩٩٥/٩/٢٧، القناة السابعة.

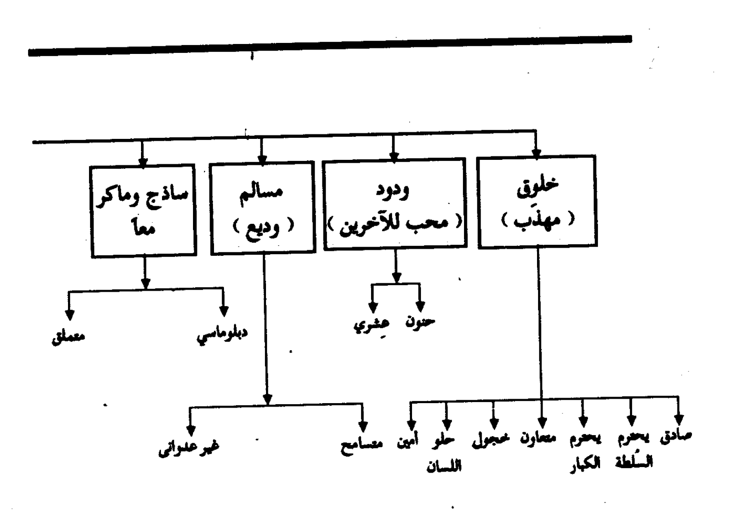
- برنامج حديث المدينة ، المذاع يوم الثلاثاء ١٩٩٥/١٠/١٠، القناة الاولى.

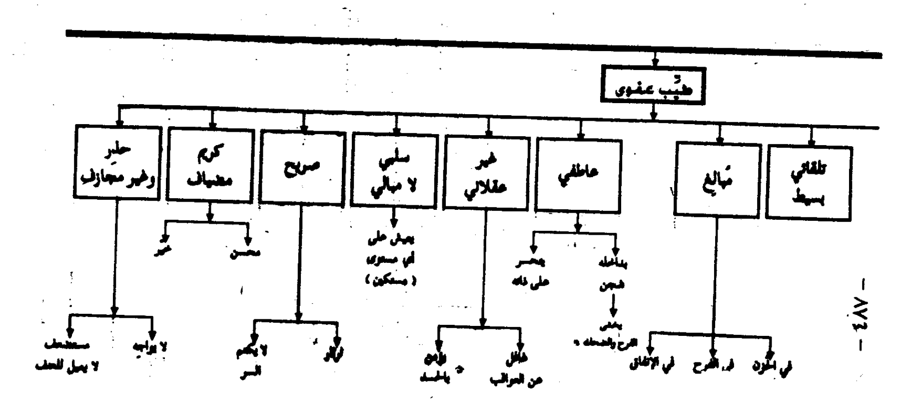
- د. عادل صادق، حديث تليفزيونى، برنامج آدم وحواء، مذاع يوم الجمعة ١٩٩٦/٤/٢٦.

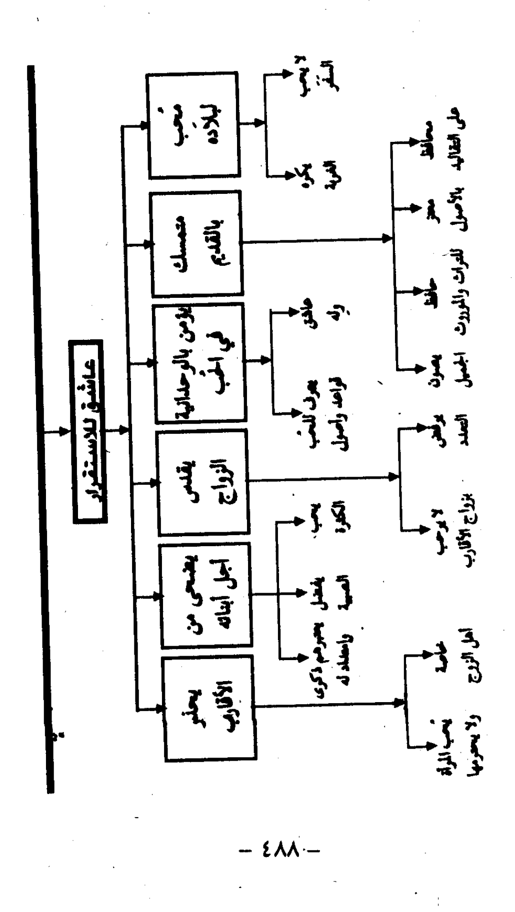
- د. يوسف إدريس ، حديث تليفزيونى، القناة الثانية.

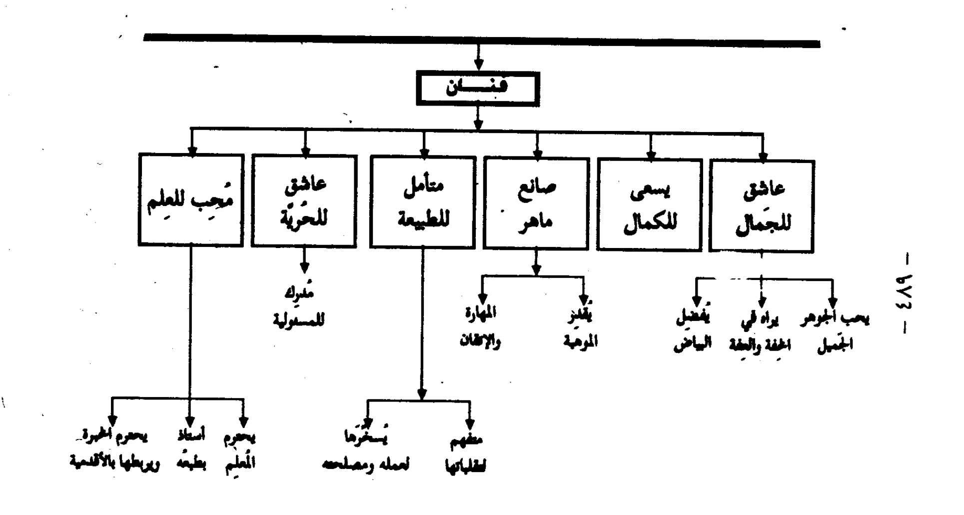

ســاخر
فكه
مرِح
غير جاد
مستهتر
(مستبيع)
متحامق
شامت
ماجن
يستهون
بالأمور
إبن
نكتة
خفيف
الظل

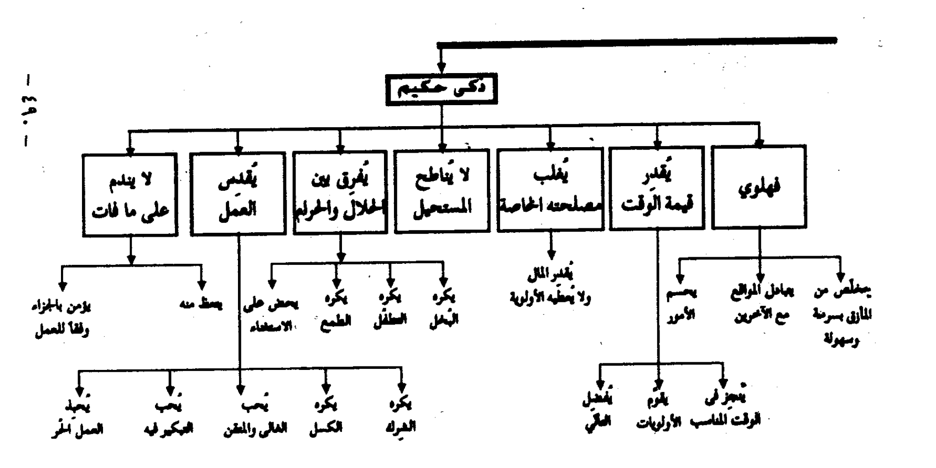

متديِّن
متواضع
صبور
متواكل (إتكالي)
يؤمن بالغيبيات
الحظ
البخت
المكتوب
راضي (قانع)
يقدس الموتى
رغم كراهيته للموت
يؤمن بالطبقيّة
يسخَر من الفقراء رغم فقره


خلوق
(مهذب)
ودود
(محب للآخرين)
مسالم
(وديع)
ساذج وماكر
معاً
صادق
يحترم السُلطة
يحترم الكبار
معاون
خجول
حلو اللسان
أمين
حنون
عِشري
مسامح
غير عدواني
دبلوماسي
متملق


طيّب عفوي
تلقائي بسيط
مُبالغ
في الحزن
في الفرح
في الإنفاق
عاطفي
يتحسر على ذاته
غير عقلاني
غافل عن العواقب
سلبي لا مبالي
يعيش على أي مستوى (مستكين)
صريح
لا يكتم السر
كريم مضياف
محسن
حذر وغير مجازف
لا يواجه
مستضعف لا يميل للعنف


عاشق للاستقرار
مُحب لبلاده
لا يحب السفَر
يكره الغربة
متمسك بالقديم
محافظ على التقاليد
معتز بالأصول
حافظ للتراث والموروث
يصون الجميل
يؤمن بالوحدانية في الحُب
عاشق وله
يعرف للحُب قواعد وأصول
يقدس الزواج
يرفض التعدد
لا يرحب بزواج الأقارب
يضحى من أجل أبنائه
يحب الكثرة
يفضل الصبية
يحترمهم ذكرى واعتداد له
يحذر الأقارب
خاصة أهل الزوج
يُحب المرأة ولا يحترمها


فنان
عاشق للجمال
يسعى للكمال
صانع ماهر
متأمل للطبيعة
عاشق للحرية
محب للعلم
يحب الجوهر الجميل
يقدر الموهبة
المهارة والإتقان
متفهم لتقلباتها
يسخرها لعمله ومصلحته
مدرك للمسئولية
يحترم المعلم
أستاذ بطبعه
يحترم الخبرة ويربطها بالأقدمية


ذكي حكيم
فهلوي
يُقدر قيمة الوَقت
يُغلب مصلحته الخاصة
لا يُناطح المستحيل
يُفرِق بين الحلال والحرام
يُقدس العَمل
لا يندم على ما فات
يتخلص من المآزق بسرعة وسهولة
يتحايل المواقع مع الآخرين
يحسم الأمور
يُنجز في الوقت المناسب
يقوم الأولويات
يُفضل الملكي
يُقدر المال ولا يُعطيه الأولوية
يكره البُخل
يكره التطفل
يكره الطمع
يحض على الاستغناء
يكره الشرك
يكره الكسل
يُحب العالي والمتقن
يُحب التبكير فيه
يُحبذ العمل الحُر
يتعظ منه
يؤمن بالجزاء وفقاً للعمل

الفهرس

رقم الايداع ١٠٠٧٦ / ٩٧
I. S. B . N
977 - 07 -054 -9


روايات الهلال تقدم
سفر البنيان
تأليف
جمال الغيطانى
الثمن ٥ جنيهات
تصدر ١٥ سبتمبر ١٩٩٧



كتــاب الهلال يقدم
٦ أكتوبر فى
الإستراتيجية العالمية
بقلم
د . جمال حمدان
يصدر ٥ أكتوبر ١٩٩٧